المعمدانيون

« وتاريخ الكنيسة »

تأليـف :

Dr. Phil Stringer

نقله إلى العربية بتصرف

القس وديع ميخائيل

راعى الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى



المقدمة

فى ١٤ إبريل من عام ١٦١٢ أعدم (ادوارد وايتمان) حرقا فى إنجلترا لأنه أعلن أن معمودية الأطفال عادة رديئة ، وكان موته بهذه الطريقة آخر الميتات بالحرق لكونه معمدانيا ، وقد سبقه الآلاف التى لا تعد على مدى مئات من السنين .

ما الذى دفع الكثيرين من المؤمنين على أن يكونوا مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل ما يقتنعون به ؟ وما الذى دفع الكثيرين من الملوك والحكام والكرادلة الدينيون ليكرهوا هذه المبادئ وهؤلاء الناس الذين تمسكوا بتلك المبادئ بقوة ؟ وفى القرن العشرين أضفى الناس على اسم « المعمدانيون » العديد من المعانى ، ولكن تاريخيا كان المعمدانيون مؤمنين كتابيين يتمسكون بالحقائق الأساسية للإيمان المسيحى ، والتعاليم الستة التالية :

❖ الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة للإيمان والسلوك .

❖ الكنائس المستقلة المحلية حرة .

❖ عضوية الكنيسة من المخلصين فقط .

❖ معمودية الماء بالتغطيس فقط ، وللمؤمنين فحسب ، والمعمودية وعشاء الرب هما الفريضتان الوحيدتان في الكنيسة .

❖ كل المؤمنين كهنة ، وحرية النفس .

❖ إنفصال الكنيسة عن الدولة .

هذه المبادىء الستة معروفة « بالمميزات المعمدانية » .

بعض الناس يستخدمون كلمة « معمدانى » للذين لديهم الدليل على انهم ينتمون إلى « المعمدانيين السويسريين » الذين كانوا فى القرن السادس عشر ، غير أن « المعمدانى » هو الذى يتمسك بالمميزات الستة المذكورة سابقاً ، ومن بداية التاريخ المسيحى كان يوجد أولئك الذين انحرفوا عن الحقائق الكتابية المعبر عنها فى المميزات المعمدانية ، وفى الأغلب كانت هناك أعداد كبيرة تتبع الطوائف والتنظيمات المسيحية ، ولكن إلى جوارهم وُجد الذين يتمسكون بهذه المبادئ والحقائق الأساسية البسيطة ، وأولئك الذين تمسكوا بهذه المبادئ والحقائق الكتابية البسيطة احتملوا الكثير من الاضطهادات لأن هذه الحقائق هددت السلطات الدينية وزعزتها ، وأجدادنا المعمدانيون كانوا رجالاً ونساءً لهم شجاعة عظيمة وتكريسا لكلمة الله ، وهم يستحقون منا أعمق أيات الشكر والاعتراف بالجميل .

ويوجد فى هذه الأيام بعض الذين يستخدمون كلمة « معمدانى » دون أن يتمسكوا بالإيمان المسيحى التاريخى للمميزات المعمدانية ، وهؤلاء خلقوا جدلاً كثيراً منذ أواخر العشرينات (١٩٢٠) بين الذين يحملون اسم « معمدانى » ، ومن المؤكد اننا كلنا ينبغى ان نكون أحراراً فى ممارسة إيماننا الدينى الخاص ، وأن نعبر عن افكارنا العقائدية ، إلا ان الذين يستخدمون الاسم « معمدانى » بينما ينكرون الحقائق التى من اجلها تألم اجدادنا المعمدانيون يسيئون إساءة بالغة لذكرى « المعمدانيين » ، كما يسيئون إلى ذات الاسم « معمدانى » .

❖ وللتعريف : المعمدانى هو الذى يتمسك بالأساسيات الكبرى للإيمان المسيحى وهى :

* **الثالوث** : الله الآب والابن والروح القدس : ثلاثة فى واحد وكلهم الله .
* **الوحى المطلق** : الذى ليس فيه خطأ أو تحريف لكل أسفار الكتاب المقدس .
* **التجسد** : الولادة من عذراء ، والحياة الكاملة بلا خطية ، وموت ودفن وقيامة يسوع المسيح وكفارته النيابية .
* **الخلاص الشخصى** : لكل من يضع إيمانه فى إنجيل المسيح
* **حقيقة المجيء الثانى ، والسماء ، والجحيم** : كل الذين

يؤمنون ويتمسكون بهذه العقائد الأساسية مع ما ذكرناه من « الميزات المعمدانية » فهم « معمدانيون » .



(١)

سلطة الكتاب المقدس الوحيدة

المميزات المعمدانية :

- الكتاب المقدس هو السلطة العليا والوحيدة للإيمان والسلوك .
- كنائس حرة مستقلة .
- عضوية مجددة للكنيسة .
- المعمودية بالتغطيس للمؤمنين فقط وعشاء الرب هما الفريضتان الوحيدتان للكنيسة .
- كل المؤمنين كهنة ، وحرية النفس .
- إنفصال الكنيسة عن الدولة والتنظيمات البشرية .

***

أول وأهم المميزات المعمدانية هى عقيدة أن الكتاب المقدس هو السلطة العليا والوحيدة للإيمان والسلوك ، وكل العقائد الأخرى مع كل المميزات المعمدانية تستقر بالكلية على هذه العقيدة .

وسوف نمتحن أولا ما نعنيه بالقول أن الكتاب المقدس هو السلطة العليا والوحيدة للإيمان والسلوك ، والمعمدانيون

التاريخيون – على مر التاريخ – يؤمنون بالوحى الحرفى المعصوم للعهدين القديم والجديد ، ويؤمنون أن الكتاب المقدس كله جاء بإعلان من الله ، وهو معصوم لا خطأ فيه ولا تحريف ، وأنه كلمة الله المعلنة للإنسان .

ونعنى « بالوحى الحرفى » أن الروح القدس أرشد وسيطر على الرجال الذين استخدمهم ليكتبوا الكتاب ، وأنهم لم يكتبوا الأفكار فقط ، ولكنهم سبقوا من الروح القدس ليكتبوا « الكلمات» التى جاءت من الله ، وأن الروح القدس أرشد وقاد كل واحد من كتبة الوحى لاختيار الكلمات التى هى فى الحقيقة والواقع كلمات الروح القدس .

ويؤمن المعمدانيون أن الكتاب كله هو كلمة الله (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦) وكل جزء من الكتاب المقدس موحى به كأى جزء آخر دون فرق ، وأن الأسفار التى معنا الآن هى إعلان الله الكامل للإنسان ، وأنه لا حاجة إلى أى إعلان آخر ، ومن المهم أن نذكر أن الكتاب المقدس لا يحتوى على كلمة الله ولكنه هو فى الواقع والحقيقة « كلمة الله » .

ويؤمن المعمدانيون أن الكتاب المقدس لا خطأ فيه البتة ، ونعنى بهذا أن كل إرشاد فيه هو حق ولائق ، ولا يوجد فى إرشادات الله لنا – اليوم – أى خطأ أو التواء أو تحريف أو يوجد

أمر يمكن الاستغناء عنه ، وأن الكتاب المقدس ينبغى أن يُطاع طاعة كاملة لأنه كلمة الله ، وقد حفظ الله كلمته من أى خطأ من كل النواحى اللاهوتية أو الفلسفية أو الأدبية أو التاريخية أو العلمية ، وكل تعبير أو بيان فى الكتاب المقدس يمكن الثقة به وتصديقه فى كلياته وجزئياته .

وهناك الكثير من الآيات الكتابية التى توضح هذه الحقائق الأساسية عن كلمة الله :

❖ « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر . لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهبا لكل عمل صالح » ٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ و ١٧ .

❖ « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد . لأن كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب . العشب يبس وزهره سقط وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد . وهذه هى الكلمة التى بشرتم بها » ١ بطرس ١ : ٢٣ – ٢٥ .

❖ « عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » ٢ بطرس ١ : ٢٠ و ٢١ .

❖ « اجتهد – إدرس – أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة » ٢ تيموثاوس ٢ : ١٥ .

وكل المسيحيين الأمناء والمؤمنين متفقون على ما سبق واوردناه عن الوحى الكامل للكتاب المقدس ، إلا أن المعمدانيين أخذوا خطوة هامة أبعد من ذلك ، فهم – مع قلة أخرى – يعلّمون ان الكتاب المقدس هو السلطة العليا والوحيدة للإيمان والسلوك ، وبعض الذين يتمسكون بالوحى الكامل للكتاب يقولون ان السلطة الأخيرة أو النهائية ، وهذا يعنى أنهم يقبلون الكتاب المقدس ووحيه ، وأن لا شىء يناقض الكتاب – ولكن ربما توجد سلطات روحية أخرى فى مواضيع لا يتكلم عنها الكتاب ، وعادة ما تكون هذه السلطة الأخرى هى :

* إعلانات إضافية من الله (مثل الحركة الخمسينية والكرزماتيك) .
* مجالس الكنائس (مثل العديد من الكنائس الموجودة على الساحة)
* تقليد الآباء أو تاريخ الكنيسة أو معلمين روحيين (مثل الكنائس الطقسية) إلا أن هذه السلطات لا يعتمد عليها ، والمعمدانيون التاريخيون – على مر التاريخ – يعلّموننا أن كل ما فى الكتاب المقدس حق وصدق وليس ذلك فقط بل أن كل ما

نحتاجه موجود فى الكتاب المقدس ، والمعمدانيون لا يقبلون الفكر القائل بالإعلان الإضافى ، أو سلطة المجالس الكنسية ، أو التقليد الإنسانى الموروث ، أو أمثلة من القيادات الروحية أو التاريخ كسلطات مرجعية – أى يمكن الرجوع إليها – فقد أعطانا الله كل ما هو ضرورى وحيوى لحياتنا الروحية فى المكتوب .

ومن المستحيل تقدير أهمية هذا الفكر الواحد أى أن الكتاب المقدس هو السلطة العليا والوحيدة التى لا تخطىء .

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله قد أعطانا سلطات بشرية قانونية للسيطرة على أجزاء خاصة من حياتنا (انظر رومية ١٣ : ١ – ٧ ، ١ بطرس ٢ : ١٣ – ١٦) والطاعة للسلطة المدنية (كما هو معبر عنها فى حدودها القانونية) هى طاعة لإرادة الله المعبر عنها فى المكتوب ، ومن أمثلة الكتاب للسلطة البشرية نراها تضم :

* الرعاة – الحكومة المدنية – الأزواج – الوالدان – رؤساء الوظائف وإن كانت السلطة لكل هؤلاء ، وهى تتفق مع تعاليم الكتاب المقدس ، إلا أنها سلطة فردية ومحدودة ، فيمكن للآباء أن يوصلوا إرادة الله لأبنائهم ، ولكنهم لا يستطيعون توصيلها لعائلات أخرى ، والراعى ممكن أن يقدم قيادة روحية قانونية لاجتماعه ، ولكنه لا يستطيع أن يمارس سلطة على اجتماعات

اخرى ، كذلك اصحاب السلطة المدنية فهم وإن كان لهم دور مرسوم من الله ليحافظوا على الأمن والقانون لكن ليس لهم دور فى حياة الناس الروحية او فى إدارة الكنائس أو مساندة عقائد بعينها .

ومن الواضح أن العقلاء من الناس يمكن أن يتعلموا من نماذج تقوية ، ولكن مهما كانت الفائدة التى نجنيها من السابقين او المعلمين الحاليين إلا اننا ينبغى أن نكون منتبهين دائما لتفسيرهم للمكتوب ، فحين نقول أن الكتاب هو السلطة الوحيدة ، ثم يقولون هم ليس هناك طريقة للتأكد مما يعلمه الكتاب .. هذا يجعل عقيدة المكتوب بلا معنى .

ولكى نكون ذوى تأثير فعّال فى استخدامنا للمكتوب ، يجب علينا أن نمارس تفسيراً حرفياً ، ونبتعد عن البحث عن معانى خيالية ، وندرك الاستخدام العادى للكلمات ، ولابد أن ندرك أن الموضوع ليس فقط ما يعنيه المكتوب لنا ، ولكن بالحرى ماذا يقول الروح القدس من خلال كتبة الوحى والمعنى المتضمن فى المكتوب وليس فى مخيلتنا أو فى افكارنا الشخصية ، ومفتاح التفسير الصحيح هو اكتشاف ما كان يعنيه الكاتب .

وعقيدة أن سلطة الكتاب هى السلطة الوحيدة تقودنا مباشرة إلى ضرورة اعتزال الكنيسة عن السلطة المدنية ، فإن كان الكتاب

المقدس – كلمة الله – هو السلطة العليا والوحيدة للإيمان والسلوك ، إذن فمن غير الممكن أن تكون لسلطة أخرى ، فمثلا لا يمكن أن تكون للسلطة المدنية سلطة روحية على الكنيسة أو حياة الأفراد الروحية ، وبطرس ويوحنا أوضحا هذا المعنى حين قاوما محاولة الحكام اليهود لوقف خدمتهما :

« فدعوهما واوصوهما ان لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم اكثر من الله فاحكموا لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما راينا وسمعنا » اعمال ٤ : ١٨ – ٢٠ .

وسرعان ما اكد بطرس والرسل هذا الحق للحكام :

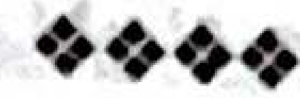
« فلما احضروهم أوقفوهم فى المجمع ، فسألهم رئيس الكهنة قائلا أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم . وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان . فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » أعمال ٥ : ٢٧ – ٢٩ .

وكثيراً ما أوقفت هذه العقيدة المعمدانيين تحت اضطهاد الحكام ، وكما سوف نرى لاحقاً فالمعمدانيون لعبوا دوراً أساسيا فى تأكيد الحرية الدينية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

والكتاب المقدس يوضح بجلاء أننا لا يمكن أن نجد مصدراً

للسلطة الروحية سوى كلمة الله « باطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » متى ١٥ : ٩ .

والكتاب يعلمنا « اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » متى ٢٢ : ٢١ .



(٢)

مميزات معمدانيـة أخرى

« وانا أقـول لك ايضـا انت بطرس وعلى هذه الصـخـرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » متى ١٦ : ١٨ .

***

إن المميـزات الأخـرى للمـعـمـدانيين تنبع بطبيـعـة الحال من عـقـيـدتهم الأسـاسـيـة أن الكتـاب المقـدس هو السلـطة العليـا والوحيدة.

إن استـقلالية وحـرية الكنيسـة عقيـدة مأخوذة مـن العديد من الحـقائق الكتـابية ، فإن لم يوجـد إلا سلطة الكتـاب المقـدس فهـذا يعنى أن عـدداً من الناس لا يمكن أن يـكون له سلطة روحـيـة فى الكنيسـة ، ذلك لأن الكنيـسة ملتـزمـة بكلمـة الله ، ومن الواضح من الكتـاب المقدس أن الكنـائس المحلية هى التى تـعالج مـشاكلهـا ومبدأ سيادة الكنيسة المحلية فـى أعضائها نراه واضحاً فى كنيسة أورشليم التى انتخبت شماستهـا كما هو مسجل فى أعمال (٦) ومن الواضح أن السلطة الروحـية لـلكنيسـة هى الكتاب المقـدس ،

وليس من مسئولية الكنيسة إن كانت تقرر أن تطيع الكتاب المقدس أو لا تطيعه .

ولكن كل كنيسة هى تحت إلتزام اختيار أفضل السياسات والقيادات لتنفيذ مطاليب الكتاب ، ومسئولية الراعى أن يلاحظ تنفيذ الوصايا الإلهية ، والكتاب يعلّم أن كل السلطة الروحية هى فى المكتوب ذاته ولكنه يعلّم أيضا أن « النظارة » على الكنيسة هى فى يد الراعى ، كذلك يخبر الله الراعى أن « يرعى رعية الله بنشاط » (١ بطرس ٥ : ٢) وفى رسالة العبرانيين يأمر الله ... « أطيعوا مرشديكم واخضعوا » عبرانيين ١٣ : ١٧ ، وهو يشير هنا إلى الرعاة الذين ينبغى لنا أن نخضع لهم ونطيعهم ، وبولس يذكرنا « ثم نسألكم أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم فى الرب » ١تسالونيكى ٥ : ١٢ ، ولوقا يكتب « احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة – نظاراً –» أعمال ٢٠ : ٢٨ .

والشركة الاختيارية فى كنائس العهد الجديد والتعاون فيما بينها كانا يمارسان بالمحبة ، وهذا ضرورى إذا أُريد لعمل الله أن يسير ويؤثر وينتج ، والكتاب المقدس يذكر وظيفتين فى الكنيسة :

(١) الراعى (وهو أيضا الأسقف أو الشيخ) .

(٢) الشماس ، والشماسة هم خدام خصوصيون للكنيسة وعملهم هو خدمة الناحية المادية فى الكنيسة (أعمال ٦ ، ١ تيموثاوس ٣ : ٨ – ١٣) ومسئولية ، وأهلّية ، ومعاملة الرعاة نجدها فى أعمال ٢٠ : ٢٨ ، أفسس ٤ : ١١ – ١٦ ، ١ تسالونيكى ٥ : ١٢ و ١٣ ، ١ تيموثاوس ٣ : ١ – ٧ و ٥ : ١٧ – ١٩ ، تيطس ١ : ٦ – ٩ ، عبرانيين ١٣ : ٧ و ١١٦ و ١٧ ، غلاطية ٦ : ٦ ، ومفهوم العضوية للكنيسة المكونة من مخلصين فقط واحد من المفاهيم التى يتمسك بها المعمدانيون وأقلية من الجماعات الأخرى ، وسفر الأعمال يوضح أن الذين آمنوا واعتمدوا انضموا إلى الكنيسة « فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » أعمال ٢ : ٤١ (أنظر أيضا أعمال ٢ : ٤٧) .

وكلمة (إكليسيا) المترجمة (كنيسة) لم تكن كلمة ابتكرها الرب يسوع ، ولكنها كانت كلمة معروفة فى الاستخدام العام فى اللغة اليونانية ، و (الاكليسيا) هى مجموعة من الناس ، والكلمة كانت تعنى : جماعات من المواطنين فى مدينة يونانية تقوم بإدارة شئون المدينة ، وكان هناك شرط للعضوية ينبغى أن يتوفر فى كل عضو وهو المواطنة ، وأوضح المسيح أن (كنيسته) سوف تُبنى على ذاته كما هو مسجل فى متى ١٦ : ١٨ ،

والشرط الذى ينبغى أن يتوفر للعضو فى جماعة (إكليسيا) المسيح هو الخلاص الحقيقى . وإن كانت هناك بعض العبارات الكتابية التى تصور الكنيسة فى المجد حين يجتمع جميع المؤمنين معاً ، إلا ان معظم العبارات تشير إلى اجتماعات محلية منظورة موجودة على الأرض خلال زمن الكنيسة ، وكل العبارات الكتابية تشير إلى جماعة من المؤمنين مجتمعين معاً ـ وكلمة اجتماع هو المعنى البسيط لكلمة (إكليسيا) .

وكنيسة العهد الجديد هى اجتماع مكون من المؤمنين المعمدين بغرض العبادة والشركة ، وتنفيذ الإرسالية العظمى ، والنموذج الكتابى لكنيسة العهد الجديد هو عضوية المؤمنين المعمدين بالتغطيس .

والمعمودية التى كان يمارسها يوحنا ، ومعمودية يوحنا للمسيح ، ومعمودية فيلبس للخصى الحبشى كلها تمت حيث « توجد مياه كثيرة » تكفى للتغطيس ، وليس من المعقول أن نتعب فى البحث عن نهر أو بركة حيث توجد « مياه كثيرة » ثم بعد ذلك نرش أو نسكب قليلاً من الماء على رأس من يعتمد !! فهذا يمكن عمله بسهولة بقليل من الماء كما تفعل الكنائس غير المعمدانية ، وفى كل ما ذكر آنفاً من معموديات كان كل شخص يعلن باختياره عن إيمانه فى موت ودفن وقيامة المسيح ، والجميع

– فيما عدا الرب يسوع – اعطى شهادته عن تجديده .

والكتاب المقدس يعلّم ان المعمودية هى صورة لموت ودفن وقيامة المسيح (أنظر رومية ٦ : ١ – ٦ ، كولوسى ٢ : ١٢) وانت لا تدفن أحداً بمجرد رش أو سكب بعض التراب على راسه ، ولكنك تدفنه وتغطى كل جسده تحت التراب ، ونفس الشىء ينطبق على المعمودية ، والكلمة اليونانية للمعمودية هى (بابتزو baptizo) وكانت من الكلمات العادية المستخدمة فى اللغة اليونانية وتعنى (يغطس ، يغمر ، يحجب) وهى تشير دائما إلى التغطية بالماء .

ولا يوجد اى إشارة إلى معمودية الأطفال ، فمن المستحيل على الطفل أن يعبّر عن إيمانه فى موت ودفن وقيامة المسيح ، ومن المستحيل كذلك على الأطفال أن يعطوا شهادة عن تجديد لم يختبروه ، والرش والسكب ومعمودية الأطفال تنزع عن فريضة المعمودية غرضها الكتابى ، وهو تصوير موت ودفن وقيامة المسيح ، وتقديم شهادة عن التجديد الشخصى .

وعشاء الرب حسب الكتاب المقدس هو ذكر لموت المسيح (الجسد المكسور والدم المسفوك) ومجيئه الثانى كما هو واضح من ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٣٤ ، وهذه الذكرى لا تمنح الخلاص بأى حال ، ولكنها صورة لما يجعل الخلاص ممكناً .

وكهنوت كل المؤمنين عقيدة تعلّم ان كل مؤمن كاهن يمكن ان يذهب إلى الرب ويقف أمامه بحرية ، ونحن مدعوون - كاخوة فى المسيح - إلى الدخول إلى « الأقداس بدم يسوع » (عبرانيين ١٠ : ١٩) ، ويقول لنا الكتاب أن المؤمنين « كهنوت مقدس » (١ بطرس ٢ : ٥) وأن لنا الحق أن « نتقدم بثقة إلى عرش النعمة » (عبرانيين ٤ : ١٦) .

كثير من الديانات أقامت كهنة يُفترض انهم ممثلون عن الشعب امام الله ، وكان هذا حقاً فى العهد القديم وإسرائيل ، ولكن بسكنى الروح القدس فى زمن النعمة والكنيسة يصبح كل مؤمن كاهنا ، والمعمدانيون كان لهم السبق فى فتح الطريق إلى الحق المجيد .. اى كهنوت كل المؤمنين .

ومفهوم حرية النفس حقيقة معروفة ، وهذا المفهوم متضمن فى مفهوم الكتاب المقدس كالسلطة الوحيدة ، وحرية النفس تعنى أننا مسئولون فقط لله - كما هو معلن فى كلمته - عن التعليم ، والسلوك ، والضمير ، وكل فرد يستطيع أن يدرس الكتاب المقدس ويستخرج منه الدروس التى تفيده وتعينه على الحياة المثلى ، وايضا تتضمن حرية النفس أن خدمة الرب اختيارية ، وهذا التعليم لا يبرر الفوضى ، ومحبة العالم ، أو الحياة المتسيبة ، فنحن مسئولون أمام الله عن طاعة كلمته ، كما

اننا مسئولون أمامه عن تفسير كلمته بأمانة وبطريقة صحيحة .

وهذا التعليم يعنى أن المؤمن حر من تقاليد الناس ، ومن احكام الآخرين ، ومن سيطرة السلطات الدينية « واما انتم فالمسحة التى اخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم ان يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق وليست كذباً . كما علمتكم تثبتون فيه » (١ يوحنا ٢ : ٢٧) .

وبرهان أخر على هذا نجده فى رومية ١٤ : ٥ « فليتيقن كل واحد فى عقله »



(٣)

هل كانت كنيسة العهد الجديد معمدانية ؟

« وفيما هما سائران فى الطريق اقبلا على ماء . فقال الخصى هو ذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد ؟ فقال فيلبس إن كنت تومن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال انا اؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله » أعمال ٨ : ٣٦ و ٣٧ .

***

فى القرن السابع عشر فى هولندا كلّف الملك وليم اثنين من العلماء ليقوما بدراسة عن الكنائس فى هولندا ، ومفهومه عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، والحرية الدينية سمحت للكنائس من كل نوع أن تعمل بحرية فى هولندا ، والمهمة التى أسندها الملك إلى العالمين كانت دراسة كل من موقف الكنائس بالنسبة للعهد الجديد ، وليقررا أى الكنائس فى هولندا هى الأقرب إلى كنيسة العهد الجديد ، وطلب من العالمين أن يكونا محايدين فى بحثهما .

وكان الملك وليم قد ارتبط بصورة غير ثابتة بالكنيسة الإصلاحية ، رغم أنه كان يعارض مفهوم كنيسة الدولة ، وتوقع وليم بطبيعة الحال أن هذه الدراسة سوف تظهر أن الكنيسة الإصلاحية هى الأقرب إلى العهد الجديد ، واستعد لإعلان الدراسة ونشرها وتوزيعها فى كل أنحاء هولندا ، ولكنه فوجىء ودهش حين كشفت الدراسة أن الكنائس المعمدانية فى هولندا هى الأقرب إلى العهد الجديد ، وللحق .. فقد أمر وليم أن تنشر النتيجة وتوزع فى كل المملكة .

ومن الواضح أنه من الضرورة القصوى أن نقرر إذا كانت الكنائس الأولى كما هى معلنة فى الأسفار المقدسة قد تمسكت بنفس المبادئ التى ينادى بها المعمدانيون ، وسوف نلقى نظرة على كل من المميزات من وجهة نظر كنائس العهد الجديد

الكتاب المقدس هو
السلطة الوحيدة للإيمان والسلوك

كتب بولس رسائل لعديد من الكنائس الأولى ، وساعد أكثر من أى إنسان على تأسيس كنائس فى أنحاء كثيرة من الشرق الأوسط وجزائر اليونان .

وقد طلب بولس بإلحاح من الكنائس أن تطيع المكتوب فى العهد القديم منظوراً إليه من وجهة نظر صحيحة ، كذلك أن

ينتبهوا إلى الإعلان الذى جاء عن طريقه هو والرسل الآخرين ، وابداً لم يرجع إلى سلطة القادة الدينيين ، أو إلى هيئة كهنوتية ، أو إلى طائفة ما لكى تحل مشاكل كتابية ، وسوف نتأمل فى عدد من الأمثلة :

بولس وبطرس فى أنطاكية

من المؤكد أن بطرس الرسول كان قائدا فى الكنيسة الأولى ، ولكن بطرس كان أيضا إنسانا معرضاً للخطأ ، ولكى يقنع بعض الذين من يعقوب (اليهود) ظهر كمن يتعدى على حق الإنجيل ، وعارضه بولس علانية كما نقرأ فى غلاطية ٢ : ١٣ و ١٤ « ولكن لما اتى بطرس إلى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً .. لكن لما رايت انهم لا يسلكون حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وانت يهودى تعيش أممياً لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا ؟ » .

ومهما كان من أمر بطرس ويعقوب كقادة فى الكنيسة إلا ان الحق الكتابى كان اهم ، وقد رأى بولس أن بطرس لابد أن يرجع إلى المكتوب ويخضع له دون أن يُخضع المكتوب لنفسه !! .

مجلس الكنيسة فى أعمال ١٥

قامت مناقشة كبيرة فى الكنيسة الأولى بخصوص العلاقة بين الناموس والإنجيل ، واجتمع فى أورشليم رسل وشيوخ

ومرسلون ومؤمنون من الفريسيين ، ودار نقاش ساخن حيث قدّم كل واحد فكره ، وهذا النقاش لم ينتهى بقرار من القادة الدينيين ، ولكنه انتهى باللجوء إلى الرسل - أساس أسفار العهد الجديد - (انظر أعمال ١٥ : ١٣ - ٢١) .

وأوضح بولس بجلاء أنه لم يتأثر بأهمية القيادات التى كانت موجودة فى ذلك الاجتماع ، وكتب « أما المعتبرون انهم شىء مهما كانوا لا فرق عندى الله لا يأخذ بوجه إنسان فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشىء » غلاطية ٢ : ٦ ، وكان اهتمامه راجع فقط للحقائق المعلنة فى الأسفار المقدسة .

بولس وتقاليد الناس

أوضح بولس أيضا أن التقاليد الدينية التى تركها الإنسان - مهما كان صالحا - لا يمكن لها ابداً أن يكون لها سلطة روحية ، والكتاب المقدس يوضح كذلك أنه ليس لنا حق أن نحكم حكما إنسانياً فى أى موضوع ، فكلمة الله وحدها هى الملزمة لكل المؤمنين « وأما انت فلماذا تدين أخاك - أى تحاكمه - أو انت أيضا لماذا تزدرى بأخيك لأننا جميعا - المؤمنون - سوف نقف امام كرسى المسيح » رومية ١٤ : ١٠ ، « فلا نحاكم أيضا بعضنا بعضاً بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة » رومية ١٤ : ١٣ .

وهذه نصيحة صالحة تستمر فى ١كورنثوس ٤ : ٣ » ، وأما أنا فأقل شيء عندى أن يُحكم فىّ منكم أو من يوم بشر بل لست احكم فى نفسى ايضا » .

وبولس كان مهتما بما يقوله الله وليس بما يقوله إنسان ، وهو يحذر ثانية من تقاليد الناس « أنظروا أن لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح » كولوسى ٢ : ٢٨ ، « فلا يحكم عليكم احد فى اكل او شرب او من جهة عيد أو هلال او سبت » كولوسى ٢ : ١٦ .

وبولس لم يكتفى بتوضيح ان الأسفار المقدسة هى السلطة الروحية المطلقة والنهائية بل هى السلطة الوحيدة ، وليس لنا حق أن نحكم على احد بالآراء الشخصية أو بالتقليد لأن الحكم الوحيد هو الكتاب المقدس .

الكنائس المحلية المستقلة

من الواضح فى العهد الجديد أن كل كنيسة كانت مستقلة عن كل سلطة أو سيادة من الكنائس الأخرى ، وبالرغم من حالة كنيسة كورنثوس الروحية المتدنية ، كان بولس دائما يلجأ إليهم لحل مشاكلهم ، فلم يكن هناك « أسقف الناحية » ولا رئاسة طائفية ، أو تنظيمات كنائسية أو سنودس لكى تصحح أخطاء

كورنثوس وتحل مشاكلها ، وككنيسة مستقلة كان عليها أن تحل مشاكلها بنفسها .

وحين أراد بولس أن يجمع مالاً للقديسين الفقراء فى كنيسة أورشليم كان عليه أن يلجأ إلى المساعدات ، وكان القديسون فى أورشليم يعانون من إضطهاد المسئولين المحليين ، ولم يكن هناك سلطة كتابية على الكنائس المحلية تأمرهم ان يساعدوا الأعضاء الفقراء فى الكنيسة فى أورشليم ، ولكن سخاءهم الذى لجأ إليه بولس وآخرون هو فقط الذى دفعهم إلى عطاء ما يريدون لا ما يُفرض عليهم .

وحين انحرفت كنيسة غلاطية إلى البدع لم تكن هناك سلطة خارجية لتوقفهم ، وطلب منهم بولس أن لا يتركوا حق الإنجيل الذى سبق وبشرهم به (أنظر غلاطية ١ : ٦ - ٩ ، ٣ : ١ - ٥) ، وحتى لو اختاروا أن يستمروا فى خطاهم فلم يكن هناك من له سلطة لكى يمنعهم .

العضوية المتجددة للكنيسة

كان كل من بولس وبطرس ويهوذا ويوحنا ويعقوب يتجه إلى الكنائس المحلية والأفراد الذين فى تلك الكنائس على أساس من الحق الذى يوجهونه إلى المؤمنين فى تلك الكنائس ، وحث تلك الكنائس على النمو والتمسك بحق الإنجيل والسلوك المسيحى بالمحبة يصبح بلا معنى لو انه موجه إلى أعضاء غير مخلصين .

والواقع أن كل كتبة العهد الجديد يحذرون من أن الخطاة سوف يحاولون التسلل إلى عضوية وقيادة الكنائس المحلية (انظر أعمال ٢٠ : ٢٨ ، ٢ بطرس ٢ : ١ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٢ – ٢٦ ، ١ تيموثاوس ٤ : ١ و ٢ ، يهوذا ٤ ، يعقوب ٢ : ١٨) وفى كثير من كنائس الوقت الحاضر لم يعد الخطاة فى حاجة إلى التسلل فقد ولدوا فى عضوية الكنيسة أو يُرحب بهم بأذرع مفتوحة ، وخلال تاريخ الكنيسة خُربت حركات مسيحية بواسطة الجيل التالى لأن الكنيسة فشلت فى الانتباه إلى مبدأ العضوية المتجددة فقط .

المعمودية بالتغطيس للمؤمنين فقط

احتاج الأمر إلى « مياه كثيرة » لكى يعمد فيلبس الخصى كما نرى فى أعمال ٨ : ٣٦ و ٣٧ ، وفيلبس لم يستخدم قطرات قليلة من أوانى الماء التى كان يحملها الخصى فى عربته – ومن الواضح من سؤال الخصى وجواب فيلبس أن الإيمان كان الشرط الأساسى للمعمودية « وفيما هما سائران فى الطريق أقبلا على ماء فقال الخصى هو ذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد ؟ فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع هو المسيح ابن الله » (تأمل فى العدد ٣٨) .

ولا يوجد فى كل العهد الجديد أى ذكر لمعمودية الأطفال أو المعمودية بالرش أو السكب أو معمودية خاطئ لم يتجدد بعد .

المعمودية وعشاء الرب فريضتا الكنيسة

فى سفر الأعمال نجد شواهد متعددة للمعمودية وعشاء الرب ، ويبدو من الشواهد أن هاتين الفريضتين كانتا أساسيتين فى حياة كنيسة العهد الجديد ، ورسائل بولس بها العديد من الشواهد عن المعمودية وعشاء الرب ، ولا يوجد أى نشاط كنسى يقارن أو يعوض عن هاتين الفريضتين أو يوضع على نفس مستواهما فى الأهمية .

فى ١ كورنثوس ١١ : ٢ يحث بولس أهل كورنثوس «.. تحفظون التعاليم كما سلمتها إليكم » ونستطيع أن نتعلم ثلاث حقائق هامة من هذه الآية :

* كانت المعمودية وعشاء الرب هما الفريضتان الوحيدتان التى كتب عنهما بولس .
* المعمودية وعشاء الرب فريضتان – وليس طقسين – كما أنهما ليسا وسيلة للخلاص .
* أنهما فريضتان دائمتان .

كهنوت كل المؤمنين وحرية النفس

العهد الجديد حافل بالإرشادات للمؤمنين عن الحياة الروحية ، ويوحنا كتب رسالتيه الثانية والثالثة لشخصيات محددة لكى تتعامل مع الأمور الشخصية الروحية ، ولا يوجد

مثال واحد بعد الصليب على ان احداً يصبح كاهنا لأحد آخر وحين انشق حجاب الهيكل (عند موت المسيح) اصبح كل مؤمن ممثلا لنفسه أمام الله .

إنفصال الكنيسة عن الدولة

من الواضح جداً فى سفر الأعمال أن كنيسة العهد الجديد كانت غالبا موضع إضطهاد من الدولة ، فهناك اضطهاد الرسل فى أورشليم ، ورجم اسطفانوس ، والاضطهاد الذى قاده شاول الطرسوسى ، والقبض المتكرر على بولس الرسول ، وأخيرا سجنه فى روما ، حقا إن سفر الأعمال هو قصة إضطهاد مستمرة ، وكنيسة العهد الجديد رفضت أن تعصى الرب لكى ترضى الدولة ، ومن السهل ايضا ان نرى أنه ليس للكنيسة أى سيادة أو سلطة على الدولة .

فإذا كان تعريفك للمعمدانيين انهم مؤمنون كارزون يتمسكون بالحقائق الأساسية للإيمان المسيحى ، وانهم يعلّمون ويمارسون المميزات المعمدانية التاريخية ، إذن يمكن القول بدقة وامانة ان كنيسة العهد الجديد كانت معمدانية .



(٤)

هل كانت الكنائس الأولى معمدانية

« وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع . كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر » ٢ تيموثاوس ٣ : ١٥ و ١٦ .

***

بحلول عام ١٠٠ ميلادية توطدت المسيحية بقوة فى أسيا الصغرى وسوريا ومقدونية واليونان وروما ومصر ، وبحلول عام ١١٣ م كان احد حكام روما يشتكى للإمبراطور تراجان أن المسيحية أثرت فى عبادة الهيكل الوثنى .

والكثير من تاريخ الكنائس الأولى معروف مما كتبه « الآباء » الذين جاءوا بعد الرسل ، وهؤلاء كانوا قادة الكنيسة الذين تأثروا بقوة بالرسل ، وأولئك القادة ومنهم اغناطيوس الأنطاكى ، وكليمنت من روما ، وبوليكارب وبرنابا وهيرماس ، كل هؤلاء كتبوا فيما بين سنة ١٠٠ وسنة ١٥٠ ميلادية ، وهناك وثيقة

مهمة معروفة هى « تعاليم الرسل الاثنى عشر » وهذه الكتابات اثبتت ان كثيراً من الأفكار المتباينة بدأت تجد طريقها بين المؤمنين من البداية ، كما اظهرت هذه الكتابات أن المؤمنين الأوائل كانوا متحدين فيما يتعلق بالتعاليم الأساسية للإيمان المسيحى ، والذين رفضوا هذه التعاليم الأساسية لم يُحسبوا مؤمنين حقيقيين .

والعديد من الأفكار المعمدانية كانت معروفة من كل أولئك الكتّاب ، والكنائس الأولى كانت معروفة بوجه عام انها كنائس محلية مكونة من مؤمنين معمدين ، والعضوية فيها كانت من حق المعترفين بالإيمان الذى تتبعه المعمودية بالتغطيس ، وكان من الواضح ان الكنائس منفصلة عن الدولة ، وغالباً ما كانت مضطهدة من الإدارات المحلية ، والمؤمنون كأفراد كانوا كلهم معتبرين كهنة ، كل واحد منهم له حق الاقتراب إلى الله دون وساطة بشرية .

ومن البداية الأولى بدى أن هناك جدلاً حول عشاء الرب ، فبعض القادة الأولين مثل اغناطيوس علّموا أن التناول من عشاء الرب ضرورى للحصول على الخلاص ، وآخرون مثل كليمنت وبوليكارب - تلميذ الرسول يوحنا - علّموا أن عشاء الرب هو ببساطة عمل طاعة .

كذلك كان هناك جدل حول سلطة الكتاب المقدس الوحيدة ، وكانت الأسفار المقدسة قد أضحت السلطة الوحيدة للإيمان والسلوك ، فالرسل - وربما الذين اشتركوا معهم - كانوا مازالوا يقبلون إعلانات ، وعلامات حتى سنة ٩٠ م تقريبا (هذا تقدير جزافى) ، وبعض من كتّاب الكنيسة الأولى (الآباء الذين عاصروا الرسل) قد رأوا المواهب والمعجزات فى خدمة الرسل ، وبوليكارب الذى كان شابا يافعاً كان مساعداً للرسول يوحنا .. كثيرا ما رأى مواهب المعجزات .

كانت كل أسفار العهد الجديد قد كُتبت ، ولكن نسخا من الأسفار لم تكن دائما فى متناول يد قادة الكنيسة ، ومن المؤكد انه من السهل فهم ارتباكهم فى تلك الفترة قياساً على فهمنا لمثل هذا الارتباك اليوم .

ومن الواضح أن عبارات : أسقف ، وراعى ، وشيخ ، وناظر فى الكنيسة الأولى كانت متساوية المعنى ، وكل هذه التسميات كانت تشير إلى قادة روحيين فى الكنيسة أو فى الاجتماع ، ويبدو أن كلمة أسقف تشير فقط إلى الراعى صاحب المسئولية النهائية فى اجتماع محلى ، ولكن مفهوم الأسقف الذى يترأس على عدد من الاجتماعات فى مناطق متعددة لم يكن معروفاً للآباء الأولين فى الكنيسة .

ومن المبالغة أن نقول أن كل آباء الكنيسة الأولين - بعـ الرسل - كانوا معمدانيين ، ولكن من الواضح أن المفاهيـ المعمدانية كانت موجودة ، وكذلك من الواضح أن ولا واحدة من الميزات المعمدانية لم تكن موجودة أو كانت فكراً ومفهوما جديدا عند الآباء الأولين ، فهذه المفاهيم المعمدانية كانت موجودة فى الكنيسة الأولى ومن البداية ، ويمكن القول أن بعض الآباء كان معمدانيا ، فمثلا بوليكارب لم يكتب عن كل المفاهيم التى نسميها المميزات المعمدانية ، ولكن ما كتبه عن أى تعليم كان من الواضح انه معمدانى .

وهناك مصدر هام آخر للمعلومات عن الكنيسة الأولى وهم المدافعون Apologists ، فهؤلاء كتبوا شروحات للعالـ الوثنى ، ومن هؤلاء المدافعين - الشارحين - جوستن مارتير وتاتيان ، وأنثيجورس ، وتاوفيلس الأنطاكى .. وقد كتبوا خلال القرن الثانى ليشرحوا المسيحية بعبارات يستطيع أن يفهمـ الوثنيون ، وبينما لم تقدم طبيعة عملهم إلى التعليق على كل المفاهيم المعبّر عنها فى المميزات المعمدانية ، لكنهم كانوا دائمـ يتكلمون عن المبدأ المعمدانى وهو إنفصال الكنيسة عن الدولة كما كانوا يشيرون فى أغلب كتاباتهم إلى سلطة الكتاب الوحيدة .

وواجهت المدافعين صعوبة فى شرح إنفصال الكنيسة عن الدولة بسبب استبداد حكم الأمبراطورية الرومانية ، وحاولوا أن يوصلوا الحق بأن هذا لا يعنى أبداً أن الفرد المسيحى فوضوى ، وكان عليهم أن يشرحوا أن هذا الحق لا يعنى التمرد على قيصر ولا يتطلبه ، والمدافعون - الشارحون - الأولون كانوا متفقين على الدفاع عن مفهوم إنفصال الكنيسة عن الدولة ، وهذا يوضح الموقف العام للمؤمنين فى الكنيسة الأولى ، والفريق الثانى الهام من الكتّاب هم المشار إليهم بأنهم آباء الكنيسة الأولى ، وقد كتبوا فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث ، ومن ضمن هؤلاء إيرانيوس - الذى تأثر ببوليكارب - وترتليان ، وسبريان ، وكليمنت الاسكندرى ، وأوريجون ، وفى ذلك الوقت أصبح المؤمنون أكثر تنظيما ، والكنائس المحلية المستقلة بدأت تختفى ، ومحيط المفاهيم التى كان يتمسك بها المؤمنون الأوائل كان يتسع باستمرار ، إلا أن المجادلات فى تلك الفترة تكشف عن معتقدات الكنائس فى تلك الفترة .

وكان هناك صراع بخصوص مفهوم معمودية الأطفال ، وهذا الصراع يُظهر أن معمودية الأطفال كانت فكرة دخيلة ، وكان من الصعب على المساندين لها أن يقنعوا الكنائس بترك موقفهم الأصيل الثابت عن معمودية المؤمنين فقط وبالتغطيس .

وكثيرون من الأفراد وكذلك الكنائس رفضوا قبول سيطرة الكنائس التى فى المدن الكبيرة على الكنائس التى فى الريف أو القرى ، وكان هذا الفكر قد بدأ يظهر بين بعض الحركات الدينية المنحرفة التى ظهرت فى ذلك الحين ، وبسبب هذا المفهوم المنحرف رفض ترتليان أن يرتبط مع تنظيمات الجماعات الكنسية التى تعضد مثل هذا الفكر ، ومن الواضح أن الكنائس المحلية كانت قد تعودت أن تكون مستقلة ، وكثير منها لم يرد التنازل عن استقلالها من أجل « إمتياز » الاتحاد الكنسى .

والتنوع الكبير للعقائد التى تمسكوا بها خلال تلك الفترة يبرهن على أن كل فرد من المؤمنين كان حراً فى فهم الأسفار المقدسة لنفسه ، ومن الواضح أن ترتليان قد تمسك بمعمودية المؤمنين ، ويبدو ايرانيوس معمدانياً فى كل مميز من المميزات المعمدانية بصورة محددة ، ولم تكن هناك كنيسة تابعة للدولة لكى تجبر الشعب بماذا يؤمن ، ولم يكن التنظيم الكنسى من القوة لكى يسيطر على التعاليم العقائدية .

كتب ايرانيوس ضد هرطقة الأغناطوسية ، وكان ايرانيوس راعيا لكنيسة فى فرنسا ، وكان متميزاً وواضحاً فيما يخص الأساسيات المسيحية ، وكتب بغزارة عن سلطة الكتاب المقدس الوحيدة ، واعتبر الكتاب المقدس المصدر الوحيد للسلطة

الروحية ، واعتقد أن المواهب التى كانت من نصيب الرسل لم يعد لها وجود ، وحين كان شاباً يافعاً عرف رجالاً أكبر منه سنا من ضمنهم بوليكارب الذى رأى المواهب وهى تمارس على يد الرسل (خاصة الرسول يوحنا) وكتب إيرانيوس انه من الصعب وصف المواهب الرسولية فى أيامه لأنه لا يوجد واحد من الأحياء قد رأى هذه المواهب بعينيه ، وأرجع غيابها إلى ان كل الكتاب قد كمل ، واكدت كتاباته أن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة وهو مصدر كل تعليم مسيحى ، ومات ايرانيوس شهيداً .

وسبريان وأوريجون والاسكندر ابتكروا تقاليد جديدة فى المسيحية الإسمية ، وسنناقش أفكارهم فى فصل آخر ، ولكن من المهم أن نلاحظ هنا أن أفكارهم غير المعمدانية نُظر إليها كأفكار دخيلة ، وقد أنقضى عليهم وقت طويل قبل أن يُقبلوا من بعض المنظمات المسيحية ، ولكن الأغلبية من الكنائس المستقلة لم تقبلهم ، والكتاب المقدس لم يكن على أى حال هو المرجع الأساسى لهذه التعاليم الدخيلة ، وافتُرض أن هذه التعاليم قائمة على المنطق ، والفلسفة اليونانية ، والممارسة العادية ، وحقيقة أن هذه الأفكار الدخيلة قد وجدت صعوبة فى الحصول على القبول يؤكد أن المؤمنين قد اعتادوا الاستقرار على سلطة كلمة الله .

ومن البداية الأولى للمسيحية كان هناك عدم اتفاق على

تعاليم عديدة ، وهذا نراه حتى فى العهد الجديد ، كذلك من الواضح أن الأفكار المعمدانية ممكن رؤيتها فى المراحل المبكرة للمسيحية وهى ليست بأى حال ابتكارات حديثة ، ومن المؤكد أن الكنائس الأولى والخدام كانوا معمدانيين ، ومن المؤكد أن أولئك المعمدانيين الأوائل كانوا من أتباع الرسل الثابتين .



(٥)

تاريخ عقيدة المعمودية

« الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامه يسوع المسيح »
١ بطرس ٣ : ٢١ .

***

حوالى القرن الثالث قبل الميلاد كانت المعمودية ومفهومها معروفة بين الكثير من الجماعات الدينية ، وكانت عادة ما تدل على ترك واحد لجماعة دينية والانضمام لجماعة دينية أخرى ، وكانت ممارسة عادية للأمميين الذين يرغبون ترك ديانتهم الوثنية والانضمام لليهودية ، والأمميون كانوا يعتمدون بالتغطيس – كما تؤكد كل السجلات التاريخية – ، وكانت المعمودية تمارس فى حفل عام ، وأغلب اليهود كانوا يعتبرون الأممى الذى اعتمد واحداً منهم .

وبعد قرابة ٤٠٠ سنة بدون نبى حقيقى أرسل الله يوحنا

المعمدان لليهود ، وبشّر يوحنا بالتوبة وبالإيمان بالمسيا - المسيح - واستخدم المعمودية كعلامة على حقيقة هذا الإيمان فى حياة الفرد ، وأصبح يوحنا مرتبطا بهذه الممارسة حتى عُرف بيوحنا المعمدان ، ومن الواضح أن يوحنا عمد بالتغطيس حيث كان يوجد ماء كثير كما نقرأ فى مرقس ١ : ٥ « وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى الأردن معترفين بخطاياهم » ، ودليل آخر يوجد فى يوحنا ٣ : ٢٣ ، « وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون إليه ويعتمدون منه » ، ونلاحظ الكلمات « كان هناك مياه كثيرة » ، فلو كان يوحنا يسكب ماء على رءوسهم ما كان يحتاج إلى « مياه كثيرة » .

وأصبحت المعمودية صورة للارتباط بحقيقة دينية ، ورمزا للتغيير فى العالم الدينى ، والمعمودية بالتغطيس - إغراق الفرد فى الماء ثم إخراجه منه - هيأت صورة جميلة لموت ودفن وقيامة المسيا الموعود به ، وهذا مهم حين نتأمل فى معمودية المسيح ، فهو لم يكن فى حاجة للمعمودية كعلامة تجديد ، فقد كان بلا خطية ، وكان هو المخلص ، ولكنه بمعموديته ربط نفسه بالحق الذى كان يوحنا يبشر به ، كما صور فيها - فى المعمودية - موته ودفنه وقيامته ، وليس هناك أى شك فى أن يوحنا عمّد

يسوع بالتغطيس ، وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن ، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه . وكان صوت من السموات . أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » مرقس ١ : ٩ - ١١ .

لاحظ أنه « صعد » من الماء ، فلم يمارس السكب هنا ! .

ومعمودية المخلصين كانت وصية المسيح الواضحة فى الإرسالية العظمى فى متى ٢٨ : ١٩ « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ، ومن الواضح أن المعمودية كانت تُمارس فى كنائس العهد الجديد كما نرى فى أعمال ٢ : ٤١ ، « فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » ، ولاحظ أيضا معمودية ليديا بعد تجديدها (أعمال ١٦ : ١٥) ، ومعمودية سجان فيلبى كذلك بعد خلاصه (أعمال ١٦ : ٣٢) ومعمودية استفانوس (١ كورنثوس ١ : ١٦) .

وكان من السهل على الكنيسة الأولى أن تحافظ على شكل المعمودية (بالتغطيس) نقيا حيث كانت اللغة اليونانية هى اللغة التى تُقرأ ويتكلم بها الناس ، وكان من السهل أيضا أن يذكر الناس أن المعمودية بالتغطيس ، والفعل اليونانى (بابتزو)

والاسم (بابتزما) كانت كلمات شائعة فى اللغة اليونانية وكان لهذه الكلمات استخدامات أخرى غير اتصالها بالفريضة الدينية اى المعمودية وكان معناها الشائع « يغمر ، يغطس ، يغطى بالماء » وبسبب المعرفة العامة باللغة اليونانية لم يكن هناك إلا جدل قليل عن شكل المعمودية لمئات من السنين ما عدا ما حدث من تواطؤ بسبب معمودية المرضى ، ولأكثر من ألف عام كان التغطيس هو الشكل الأصيل للمعمودية حتى بعد دخول معمودية الأطفال ، وحتى إلى أواخر القرن السادس عشر تعمدت شخصيات تاريخية مثل الملك هنرى الثامن والملكة إليزابث الأولى بالتغطيس .

ومعمودية المرضى كانت تمارس بالرش للمقعدين أو العاجزين عن الحركة وكانت الحجة : حيث أن التغطيس صعب لمثل أولئك المعوقين فالله سوف يقبل الرش كأفضل طريقة يمكن ممارستها فى مثل تلك الظروف ، وهذه الطريقة مورست قرابة القرن الثانى قبل الميلاد ، واصبح هذا الطواطؤ من سوء الحظ سارياً وخاصة بعد أن انتهى استعمال اللغة اليونانية ، فكثيرون لم يعودوا يفهمون خلفية وأساس كلمة معمودية ، متخيلين أن اى ارتباط بالمسيح كما يشار إليه بالماء هو المعمودية ، ومن سوء الحظ أيضا أن الكنائس الأولى لم تجد الأمر سهلاً للحفاظ على

عقيدة المعمودية واضحة ، وانسحب هذا على شكل المعمودية كذلك .

وفى أوائل القرن الثالث علّم (سبريان) وهو أحد قادة الكنيسة وأسقف قرطاجة أن المعمودية وعشاء الرب والارتباط بالكنيسة أمور ضرورية للتجديد !! .

وهذا هو أول مثال لمعمودية التجديد ، وإن كان سبريان لم يستخدم هذا التعليم ليبرر به معمودية الأطفال إلا أن آخرين فعلوا هذا ، ويبدو أن هؤلاء الآخرين اعتقدوا فعلاً بمعمودية الأطفال لأن (ترتليان) علّم بقوة فى القرن الثالث ضد هذه الفكرة .

وإن بدأ الامبراطور قسطنطين يخلط الكنيسة بالدولة فى القرن الرابع ، أخذت المعمودية معنى جديداً مع كثيرين ، فقد نُظر إلى المعمودية كعلامة للخضوع للدولة وكانت غالباً ما ترتبط بالمواطنة ، وحين أمر (جوستنيان) عام ٥٥٠ م كل غير المسيحيين فى الامبراطورية الرومانية أن يعتنقوا المسيحية امرهم جميعا بما فيهم الأطفال أن يعتمدوا ، وبعد ذلك فى القرن التاسع حين أمر (شرلمان) كل القبائل الألمانية أن يعتنقوا المسيحية ، وأجبر كل واحد أن يعتمد بما فيهم الأطفال ، ورفض معمودية الأطفال أصبح علامة على مقاومة السلطة السياسية .

كثيرون رفضوا أن يكون هناك ارتباط بين الكنيسة والدولة ، كما رفضوا فكرة معمودية الأطفال ، وفى بعض الأحيان كان القادة المحليون يتحملون هذا الخلط ، ولكن فى أغلب الأحيان كان هؤلاء الرافضون يقعون تحت إضطهاد شديد ، ومن الصعب جداً أن نُقدر كم من الملايين قتلوا لرفضهم الموافقة على معمودية الأطفال واتحاد الكنيسة بالدولة ، وسوف نتأمل بعض هذه الجماعات والأفراد .

ومعمودية الأطفال كعلاقة على عضوية الكنيسة والمواطنة أصبحت التعليم العادى عن المعمودية ، وبنمو الكثلكة الرومانية فى القوة والتنظيم أصبحت فكرة أن المعمودية تشكل جزءاً من الخلاص اكثر إنتشاراً ، وأصبح رفض هذه التعاليم ، وعدم الموافقة على ما تنادى به وتمارسه الكاثوليكية وصمة وعلامة من السهل التعرف على أصحابها .

وصعوبة تعميد الأطفال بالتغطيس سرعان ما أوحى إلى القيادة الكاثوليكية اعتناق فكرة الرش ، ولم تصبح هذه شائعة حتى القرن الثانى عشر ، بل كانت غير مقبولة فى بلاد كثيرة حتى القرن السابع عشر .

وأدخل المصلحون البروتستانت إلى العالم الدينى مناقشة من نوع جديد عن المعمودية ، وقد رفض البروتستانت الأفكار

والتعاليم المعمدانية (وفى بعض الأحيان كانوا يقتلون المعمدانيين) ولكنهم - اى البروتستانت - علّموا بعقيدة الخلاص بالإيمان ، وكان هذا التعليم لا يتفق مع عقيدة الكاثوليك عن المعمودية .

وأخيراً وافق معظم المصلحين على أن معمودية الأطفال بالرش كان شيئا جيداً ، وانها تشكل عنصراً لعضوية الكنيسة (وفى بعض الأحيان للمواطنة) ولكنها لم تكن عنصراً فى الخلاص الشخصى ، وعمّد البروتستانت كذلك البالغين بالرش ، والبعض جعل المعمودية بالرش معادلاً للختان فى العهد القديم (الأمر الذى كان يجعل الإنسان مواطنا إسرائيليا) ولمدة ٣٠٠ سنة كان هناك ثلاث تعاليم رئيسية عن المعمودية :

* تعليم الكاثوليك عن معمودية الأطفال كجزء من خلاصهم ولأجل عضويتهم فى الكنيسة .
* التعليم المعمدانى عن المعمودية بالتغطيس للمؤمنين فقط .
* التعليم البروتستانتى عن المعمودية (عادة برش الأطفال) لعضوية الكنيسة ، وفى القرن السابع عشر فى إنجلترا صممت كنيسة إنجلترا أن تتخلص من ممارسة المعمودية بالتغطيس على مستوى الأمة ، وطبعت الحكومة قواميس يونانية جديدة تبين استخدام الكلمة بين لغتين ، وقالت -

بصورة مزيفة - أن كلمة (بابتزو) تعنى (الرش) ولكن كان فى إنجلترا الكثيرين من دارسى اللغة اليونانية الذين يعرفون الحقيقة اللغوية ، وهذا جعل من القواميس التى نشرتها الدولة موضوعاً وهدفاً للسخرية ، وسرعان ما سُحبت تلك القواميس من السوق .

وفى منتصف القرن التاسع عشر برز تعليم جديد وأصبح مشهوراً ، وهذا التعليم معروف باسم صاحبه (الكسندر كامبل) ويقول أن المعمودية جزء من الإعلان عن الإيمان ، ويقول أن الإنسان لا يعبر عن تجديده وإيمانه إلى أن يعتمد بالتغطيس فى كنيسة تعلّم بهذه العقيدة ، وهذه الإضافة إلى الإنجيل رفضها المعمدانيون تماما ، وسرعان ما صار أتباع كامبل حركة منفصلة أطلقت على نفسها (تلاميذ المسيح) أو (كنيسة المسيح) وهذا خلق فكراً رابعاً لتعليم المعمودية .

إن المعمودية بالتغطيس كشهادة عن الإيمان المخلص بالمسيح ينبغى أن تكون أكثر من مجرد تعليم فى مرجع ، وينبغى أن تكون اختباراً جميلا فى حياتك المسيحية الخاصة .

وإذا لم تكن قد وُلدت الولادة الجديدة شخصيا ، فينبغى أن تعترف - لله - بأنك خاطئ ، وأن تضع إيمانك فى المسيح وموته ودفنه وقيامته من أجل خطاياك ، وإذا كنت قد خلصت ولكنك لم

تعتمد بعد فعليك أن تسرع بذلك ، فالمعمودية هى الخطوة الأولى للطاعة فى حياة المؤمن ، وتعطى للمؤمن الحديث ضميراً صالحا أمام الله .



(٦)

مقارنة بين المعمدانيين والطوائف الأخرى ، والحركات الدينية

« أما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح » تيطس ٢ : ١

« كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال . بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح » أفسس ٤ : ١٤ و ١٥ .

***

الغرض من هذه الدراسة ليس الانتقاد ، ولكن لكي نميز بين الجماعات الدينية المختلفة وبين الطوائف المتعددة ، لنعرف أين تقف كل واحدة من هذه الجماعات من المفاهيم التي تأملنا فيها سابقا ، وعرفناها « بالمميزات المعمدانية » وبعض الجماعات التي سنفحصها هي حركات تتمركز حول أفكار وعقائد جاءت في عبادات عدد من الطوائف ، والبعض طوائف ثابتة من مدة طويلة

بينما جماعات أخرى ظهرت حديثا أقل ثباتا وعمراً وتدعى أنها الممثلة الحقيقية للمسيحية .

العصريون Modenists

العصرية حركة تنكر الوحي الكامل للأسفار المقدسة ، وبهذا تنكر سلطة الكتاب المقدس الوحيدة ، والعصريون عادة ينكرون الوهية المسيح ، والخلاص الشخصي ، والحقائق المسيحية الأساسية ، وربما يتمسكون أحيانا بواحدة أو أكثر من « المميزات المعمدانية » وهذا الموقف راجع ليس إلى الحق الواضح في الكتاب المقدس ولكن لأنه يتفق مع المنطق ، ومع الأسف أن العصرية اخترقت الكثير من الحركات الدينية ، وتعمل تحت العديد من المسميات ، وهناك كذلك كنائس عصرية تستخدم الاسم « المعمداني » برغم أنهم ينكرون كل العقائد الأساسية للمعمدانيين .

الكاثوليكية الرومانية

الكاثوليكية الرومانية هي أكبر الطوائف في العالم ، وهي مسيحية بالاسم كأي طائفة طقسية تبعد عن تعاليم الكتاب المقدس وتتمسك بالتقاليد ، وتضع هذه التقاليد على مستوى واحد من كلمة الله ! .

وتتبع الكاثوليكية الرومانية خطأ غير منقطع يعود إلى

الرسول بطرس الذى يرفعونه إلى رتبة « البابا الأول » ، والواقع أن الكيان الكاثوليكى العصرى يرجع فقط إلى القرن الخامس (وهذا أيضا فيه بعض المبالغة) ، والكاثوليكية الرومانية فى أمور كثيرة فى تضاد كلى مع الإيمان المعمدانى :

* الكاثوليكية تصر على أن التقليد الكنسى ، وسلطة البابا ، ومجالس الاكليروس مساوية للأسفار المقدسة - كلمة الله - كسلطات روحية .

* الكنائس الكاثوليكية ليست مستقلة بحال من الأحوال - كذلك كل الكنائس الطقسية - لكنها تحت سيطرة وهيمنة نظام كهنوتى صارم .

* حيث أن الكاثوليكية لا تتمسك بتعليم الخلاص الشخصى بالإيمان فليس لديها مفهوم عن عضوية الكنيسة المتجددة - أى الأعضاء المجددين - فالفرد يصبح عضوا فى الكنيسة الكاثوليكية بالولادة فى الكنيسة أو بالإعلان عن انتمائه لها .

* الكاثوليكية تعلم وتمارس معمودية الرش لكل الأطفال المولودين فى عائلات كاثوليكية ، وأغلب الكاثوليك يعتقدون أن للمعمودية تلعب دوراً فى الخلاص .

* الكاثوليكية تعلم أن هناك ستة فرائض أخرى (بما فيها التناول) وأنها كلها تلعب دوراً فى الخلاص ، لأن هذه

« الأعمال » يُعتقد أنها تقود للخلاص وكثيراً ما يطلق الكاثوليك على هذه الفرائض (أسرار) .

* الكاثوليكية تعلّم أن الذين وضعت الكنيسة أيديها عليهم هم فقط الكهنة ، وأن الآخرين يقتربون إلى الله عن طريق هؤلاء الكهنة .

* لا تعلّم الكاثوليكية حرية النفس ، وتعلّم أن الكنيسة فقط هى المسئولة عن تفسير الكتاب المقدس ، وفى الماضى - وما زال الأمر كذلك فى بعض الأماكن - عارضت الكاثوليكية فكرة امتلاك الفرد للكتاب المقدس .

* وخلال التاريخ كانت الكاثوليكية العدو الأكبر لمفهوم انفصال الكنيسة عن الدولة ، والتاريخ الدموى للمدنية الغربية من القرن السادس إلى القرن الثامن عشر هو فى الأساس مكافحة الكاثوليك للسيطرة على الحكومات ، والكاثوليكية حتى اليوم لها تأثير كبير على بعض الحكومات فى بلاد عديدة .

المشيخية

هذه الحركة يشار إليها أحياناً « بالكلفينية » أو « المصلحة » وكثير من الكنائس « المشيخية » قد تأثرت بالعصرية والعصرانيين ، ولكن منها أقلية مازالت تتمسك بالمعتقدات المشيخية التاريخية ، والكنائس المشيخية الأصلية علّمت بنفس

أساسيات الإيمان المسيحى مثل المعمدانيين ، وهناك أمثلة عديدة فى المشيخية التاريخية ، والمعمدانية التاريخية وعملهما معاً لنشر رسالة الانجيل فى كل العالم (وخاصة فى الولايات المتحدة) إلا أن المشيخيين التاريخيين قد اتخذوا موقفاً مختلفاً تماماً لمعظم الحقائق المعروفة بالمميزات المعمدانية :

* المشيخية تعلّم أن الكتاب المقدس هو السلطة « النهائية » وليس السلطة « الوحيدة » للإيمان والسلوك ، وتضع تأكيداً كبيراً على دور الكنيسة فى تفسير كلمة الله .

* تاريخيا ، الكنائس المشيخية تحت سلطة الرئاسة الطائفية إلا انهم فى السنوات الأخيرة – وفى الولايات المتحدة فقط – تزايد عدد الكنائس التى تعتقد باستقلال الكنيسة المحلية .

* معظم الكنائس المشيخية تسمح بمفهوم عضوية الأطفال المولودين من والدين مشيخيين ، واعتقادهم الراسخ فى عقيدة « الاختيار » يقنعهم بأن أولئك الأطفال « مختارون » للخلاص ، وهذا يقود إلى تأثير الأعضاء البالغين غير المجددين فى الكنيسة التى صاروا فيها أعضاء بالولادة الطبيعية .

* المشيخيون يوافقون على المعمودية بالتغطيس أو الرش أو السكب كطرق متساوية ومقبولة لفريضة المعمودية ، إلا أن الكثيرين منهم يمارس معمودية الرش .

* عادة ما يقبل المشيخيون بفريضتين فقط فى الكنيسة هما المعمودية وعشاء الرب .

* نظريا يقبل المشيخيون كهنوت كل المؤمنين ومفهوم حرية النفس ، ولكن عملياً يضعون تأكيدهم الأكبر على قرارات مجمع الرعاة ، وهذا يجعل من الصعب التمسك بهذه الحقائق .

* المشيخيون – فى الخارج – علّموا بقوة بالكنيسة التى تهيمن عليها الدولة ، وفى العقود الأولى من تاريخ الحركة المشيخية (القرنين السادس عشر والسابع عشر دفعهم هذا الفكر إلى معارضة المعمدانيين بقسوة ، وفى تاريخ اكثر قرباً فى امريكا علّم الكثيرون من المشيخيين المؤمنين بشكل اكثر معقولية بالوحدة بين الكنيسة والدولة ، وكثيرون من المشيخيين المجددين شكلوا كنائس تؤمن بسلطة الكتاب المقدس الوحيدة ، بل لقد شكلوا كنائسهم الكتابية المشيخية الخاصة .

الميثودستية « نهضة القداسة »

قد تأسست هذه الحركة بواسطة (جون وسلى) فى إنجلترا عام ١٧٠٠م واستخدم الله (وسلى) ليدعو الكثيرين إلى إحترام الأسفار المقدسة ، ومفهوم الخلاص الشخصى ، وكثيراً ما عمل الميثودست الكتابيون مع المعمدانيين لكى يقدموا الانجيل لعالم محتاج .

وقد تأسست الحركة الميثودستية على أساسيات الإيمان المسيحى التبشيرى ، والاتحاد معاً فى نظام كنسى ، والكنائس الميثودستية والأفراد تُركوا ليقرروا الكثير من الأمور لأنفسهم ، ومعظمهم قبلوا الكتاب المقدس كالسلطة « النهائية » للإيمان والسلوك (ولم يستطيعوا قبوله كالسلطة « الوحيدة » لأنهم كان لهم سلطة نظامهم الكنسى) ، والكنائس الميثودستية سمح لها دائما باستقلالية اكثر من أى كنيسة يسيطر عليها النظام الطائفى ، إلا أن سلطة الكنيسة فى النهاية مازالت فى يد الطائفة ، ومعظم الكنائس الميثودستية تعمد الأطفال وتقبلهم فى عضوية الكنيسة ، وهم يمارسون المعمودية بالرش أو السكب ، وقليلون منهم – فى الخارج – يتمسكون بمعمودية التغطيس للمؤمنين فقط ، ويؤمن الميثودست بفريضتين فقط للكنيسة هما : المعمودية وعشاء الرب ، وتاريخيا تمسك الميثودست بحرية النفس ، وكهنوت كل المؤمنين ، وانفصال الكنسية عن الدولة .

واليوم – مع الأسف – الكثير من الكنائس الميثودستية يسيطر عليها العصريون ، ومن الجماعات الكارزة بين الميثودست : الميثودست الأحرار ، والوسليون ، الميثودست الكتابيون ، والحجاج المقدسون ، ومعظم الميثودست يتمسكون بالتعليم (الأرمينى) وهو التعليم بإمكانية فقدان الخلاص وهلاك المؤمن .

البنتكوستال Pentecostal

وهؤلاء معروفون (بالحركة الكرزماتية) أو (حركة الألسن) وكان هؤلاء لهم تأثيرهم القوى فى المسيحية التبشيرية فى القرن العشرين ، وهم يعتقدون انهم مازالوا يظهرون المواهب الرسولية اليوم .

والحركة الكرزماتية لا توافق على الكثير من النقاط بما فيها « المميزات المعمدانية » ، ولا يوجد فيهم جماعة واحدة تتمسك بمفهوم السلطة « الوحيدة » للكتاب المقدس للإيمان والسلوك ، لأنهم يؤمنون انهم لا يزالون يقبلون إعلانات إلهية فائقة الطبيعة ، وربما تجد منهم من يوافق مع المعمدانيين على كل واحدة من المميزات المعمدانية الأخرى ، كما تجد بينهم الذين يرفضون ، وطائفة (جماعات الله) مثلا تتمسك بعضوية مجددة للكنيسة ، والمعمودية بالتغطيس للمؤمنين فقط وعشاء الرب كالفريضتين الوحيدتين ، وكهنوت كل المؤمنين ، وحرية النفس ، وانفصال الكنيسة عن الدولة ، لكنهم يضعون حدوداً على استقلالية الكنائس المحلية ، ويؤمنون بالاعلانات الإضافية .

الجماعات البروتستانتية التقليدية

هذه الجماعات مثل : اللوثريون ، الأسقفيون ، الانجليكان ، وقد خرجوا من حركة الاصلاح فى أوروبا ، وكلهم يعتنق تأثير

الحق التبشيرى فى خلفياتهم ، وهم يؤكدون على التقليد الكنسى ، وهذا منعهم من الاتفاق مع المميزات المعمدانية ، وهم يعتقدون بمعمودية الأطفال بالرش ، واتحاد الكنيسة بالدولة ، ولديهم مفهوم محدودية الكهنوت سائدة فى كل جماعاتهم ، وهذه الجماعات الثلاثة متأثرة تأثراً شديداً بالعصرية ، وبالفساد اللاهوتى .

الجماعات المسيحية المزيفة

كثير من هذه الجماعات بدأت فى أمريكا ، وكلها يدّعى أنها التعبير الصحيح والصادق للمسيحية ، ومن هذه الجماعات : المرمون ، شهود يهوه ، الأدفنتست (السبتيون) ، الطريق ، الاتحاد ، العلم المسيحى ، الوحدويون ، وكل هذه الجماعات تنكر لاهوت المسيح ، والخلاص بالإيمان فى موت المسيح ودفنه وقيامته (بناء عليه لا يوجد أى أرضية مشتركة بين هذه الجماعات وبين المعمدانيين بأى صورة) !.

ولأن هذه الجماعات تستخدم الكتاب المقدس فهى تعلّم أحيانا - ومن باب الصدفة - إحدى الحقائق التى يؤكد عليها المعمدانيون ، فمثلا المرمون يعمدون بالتغطيس ، وينادون بكهنوت كل المؤمنين ، وكذلك شهود يهوه ينادون بانفصال الكنيسة عن الدولة ، ولكن ليس هناك أى أساس للشركة أو

اعتراف مشترك بين هذه الجماعات وبين المعمدانيين ، لأنها تأخذ طريقا مختلفاً تماماً تجاه الحق المسيحى .



(٧)

إضطهاد الكنيسة الأولى

« فانقادو إليه . ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم . وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين ان يهانوا من أجل اسمه . وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح » أعمال ٥ : ٤٠ – ٤٢ .

***

الثلاثمائة سنة الأولى من تاريخ الكنيسة الأولى يُطلق عليها عادة « زمن بطولة الكنيسة » ، والمسيح حذّر الرسل بأنهم سيُضطهدون كما حدث معه هو ، وهذا الاضطهاد كان يُرى فى كل مكان فى الثلاثمائة سنة الأولى من عمر المسيحية ، وقد بدا قادة السنهدريم اليهود الاضطهاد ، فقتلوا اسطفانوس وقتل هيرودس يعقوب لكى يُرضى قادة اليهود ، وسجنوا بطرس ويوحنا ، وضايقوا الكنيسة كلها ، وتحت قيادة شاول

الطرسوسى أُضطهدت الكنيسة بقسوة فى أورشليم ، وضربوا وسجنوا وقتلوا أعضاء الكنيسة الأولى ، وبعد خلاص شاول أصبح أعظم قائد مرسلى ، وفى كل مدة خدمته كان هدفاً لاضطهاد اليهود .

واول اضطهاد رسمى رومانى حدث عام ٦٤ م أثناء حكم الامبراطور نيرون ، فقد اشتعلت روما بحريق رهيب ، وكثيرون آمنوا – ولسبب معقول – ان نيرون قد أمر باشعال الحريق لكى يتخلص من معارضيه السياسيين ، واحتاج نيرون إلى كبش فداء ليحول الانتباه عن نفسه ، ووجد أن المسيحيين هم الاختيار الأمثل .

ورغم ان المسيحيين جذبوا آلافاً لكنائسهم إلا انهم كانوا لا يزالون أقلية غير محبوبة فى روما ، ووضع نيرون اللوم عليهم فى موضوع الحريق ، وأطلق ضدهم إضطهاداً عنيفاً وشرساً ، وكثيرون من المسيحيين صُلبوا ، وآخرون أُلقوا للحيوانات المفترسة ، وآخرون غطوهم بالقار وأحرقوهم على خوازيق فى الحدائق المحيطة بالقصر الامبراطورى ، وفى المساء سار نيرون فى حدائقه التى أُنيرت بأجساد المسيحيين الملتهبة ، وجاء فى تقليد كنسى قديم أن بطرس وبولس قتلا فى غضون ذلك الاضطهاد الذى امتد فى كل أنحاء روما .

وفى المائة سنة التالية لم يكن هناك اضطهاد من الحكومة الامبراطورية ولكن الاضطهاد كان شيئا عاديا فى بعض الضواحى ، وقُتل الكثيرون من القادة المسيحيين من ضمنهم اغناطيوس وبوليكارب ، وجوستن مارتير ، وايرانيوس ، وسبريان ، وأصدر الامبراطور ماركوس أوراليوس (عام ١٦١ - ١٨٠ م) مرسوماً بأن أملاك المسيحيين ستكون من نصيب الذين يرشدون الحكومة عنهم ، وفى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية كان جيران المسيحيين يبلّغون عنهم ، وكثيرون قُطعت رؤوسهم ، والآلاف أُلقوا للحيوانات المفترسة لكى يكونوا تسلية لآلاف المتفرجين الذين ازدحموا فى المسارح الرومانية ، وفى أحيان كثيرة كانت أجسادهم تُحرق بالنار ويُلقى برمادها فى الأنهار ، وظن قادة الرومان أن هذا الاضطهاد سيحول دون قيامتهم وقدم الرومان أسبابا بشعة لاضطهادهم المسيحيين :

* لأنهم لم يستطيعوا إدراك المفهوم المسيحى عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، فقد طالبت روما أن تُرخص كل الديانات من الدولة ، وأن تقبل كل الديانات أن تكون الحكومة الرومانية والقيصر هم السلطة النهائية ، والمسيحيون لم يستطيعوا - بضمير صالح - أن يفعلوا هذا ، فالكنيسة والدولة كانتا أمرين مختلفين ، والسلطة الوحيدة للكنيسة كانت إرادة

المسيح كما هى معلنة فى الأسفار المقدسة ، ومما يثير أن نلاحظ أن المبادئ المعروفة الآن « بالمميزات المعمدانية » مثل السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، والكنائس المستقلة التى تدير شئونها بنفسها ، وانفصال الكنيسة عن الدولة كانت منتشرة وذات أهمية قصوى فى الكنيسة الأولى ، وحتى الكنائس التبشيرية اليوم مازالت تناقش مصداقية هذه المبادىء ، وإذا لم تكن هذه المبادئ واضحة ومهمة للكنيسة الأولى كان يمكن لتلك الكنائس أن تتجنب الكثير من الاضطهاد الذى عانته .

* أُتهم المسيحيون أيضا بأنهم ملحدون ، ورغم أن هذه التهمة تدعو إلى السخرية إلا أننا ينبغى أن نذكر أن الرومان اعتادوا عبادة الأوثان ، وعبادة من يستطيعون رؤيته ، والرومان لم يستطيعوا أن يروا معبود المسيحيين وهكذا تخيلوا أن المسيحيين لا يعبدون بالمرة ! .

* أُتهم المسيحيون أيضا بأنهم برابرة - أى أكلى لحوم البشر - وكان هذا سوء فهم لفريضة عشاء الرب .

والعقول الرومانية الفاسدة قادتهم للتخيل أن « الأكل والشرب » من مادتى عشاء الرب اللتين يشيران إلى جسد الرب ودمه يتضمن البربرية التى تمارس فى الذبيحة الطقسية ، وأمر

الامبراطور ديسيوس (٢٤٩ – ٢٥١ م) باضطهاد واسع لكل من لا يعبد الآلهية الرومانية والامبراطورية ، وبعد سبع سنوات أمر امبراطور رومانى آخر بقتل كل المسيحيين ، وحُطمت مباني الكنائس ، وأُحرقت الكتب ، وقُتل آلاف المسيحيين ، ولجأ الكثيرون إلى المخابىء ، وهذه كانت الأيام المشهورة لاختباء المسيحيين فى سراديب روما ، وقد كان هناك اكثر من ٥٠٠ ميل من الخنادق محفورة فى الصخور اللينة تحت مدينة روما والتي شكلت شبكة لا تصدق من الممرات تحت المدينة ، وكانت الخنادق تُحفر فى مبدأ الأمر كأماكن لدفن الموتى ، وفى تلك السراديب اختبأ المسيحيون وأقاموا مجتمعهم الخاص ، وعبارة « ثقافة تحت الأرض » أُستخدمت أولاً لتصف وجود المسيحيين فى الممرات السفلى خلال تلك الفترة .

والاضطهاد الأسوأ كان فى الطريق ، فقد كرّس ديوكليتيان القوة العسكرية لكى تطارد المسيحيين وتحطمهم ، وقدر عدد الذين قُتلوا من المسيحيين فى تلك الفترة بالملايين ، وأُدين هذا الاضطهاد من الامبراطور الذى خلف ديوكليتيان واسمه جالريوس ، إلا أن هذه الإدانة لم تُعد الحياة إلى الموتى ، ولمدة عشر سنوات كان على كل رب عائلة فى الامبراطورية أن يعيش تحت تهديد أنه وعائلته يمكن أن يُؤخذوا فى أى لحظة ويُقتلوا ،

ودفع الاضطهاد المسيحيين إلى الهروب وبذلك انتشروا فى كل أركان الامبراطورية وما بعدها ، وبدون شك اتسعت رقعة الانجيل وانتشر بسبب تلك الاضطهادات الكثيرة التى أصابت الكنائس ، والقرى الرومانية ، والقبائل التى كانت تعيش فى الجبال ، والتى ما كان لها أن تسمع رسالة الانجيل احتكت بالمسيحيين الأمناء ، والأبدية وحدها هى التى ستعلن كم من هؤلاء وصلتهم الرسالة المسيحية كنتيجة للاضطهاد .

وقدرة الكثيرين من المسيحيين على البقاء تحت أمواج الاضطهاد المتتابعة ، أحدثت تأثيراً فى الشعب الرومانى ، وكان من الواضح أن أولئك المسيحيين عندهم قوة تسندهم ، قوة روحية داخلية لا يملكها الآخرون فى الامبراطورية الرومانية ، واستمر عدد المسيحيين ينمو فى الامبراطورية بالرغم من كل الاضطهادات الكثيرة ويعتقد بعض المؤرخين أن تكاثر عدد المسيحيين المجددين بين العسكريين الرومان هو السبب الرئيسى لتوقف الاضطهاد ضد المسيحيين .

واليقين العميق الذى تمسكت به الكنائس الأولى لابد يعلمنا شيئا فى هذه الأيام ، فقد رفضوا أن يكون لما يجرى فى المجتمع الذى حولهم أى قرار أو تأثير فى مستواهم المسيحى .

أمر جالريوس قبل موته بقليل إيقاف الاضطهاد ضد

المسيحيين وقد خلفه قسطنطين الذى نفذ رغباته ، واعتنـ قسطنطين المسيحية وجعلها ديانة الامبراطورية ، ولا يوجد أ دليل على أن قسطنطين قد تجدد ، وبدأ فى خلط التعاليـ المسيحية بالأفكار الدينية الأخرى التى كان يتبعها الكثيرون وكان قسطنطين السياسى الأريب الذى كان يرضى كل واحد ويقدم شيئا لكل واحد .

وواجه المسيحيون قرارات جديدة كان عليهم أن يأخذوا بها فقد بدى أنهم تحرروا من الاضطهاد ، وقُدمت لهم فرصة غير محدودة للتبشير ، وفرصة كبيرة للتأثير فى المجتمع بالقيـ المسيحية ، وكان التعليم الذى كان عليهم أن يتنازلوا عنه ون الحال هو انفصال الكنيسة عن الدولة ، وكذلك مفهوم الكنيسة المستقلة ، وقام فى المسيحيين فريقان :

* الذين قبلوا ارتباط الكنيسة المسيحية بالدولة
* والذين صمدوا من أجل الحفاظ على نقاء كنيسة العهـ الجديد .

والذين قبلوا ارتباط الكنيسة بالدولة تصوروا أنهم بعيدون عن الاضطهاد (رغم أن الامبراطور جوليان أراد إعادة الوثنية بالقوة) والمستقلون (وكانوا يسمون « الانفصاليون » أ « المعمّدون » أو « الانقياء ») وكانوا لا يزالون يعانون م

الاضطهاد ، وكان الاختلاف الوحيد هو أن الاضطهاد جاء « باسم الرب » ! وكثيرون اختاروا الكنائس المرتبطة بالدولة أو الرسمية .

وكان المسيحيون قد انهكوا بعشرات الاضطهادات القاسية ، وكثيرون فقدوا أقرباءهم بسبب المخاوف من الاضطهادات الرومانية ، ومن السهل أن نرى كيف جرّبوا لأن يتواطؤا ، وهذا الخطأ كان مأساوياً على أى حال ، فما أن أصبحت الحكومة ذات سلطة فى الكنيسة حتى توقف الكتاب المقدس عن أن يكون هو السلطة الوحيدة ، وهذا فتح الباب لدخول كل أنواع التغيير فى التعاليم ، وبمرور السنين أخذت الكنيسة الرسمية موقفاً مضاداً من الذين تمسكوا بالمميزات المعمدانية .

وبينما كان قسطنطين ينقح الديانة المسيحية ، كان فى نفس الوقت يحتمل الانفصاليين الذين كانوا يدفعون ضرائب لمساندة الكنائس الرسمية ، ولكنهم لم يقعوا تحت الاضطهاد العنيف ، وكثيرون ممن جاءوا بعد قسطنطين أخذوا نفس موقف الأباطرة الوثنيين الذين اضطهدوا الإيمان المسيحى الذى تمسك به الانفصاليون .

وأمر ثيودوسيوس الكبير (٣٨٥ - ٣٩٥ م) كل سكان الامبراطورية الرومانية أن ينتموا إلى الكنيسة الرسمية ، وعضد رسمياً نظام الكنائس « الحكومية » وسيطرتها على الكنائس

المحلية .

وفى عام ٣٨٥ م ولأول مرة نُفذ حكم الإعدام فى أسبانيا فى الوعاظ المستقلين وهذا باسم « الكنيسة الواحدة الحقيقية » ، وكان هذا أول حدث من نوعه ، ومن المؤكد أنه لم يكن الأخير .

وكان الامبراطور جوستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) أول من أمر بمعمودية الأطفال ، وكانت الامبراطورية فى ذلك الحين قد فقدت السيطرة على أوروبا الغربية ، ولكنها ظلت مسيطرة على اليونان والبلقان والشرق الأوسط ، وكانت تحدث اضطهادات محلية على الذين يعتنقون المبادئ المعمدانية ، لكن معمودية الأطفال أصبحت الآن « قانونا امبراطورياً » ، وهذا قاد إلى الاضطهاد الدموى لجماعة (البولسيان) (أنظر الفصل ٩) .



(٨)

تطورات جيدة ورديئة فى الكنيسة الأولى

« اذكروا الكلام الذى قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده . إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم . وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من اجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى » يوحنا ١٥ : ٢٠ و ٢١ .

***

حين واجهت الكنائس الأولى موضوع الاندماج فى الدولة كانت تواجه الكثير من الجدل ، وهذا الجدل الكثير أثر فى « المسيحية الرسمية » إلى وقتنا الحاضر ، والقرارات التى نتجت عن ذلك الجدل لم تؤثر فى المعمدانيين ولا فى الكنائس المستقلة إلى يومنا الحاضر ، أما الكنائس المنظمة فقد واجهت هذه التحديات بدرجات متفاوتة بالنسبة للأمانة لكلمة الله ، فأحيانا كانت هناك المواقف الجريئة والمضحية من اجل حقائق كتابية

محددة ، ولكن فى أغلب الأحيان كان التواطؤ والتنازل ، واصبحت الكنائس الرسمية خليطاً من المواقف ، فهى تقف أحيانا مع الكتاب ، واحياناً أخرى تتنازل عن الحق ، وبعض قادة الكنيسة كانوا يقفون بأمانة إلى جوار كلمة الله ، لكن آخرين كانوا يرفضون الحق الكتابى بالكلية ، ويحاولون أن يُخضعوا الكنيسة للأفكار الوثنية وللتيارات السياسية والمفاهيم الإنسانية .

قانون الرسل

كان أول قانون رسمى للكنيسة المسيحية هو ما يُعرف « بقانون الرسل » ويُفترض أنه إيمان الرسل ، والنسخة المتداولة من هذا القانون كالآتى :

« أؤمن بالله الآب القدير ، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد الذى وُلد من الروح القدس من مريم العذراء ، الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى ، وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث من بين الأموات ، وصعد إلى السموات ، وجلس عن يمين الآب ، ومن هناك سيأتى ثانية ليدين الأحياء والأموات ، وأؤمن بالكنيسة المقدسة ، وغفران الخطايا ، وقيامة الأجساد » .

مع هذا القانون كانت الكنائس المعمدانية المستقلة تتفق باستثناء شىء واحد مهم وهو القول « الكنيسة المقدسة » ، وقد

فُهم هذا التعبير من البعض على أنه يعنى دمج كل الاجتماعات المحلية فى كنيسة واحدة متحدة مع الامبراطورية الرومانية ، وهذا بطبيعة الحال يناقض تماما مفهوم الكنائس المستقلة ، وانفصال الكنيسة عن الدولة .

أريوس وأثناسيوس : مجمع نيقية

اصبح أريوس – وكان واعظا فى مدينة الاسكندرية / مصر – اشهر من ينادى ويعتنق فكرة أن المسيح ليس الله الكامل ، ولكنه كان خليقة خاصة لله ، وتبع أريوس جماعة كبيرة ، وطُرد من كنيسة الاسكندرية ، ولم يرض الامبراطور قسطنطين أن يرى الكنيسة المتحدة حديثا منقسمة بهذا الجدل التعليمى ، ودعى قادة الكنيسة للاجتماع فى نيقية عام ٣٢٥ م ، واجتمع قرابة ٣٥٠ من الخدام ودفعت الحكومة مصاريف سفرهم واقامتهم بالكامل ، وترأس قسطنطين المجلس رسمياً ، وكان اتحاد الكنيسة بالدولة يزداد اقتراباً .

وكان المتحدث الرئيسى الذى يعلن وجهة النظر الكتابية الواضحة عن ألوهية المسيح هو أثناسيوس ، وصارع من أجل موقف أمين ، ومن أجل عقيدة الثالوث وتعاليم المسيحية الأساسية الأخرى ، وكان المتحدث الرئيسى لموقف متواطئ هويوسبيوس من قيصرية ، واراد أن يصدر قراراً مائعاً من

الكلمات الفارغة من المعنى يسمح لأتباع أريوس ، وأتباع أثناسيوس من البقاء فى الكنيسة الرسمية ، ولكن كان قانون نيقية الذى صدر عن هذا المجمع انتصاراً لأثناسيوس وللعقيدة الكتابية ، إلا أن هذه النصرة كانت قصيرة الأمد ، فقد صارع أتباع أريوس وأتباع أثناسيوس للسيطرة على الكنيسة ، وبرهن التنظيم السياسى والكنسى على انه اكثر أهمية من القرارات العقائدية للكنيسة الرسمية ، ونُفى أثناسيوس أربع مرات (ثلاث مرات تتعلق بهذا الجدل ومرة بأمر جوليان المرتد) قبل ان تصبح وجهة النظر الكتابية عقيدة ثابتة للكنيسة الرسمية .

مجمع القسطنطينية

فى عام ٣٨١ م دُعى مجمع القسطنطينية لكى يضع حد لجدل جديد عن الروح القدس فقد علّم البعض أن الروح القدس تأثير لا شخص ، وقال آخرون أن الروح القدس كان خليقة خاصة من الله الآب ، وآخرون تمسكوا بوجهة النظر الكتابية بألوهية الروح القدس ، والوحدة الأزلية للثالوث .

وبعد نقاش وجدل ومناورات سياسية كثيرة ، أخذ هذا المجمع موقفاً واضحاً لألوهية الروح القدس ، وحقيقة الثالوث ، وكان يمكن للكنائس المعمدانية المستقلة بالطبع أن توافق على النتائج التى توصل إليها كل من مجمع نيقية ، ومجمع القسطنطينية ،

ولكنهم لم يستطيعوا الموافقة على التعليم الخاص بالكنيسة الرسمية ، فما وصل إليه المجمعان كان يتعارض مع عقيدتهم عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، والسلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، واستقلالية الكنائس ، وكهنوت جميع المؤمنين ، ومما يدعو إلى السخرية أن ابتدأ الكثيرون من الهراطقة يدافعون عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، كما بدأوا فى تشكيل كنائس مستقلة ، وليس من السهل دائما أن تحتفظ بسجل للكنائس المعمدانية المستقلة منفصلا عن تاريخ كنائس الهراطقة المستقلة ! .

الوثنية والطقوس

بمرور الوقت أصبح من الصعوبة بمكان أن تفصل بين الأفكار والمفاهيم الوثنية والتقاليد والطقوس فى الكنيسة الرسمية ، وحين انتقل كثيرون من الوثنيين إلى الكنيسة (تحت حكم قسطنطين ومن تبعوه) أدخلوا المفاهيم الوثنية الفاسدة وتقاليدهم وطقوسهم إلى الكنيسة وأحدثوا قلقلة كبيرة ، وبينما أدان عدد من مجامع الكنيسة الحركة الوثنية ، أدخل الامبراطور الرومانى أفكاراً وثنية أكثر وأكثر وخاصة فى طقوس الكنيسة الرسمية وشعائرها ، وبدى أن الوثنية تنتصر على التقليد المسيحى ، هذا بطبيعة الحال أكد للكنائس المعمدانية المستقلة حاجتهم إلى الاعتزال عن التنظيم الطائفى للكنيسة الرسمية .

نستور ومجمع أفسس

فى القرن الخامس بدأ (نستورس) قائد الكنيسة النظامية - الحكومية - فى القسطنطينية يعتنق الأفكار التى نسميها اليوم (الحركة الإنسانية humanism) التى تمجد الفرد وتؤكد قدرته على تحقيق الذات بالعقل ، وترفض الإيمان بأى قوة فائقة الطبيعة ، وفرّق بين المسيح كالله ويسوع الإنسان ، وشجع على فكرة أن الإنسان فى استطاعته أن يشرع عقيدة دينية ، ودُعى مجمع افسس لكى يتعامل مع تعليم (نستور) .

وأدان هذا المجمع بوضوح التعليم النسطورى وأفكاره الإنسانية ، ورفض ذلك المجمع كذلك مفهوم الأعمال للحصول على الخلاص والكمال البشرى الذى نادى به (بلاجيوس) وهو راهب ولاهوتى ، ومرة أخرى وافق المعمدانيون على قرارات مجمع أفسس ، ولكنهم - كالعادة - عورضوا من كنائس الهراطقة المستقلة .

أغسطينوس

الرجل المشهور اغسطينوس : وهو أسقف من أفريقيا الشمالية - ترك بصمة على الكنيسة فى زمانه ، وقصة تجديده وخروجه من الوثنية ونموه الشخصى (اعترافات أغسطينوس) أعتبرت من الكلاسيكيات المسيحية ، ووعظه وتعليمه أثر بقوة

فى الكنيسة الرسمية ، وأفكاره اللاهوتية مازالت تؤثر فى الكثيرين إلى يومنا هذا .

وأصبح اغسطينوس من اكثر المنادين بموضوع اتحاد الكنيسة بالدولة ، وكتابه (مدينة الله) عزز فكرة وحدة الكنيسة بالدولة واصبح من اكثر الكتب تاثيراً فى تاريخ العالم ، وحين انهارت السيطرة الحكومية للامبراطورية الرومانية ، كان للشعوب فى النصف الغربى من الامبراطورية فرصة كبرى لاستعادة الحرية الدينية ، وفصل الكنيسة عن الدولة ، إلا أن كتاب اغسطينوس وتعليمه أثرا فى الكثيرين على أن ينظروا إلى الكنيسة كالمصدر الجديد للحكومة فى الغرب ، وبدلاً من سيطرة الدولة على الكنيسة ، أُستبدلت بسيطرة الكنيسة على الدولة .

وعارض اغسطينوس بشدة الكنائس المستقلة ، وقرب نهاية حياته استخدم التعذيب والقتل كوسائل لإخضاع المستقلين لإفكاره ، وهو بطل فى عيون الكثيرين من البروتستانت والطقسيين اليوم ، ولا حاجة لنا إلى القول أنه ليس بطلا فى عيون الكنائس المعمدانية لا فى أيامه ولا اليوم ، وقد علّم اغسطينوس عن الانتخاب والاختيار والكفارة المحدودة والنعمة التى لا تقاوم الأمور التى أصبحت فيما بعد مرتبطة بجون كالفن كما علّم اغسطينوس أن أى إنسان يرفض معمودية الأطفال هو

ملحد ، وأمن بأن المراسيم والأحكام الأزلية تتعدل حين يعمد كاهن كاثوليكى طفلاً ، وأن المعمودية تمحو الخطية الأصلية ، وان الأطفال غير المعمدين ملعونون ، وهذا كله بطبيعة الحال هرطقة خالصة .

الرهبنة Monasticisim

اصبحت الرهبنة جزءاً مهماً فى الكنيسة الرسمية ، والمبشرون (اصبحوا الآن كهنة) وبدأوا فى تنظيم مجتمعات خاصة ، وانسحبوا من الحياة العامة ، وأحياناً كانت هذه الجماعات تكرس نفسها للنشاطات الاجتماعية أو للدراسة ، والرهبنة كان لها التأثير الكبير فى عدم زواج الخدام (الكهنة) ، واحسن واسوأ ما فى نظام الكنيسة الرسمية يمكن وجوده فى دراسة الأديرة ، وقد رفض المعمدانيون المستقلون حركة الرهبنة لأنهم خشوا - بحق - ان يقود هذا النظام إلى قيادات دينية منفصلة ينظر إليها (ككهنة) ، وهذا يعنى إنهيار مفهوم كهنوت جميع المؤمنين ، وتحت هذا النظام بدأ الناس بالتدريج يتوجهون إلى اناس يمثلونهم أمام الله ، وبسبب هذا الفكر ابتدأ تعليم الخلاص الشخصى يبهت رغم اهميته الكبرى واستُبدل بالخلاص من خلال الكنيسة .

التنظيم الكنسى

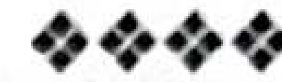
التنظيم الكنسى بين الكنائس المحلية بدأ قبل اتحاد الكنيسة بالدولة فى أيام قسطنطين ، ومفهوم الأسقف (الراعى الكبير) سرعان ما فسد وتحول إلى مفهوم القائد الحاكم على عدة كنائس فى محيط جغرافى واحد ، وهذا الوضع تحول تدريجيا إلى إتحاد كل الكنائس (تحول إلى نظام الكنيسة الرسمى التابع للدولة) فى كنيسة واحدة .

حين أعطى قسطنطين مساندة الامبراطورية الرومانية لهذا النظام سرعان ما ساد ، والبناء التنظيمى للكنيسة ضم بسرعة كل الأقاليم فى الامبراطورية الرومانية ، وأصبح الامبراطور رأساً للكنيسة ، وحيث أنه كان رأساً للديانة الوثنية اختلط الأمر فى الحكمين ، وبسبب علاقته بالامبراطور الرومانى سرعان ما أصبح الأسقف أهم رجل دين فى الامبراطورية .

وسرعان أيضا ما استخدم الرومان هذا اللقب (الحبر الأعظم) كرأس الكنيسة المسيحية الرسمية ، وهو نفس اللقب الذى استخدموه لقائد الديانة الوثنية ، ثم اختصر الاسم إلى (البابا) أو (الأب المقدّس) ، وحين انهارت الامبراطورية الرومانية ، ولم يعد هناك امبراطور فى الغرب بدأ أساقفة روما تدريجيا بشغل مركز البابا والقيام بدوره ، وهذا التطور خلق

النظام الدينى الكاثوليكى .

عارضت الكنائس المعمدانية المستقلة هذا التشكيل كله لان امر يناقض عقيدة إنفصال الكنيسة عن الدولة .



(٩)

البولسيون

« لأن هذا - بولس - لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل . لأنى ساريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى » اعمال ٩ : ١٥ و١٦ .

***

سُميت هذه الجماعة بواسطة أعدائها متهمين إياهم بقبول كتابات الرسول بولس فقط ، ولكن الحقيقة أنهم قبلوا كل الأسفار المقدسة ، ولكنهم كانوا يشتقون أكثر من رسائل بولس وهذا من السهل فهمه لأن بولس كتب أغلب رسائل العهد الجديد للكنائس ، وهكذا ارتبطت الجماعة به وباسمه بصورة ملحوظة ، وليس أشرف من هذا الارتباط ، وقد عاشت جماعة البولسيين قرابة عشرة قرون ، ومن السهل أن نعرف بماذا كان يعتقد البولسيون ، فقد عاش كتابهم (مفتاح الحق) إلى وقتنا الحاضر ، وهذا الكتاب يعلن بكل وضوح كل ما نطلق عليه اليوم « المميزات المعمدانية » ، وكان البولسيون واضحين فى التحذير

من أن الكنائس الكاثوليكية الرومانية ، والكنائس اليونانية تنحرف عن الحقائق الأساسية بما فيها معمودية المؤمنين فقط .

وبناء على ما جاء فى سجلات البولسيين نعرف أن الإيمان الرسولى انتشر من انطاكية إلى آسيا الوسطى وفارس وخاصة إلى منطقة جبال تورس (من ضمنها جبال أراراط حيث استقر فلك نوح) ، ومن هذه القاعدة الآمنة انتشرت أفكارهم إلى النصف الشرقى من الامبراطورية الرومانية وإلى المناطق المعروفة الآن بالعراق وإيران ، والجماعات المعتزلة كانوا أكثر نجاحاً فى المناطق الجبلية حيث وجدت الحواجز الطبيعية ضد جيوش الاضطهاد ، وعلى مر القرون نجى كثيرون من البولسيين وسط اضطهادات رهيبة بهروبهم إلى إخوتهم فى جبال تورس ، وكثير من الأحداث فى تاريخ البولسيين مازالت غامضة علينا اليوم ، وخلال فترات تاريخهم الطويل ليس لدينا إلا ما تحامل به أعداؤهم عليهم كمصدر للمعلومات ، ولسنا نملك معلومات حقيقية عن بعض الأحداث الهامة فى تاريخهم .

حوالى عام ٦٦٠ م خبأ شاب أرمنى اسمه قسطنطين شماساً مسيحياً هاربا من مضطهديه ، وأعطى الشماس العهد الجديد لقسطنطين وفاء لاحسانه ، ودرس قسطنطين العهد الجديد وبدأ يرى الفوارق الكبيرة بين الكثلكة الرومانية والإيمان الرسولى ، ودخل فى كثير من المناقشات العلنية مع القادة الكاثوليك وفى الحال أُتهم انه من البولسيين ، وبدأت الامبراطورية البيزنطية أول إضطهاد فى كل الامبراطورية ضد البولسيين ، ورُجم قسطنطين حتى الموت ، ومساعده الأول أُحرق بالنار ، وتحت حكم الامبراطورة ثيودورا (التى كانت تكره المنشقين عن الكاثوليكية بجميع ألوانهم) قُتل أكثر من مائة ألف من البولسيين فى إقليم أرمنيا وحده ، وضعف هذا العدد ذبح فى أنحاء أخرى من الامبراطورية ، وهرب كثيرون من البولسيين إلى الجبال .

وفى تلك الفترة قامت عدة محاولات من البولسيين للوصول إلى القبائل العربية لربحها للمسيح ، وتجدد البعض ، وقامت علاقة طيبة بين العرب والبولسيين وكثيرا ما دافع الواحد منهم عن الآخر ضد الاضطهادات الكاثوليكية .

وفى القرن التاسع طرد البولسيون الحكومة البيزنطية خارج أرمنيا وأسسوا ولاية تبريز ، وانفصلت الكنيسة كلية عن الدولة ، ومُنح الجميع حرية الضمير ، وعاشت هذه الحكومة لمدة ١٥٠ سنة ، ولعلها كانت الحكومة الوحيدة التى أعطت ضمانا مكتوباً للحرية الدينية للمواطنين ، وعاش البولسيون

والمنشقون عن الكثكلة ، والمسيحيون واليهود والعرب المسلمون فى حرية دينية كاملة ، وخلال هذا الوقت المستقر ارسل البولسيون المرسلين إلى القبائل السلافية وهى أصل أوروبا الشرقية الآن .

ومما يثير حقيقة أن المؤرخين المدنيين ، والمؤرخين المسلمين سجلوا أن البولسيين كانوا يدعون « المعمدانيون » و « السابيان » (وهى كلمة عربية تعنى الذين يعمّدون ثانية) كما دعوا « المعمدانيون الشرقيون القدامى » ، من بعض المؤرخين أمثال (أدنى) و (جيبون) .

وفى عام ٩٧٠ م عرض الامبراطور البيزنطى (جون تسيمزيس) على الناجين من البولسيين - بعد حرب التبريز - الحرية الدينية لو أنهم رحلوا إلى شمال اليونان ودافعوا عن مصالحه هناك ، وقبل الكثيرون من البولسيين عرضه وأصبحوا حاجزاً مهماً بين الامبراطورية البيزنطية وقبائل الألمان الغازية لأوروبا ، والتى غزت بعد ذلك الامبراطورية البيزنطية خلال الحملات الدموية ، وللحق فقد حفظت الامبراطورية البيزنطية وعدها للبولسيين (بالرغم من سجلها الماضى فى الاضطهاد) طوال مدة سيطرتها على اليونان .

وعاد اهتمام المرسلين البولسيين الآن إلى أوروبا الغربية بدلا

من الشرق ، ومما لا شك فيه أن الحركة البولسية أثرت فى قيام (الألباجنس Albigenses) المستقلين فى جنوب فرنسا ، وسكان السهول فى شمال فرنسا ، والولدسيين فى شمال إيطاليا .

وقوبل البولسيون بمعارضة عنيفة من الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن أفكارهم استمرت لتنتشر رغم كل معارضة ، وسجل التاريخ أن اجتماعات البولسيين وصلت إلى أبعد من اليونان كما وصلت إلى إنجلترا والمانيا ، وانتشروا فى كل إيطاليا حيث عُرفوا هناك باسم (المثاليون) وفى بافاريا عُرفوا باسم (جازارى Gazari) .

وفى عام ١٠٢٥ م عقد القادة الكاثوليك اجتماعاً (سينودس) كان الغرض منه التعامل مع البولسيين ، ومن الواضح أنهم فى ذلك الوقت كانوا لا يزالون مؤمنين كارزين ، وتمسكوا بما نعرفه الآن « بالمميزات المعمدانية » وحكم الكاثوليك على أحد القادة البارزين فى الحركة البولسية واسمه (جاندلفاس) لأنه تمسك بوجهة نظر البولسيين ، وأمروا بحرق كتاباته .

والبولسيون الذين بقوا فى شمال اليونان وعرفوا هناك باسم (أحباء الله) رغم تعرضهم المستمر للاضطهاد إلا أن اجتماعاتهم عاشت فى الجبال واستمرت حتى القرن السادس

عشر ، وكثيرون منهم استمروا بنفس العقائد والتعاليم ، واستمر (أحباء الله) يرسلون المرسلين لكل أنحاء أوروبا ، وهناك سجلات تؤكد ذهاب (أحباء الله) إلى موسكو . وكانت اجتماعاتهم كثيرة جداً فى بلغاريا حتى أن الذين كانوا يعتنقون الأفكار المعمدانية فى أنحاء أوروبا غالباً ما دعوا (البلغاريون) .

وحين يكتب المؤرخون عن البولسيين يذكرون جماعة اسمها (ماناشينز) وهذه الجماعة وجدت من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر ، وعاشت فى النصف الشرقى من الامبراطورية الرومانية ، ورفضت معمودية الأطفال ، وجاهدت من أجل انفصال الكنيسة عن الدولة ، وعلى هذا الأساس كانوا يحسبون ضمن آبائنا المعمدانيين الأوائل ، إلا أن (الماناشينز) لم يتمسكوا بالتعاليم المسيحية الأساسية ، وحاولوا خلطها بتعاليم (زارادشت) ولم ينظر إليهم البولسيون كمسيحيين حقيقيين كما لم يعترفوا بمعموديتهم .

وقد استخدم الله البولسيين بصورة ممتازة للحفاظ على حقائق العهد الجديد والتى ندعوها « المميزات المعمدانية » أمام كل العالم ، ومما يثير حقاً أن المؤرخين قدروا أن البولسيين أثروا فى أكثر شعوب أوروبا والشرق الأوسط اكثر مما يفعل المعمدانيون فى أيامنا هذه .

(١٠)

الإنجليز الأصليون المسيحيون
(السلتك Celtic)

« وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة من أجل اسمى ... وسوف تسلمون من الوالدين والأخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم » لوقا ٢١ : ١٢ و ١٦ .

***

(السلتك) هم القبائل الأصلية فى الجزر البريطانية ، والقرون المتوالية جلبت الرومان والدانمرك والجرمان والساكسون والفرنسيين والنورمانديين إلى بريطانيا ، وكل هذه الجماعات كونت الخلفية الغنية للشعب الإنجليزى ، إلا أن (السلتك) هم السكان الأصليين لإنجلترا ، وكانوا مشهورين بالقوة الحربية والعنف ، وقد أظهر السلتك هذه القوة العنيفة حين قاوموا محاولات الامبراطورية الرومانية لغزوهم (القرن الأول قبل الميلاد) ، ومرة ثانية حين قاومت كنائس السلتك

المسيحية التعدى المسلح للكاثوليك الرومان .

كان هناك تبادل تجارى بين الجزائر البريطانية وباقى أوروبا خلال القرن الأول للمسيحية ، وسرعان ما وجد التعليم المسيحى طريقه إلى الجزر البريطانية ، ويبدو أنه شق طريق بنجاح هناك ، وديانة الكهانة الروحية التى سيطرت على المجتم (السلتك) فقدت سيطرتها على الشعب الانجليزى ، وكانت تلك الديانة لها قوتها وأهميتها ، ولكن بحلول عام ٢٠٠ م لم يع لها سلطة أو سيطرة على الجزر البريطانية ، وكتب ترتليان أ المسيحية قد نجحت فيما لم تنجح فيه الامبراطورية الرومانية أ غزو الكهانة وعبادتها .

وبسبب عزلة البريطانيين نسبيا عن بقية أوروبا بعدوا عز التأثر بكثير من الأحداث التى سيطرت على شئون أوروبا واضطهاد واحد من الرومان هو الذى امتد إلى بريطانيا (اضطهاد ديوكليتيان) ، وبينما تأثرت مناطق أخرى باندماج الكنيسة والدولة فى حكم الامبراطور قسطنطين ، استمرت كنائس السلتك مستقلة ، ولم يكن فيها إلا القليل من التواصل بين الكنائس .

ومفهوم استقلال الكنائس بطبيعة الحال من المميزات المعمدانية ، ولأن كل كنائس الجزر البريطانية كانت مستقلة ،

رسمت كل منها موقفها العقائدى ، وظهرت عدة آراء كانت الميزات المعمدانية المعروفة لها تأثيرها الكبير بين الكنائس البريطانية من القرن الثانى إلى القرن السادس ، وبدت تعاليم انفصال الكنيسة عن الدولة ، ومعمودية المؤمنين فقط بالتغطيس ، ومفهوم الكنائس المستقلة منتشرة بين الكنائس البريطانية الأولى ، ولم يكن هناك أى مفهوم لمعمودية التجديد أو معمودية الأطفال أو الخلاص بعضوية الكنيسة ، أو نظام كهنوتى قبل الغزو العسكرى الكاثوليكى .

وإحدى القصص المشهورة ، والأكثر إثارة فى تاريخ الكنيسة حدثت خلال تلك المدة ، فقرابة عام ٣٨٥ م فى قرية (باناڤيرن) ولد صبى لرجل اسمه (كلبرنياس) وكان شماساً فى كنيسة مستقلة ، وكان اسم الصبى (سوكات) ويذكره تاريخ الكنيسة باسم (باتريك) ، ورغم نشأته فى بيت مسيحى إلا أنه شب متمرداً كبيراً ، وكان تمرده ضد الحق المسيحى ، واختطفه قراصنة أيرلنديون وعمره ١٦ سنة ، وبيع كعبد لرئيس ايرلندى وثنى ، وأصبح الشاب راعيا لخنازير الرئيس الأيرلندى ، وبينما كان وحيدا مع الخنازير تذكر تعاليم والديه ، ووضع إيمانه فى موت ودفن وقيامة يسوع المسيح ، وفى سن ٢٢ هرب من سيده الذى كان يسىء معاملته ، وعاد إلى عائلته ، وبعد أن درس

ليكون واعظا شعر (باتريك) بثقل من أجل القبيلة الأيرلندية التى عاش معها كعبد ، وحاولت عائلته وأصدقاؤه أن يثنوه عن الذهاب إلى هناك إلا أنه صمم على العودة إلى أيرلندا كمرسل ، وجمع القبائل الوثنية فى الحقول القريبة من القرية وبشرهم بالانجيل ، ورأى الآلاف تؤمن بالمسيح وتخلص ، وعمّد كل المتجددين بالتغطيس ثم شكل كنائس مستقلة منهم ، وتجدد ابن رئيس قبيلة اسمه (بنجنس) ودربه (باتريك) لأن يكون خادما ، وعمّد (بنجنس) آلافا من المتجددين ، وتكونت كنائس اكثر نتيجة خدمتهما .

ويبدو أن (باتريك) كان يؤمن بمعظم المميزات المعمدانية بل وتمسك بها ، وادعاء الكاثوليك أن (القديس باتريك) كان أحد ممثليهم ما هو إلا مناورة سياسية لا تمت للواقع بأى صلة ، كما أن ليس لها أساس تاريخى .

وقام احد الخدام الإنجليز وابتدأ ينشر فكرة تقول : أن الناس يمكن أن يخلصوا بدون تجديد بعمل الروح القدس ، بينما نادى اغسطينوس بأن التجديد يتم بناء على اختيار الله السابق ، إلا أن التاريخ يؤكد أن معظم الكنائس البريطانية رفضت الفكرين معاً ، ويسجل مؤرخوهم انهم آمنوا أن الإنسان ينبغى أن يولد ثانية من الروح القدس ، وأن كل من يؤمن ينال التجديد .

وفى القرن الخامس غزت قبيلتان من الجرمان الكثير من الجزر البريطانية ، واضطهدوا المسيحيين بشدة ، وهرب كثيرون من المؤمنين إلى جبال ويلز ، وبرارى سكوتلندا .

وفى القرن السادس وفى إحدى الكنائس الأيرلندية المستقلة التى شكلها (باتريك) قرر شاب اسمه (كولومبا) أن يذهب إلى سكوتلندا كمرسل ، وكان هذا الشاب حفيداً لملك ايرلندى ، وبنيت كنيسة على جزيرة صغيرة عُرفت باسم (أيونا) ومن هناك كان المرسلون يعملون فى كل سكوتلندا ، وكانوا قد تعلموا كل المميزات المعمدانية ، ونشروا هذه التعاليم فى كل انحاء سكوتلندا ، واصبحت (أيونا) كلية للمرسلين المعمدانيين وكان المرسلون يذهبون من هناك إلى كل انحاء أوروبا ، ومن سوء الحظ أن محاولاتهم لتوصيل الانجيل إلى الغزاة الساكسون باءت بالفشل ، واخيراً قرر البابا الكاثوليكى المعروف باسم (جريجورى الكبير) إخضاع المسيحيين الإنجليز لسيطرة روما ، وبناء عليه قامت معاهدات بين ممثلين من روما وبين القبائل الجرمانية مهدت الطريق للانجيل ، وقام صراع دائم بين الكاثوليك تساندهم قبائل الجرمان ، وبين (السلتك) الإنجليز للسيطرة على الكنائس المحلية المستقلة ، وانعقدت ثلاث مجامع كنسية ، وفى هذه المجامع رفضت الكنائس المستقلة

سيطرة روما وكنيستها ، إلا ان سيوف الساكسون نجحت فيما فشلت فيه المجامع .

وبدأ الساكسون يغزون مناطق لم يكونوا يسيطرون عليها من قبل ، واستمروا يقتلون الخدام المسيحيين المستقلين ويحرقون الكنائس أو يستولون عليها ، وخلال هذه الفترة تجدد ملك ساكسونى وهو (أوزوالد) واخوه (اوزوين) واعتمدا بالتغطيس ، واقتنعا بفكرة إنفصال الكنيسة عن الدولة ، وارتبطا بعد ذلك مع ساكسون أخرين بالمسيحيين (السلتك) .

ورغب (أوزوالد) فى أن يكون مرسلاً للساكسون ولكن أُرغم على أن يكون قائدا عسكريا (للسلتك) ، وغزا المنطقة الشمالية من (أمبريا) واستعاد الكنائس المستقلة هناك ، واستدعى مرسلين من (أيونا) ونجح مرسل اسمه (إيدن) فى الوصول إلى الساكسون فى المنطقة وقادهم للمسيح ، وبعد حكم دام تسعة سنوات قُتل (أوزوالد) فى معركة مع قبائل الجرمان الذين أرسلهم الكاثوليك ليحاربوا ضده ، وجاء بعده أخوه (أوزوين) فى الشمال ، وقريب لهما اسمه (أوزواين) فى الجنوب ، وقتل (أوزوين) قريبه لينفرد بالحكم فى المنطقة كلها ، ويقال أن (إيدن) مات مكسور القلب لما راى كل القادة يقتلون ، ولكى يوطد (أوزوين) علاقاته مع قبائل أخرى من

الجرمان ، ارتبط بالكاثوليكية الرومانية ، واصبح عدوا للكنائس المستقلة التى حارب لأجلها من قبل ، وسيطرت الكاثوليكية على انحاء إنجلترا .

ونشطت الكنيسة الكاثوليكية لكى تسيطر على (أيونا) ومن ثم على سكوتلندا ، ونجحوا فى ربح راعى الكنيسة فى (أيونا) إلى صفهم ولكن شعبه عزله بسرعة ، واخيراً أقنع كاهن كاثوليكى كنيسة (ايونا) بالاتحاد مع روما ، بينما بقى الكثير من الكنائس المستقلة ومن المؤمنين أمناء ، ولم تبقى – حتى الآن – كنائس السلتك المستقلة صاحبة السيطرة على الحركة الدينية فى انجلترا .

ورفع كليمنت الاسكتلندى راية الحق أن الكتاب المقدس السلطة الوحيدة ، ولكنه أُرغم على ترك بريطانيا وأصبح مرسلاً (للفرانك) واخيرا أعدمه الكاثوليك .

وفى القرن التاسع سيطرت الكاثوليكية الرومانية على بريطانيا التى اتحدت تحت حاكم واحد هو (ليفرد الكبير) لأول مرة ، ولم يواجه الاكليروس الكاثوليكى المتاعب المستمرة مثل ما واجه فى تلك المنطقة ، وأفكار الكنائس المستقلة ، والحرية الدينية استمرت قوية بين الانجليز ، ورفض الوعاظ الإنجليز دائما أن يعظوا عن تعليم الكنيسة الرسمية الحكومية ، كما كان الحكام

الإنجليز يتحدّون دائما إرادة البابا .

كان الكثيرون من المسيحيين (السلتك) معمدانيون تماما ، وكانت الأفكار المعمدانية شائعة جداً ، وفى أحيان كثيرة كان يتمسك بها وبقوة أغلبية الكنائس ، وموقفهم البطولى من أجل الحرية الدينية أثّر فى أجيال متتالية من الإنجليز ، وتمت أحلام (أوزوالد) بعد قرون حين أقامت المستعمرات الإنجليزية الولايات المتحدة الأمريكية الديمقراطية حيث الحرية الدينية مكفولة لكل واحد .



(١١)

العصور المظلمة

« وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسنا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم » ٢ بطرس ١ : ١٩ .

***

من الصعب أن يدرك الإنسان فى الوقت الحالى كيف كانت الحياة فى الفترة التاريخية التى نسميها « العصور المظلمة » فى أوروبا ، وهذه الفترة لم تكن بنفس الطول فى كل أجزاء أوروبا ، ولكنها تغطى – تقريباً – المدة من القرن السادس إلى القرن الرابع عشر .

باستثناء حكم (شرلمان) في القرن التاسع لم يكن هناك إلا القليل من الحكم المركزى ، وكانت معظم الحكومات تقوم على أساس عقود للحماية المشتركة ، كما لم يوجد إلا القليل من القوانين ، وكان العنف هو الفيصل فى أى خلافات ، وكانت القراءة والكتابة شبه معدومة ، وقدُر الذين يقرأون من الرجال

بأقل من ١٠ ٪ ومن النساء بأقل من ١ ٪ خلال تلك الفترة ، وكان النشاط الوحيد لأغلبية الناس هو الصراع من أجل البقاء ، وكان الحصول على المأكل والملبس والمأوى هو العمل الذى يشغل معظم وقت الناس ، وكانت أقلية ضئيلة هى التى ترحل من المنطقة التى ولدوا فيها ، وقيل أن الإنسان فى تلك الفترة المظلمة لم يكن يقابل فى كل مدة عمره أكثر من ٢٠٠ شخص ! .

حتى كهنة الكنيسة الرسمية لم يكونوا يقراون ، ومعظم الكهنة عاشوا كل حياتهم دون أن يروا كتاباً مقدساً وبالتالى لم يدرسوه ، والتعليم الدينى وكان من الناحية الرسمية كاثوليكى وكان مثقلاً بتأثيرات الخرافات المحلية والأساطير القبلية .

واجتازت الكاثوليكية الرومانية تغييرات جذرية فى تلك الفترة ، وكان هناك صراع كبير داخل الكثلكة الرومانية بين الذين تأثروا بمدرسة الاسكندرية وأولئك الذين تأثروا بمدرسة انطاكية ، فمدرسة الاسكندرية أكدت على تفسير روحى لأقوال الكتاب المقدس ، بينما علّمت انطاكية بالتفسير الحرفى لأقوال الكتاب ، وخلال العصور المظلمة استطاعت مدرسة الاسكندرية أن تسيطر سيطرة كاملة على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وأصبحت الكنيسة قوة سياسية لها سيطرتها ، وعدد من الباباوات خلال تلك الفترة بصورة علنية ومكشوفة كانوا

معروفين بنقص معرفتهم بالعقائد المسيحية كما كانوا مشهورين بنقص اخلاقياتهم وسلوكهم ، وكان علم التنجيم ، والسكر والفساد الأخلاقى والشذوذ الجنسى أعمالاً تمارس علانية من قيادات الكنيسة إلى البابا نفسه ، وكان الباباوات أنفسهم يقعون أحيانا تحت سيطرة قوى سياسية مختلفة ، وسيطر النبلاء الإيطاليون على اختيار البابا وعلى نشاطاته وأعماله لفترة ، وبعد ذلك كان الامبراطور الألمانى هو الذى يمارس السيطرة ، بعد ذلك انتقلت السيطرة إلى الملوك الفرنسيين ، وفى وقت ما أقام النبلاء الإيطاليون صبيا عمره ١٢ سنة وجعلوه بابا ، وبعد مدة باع الصبى مركزه بمبلغ ألف جنيه نضى .

وانشقت الكنيسة فى الامبراطورية البيزنطية عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وراح كل منهما يدعى انه الممثل الوحيد والحقيقى لله على الأرض .

ووقفت القبائل الجرمانية تدريجيا تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا جعل الكنيسة صاحبة سيادة على (سكاندانفيا) ومعظم أراضى أوروبا ، ووقعت روسيا تحت سيطرة الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية (الكنيسة البيزنطية) .

واتصفت الكنيسة الرسمية بالفساد ، فلم يكن فيها أى

مستوى للأخلاق ، ولا النقاء الذى توقعه الناس من كهنتها ، وتدريجيا وبصورة مكثفة أصبحت الأفكار الوثنية ، والتفسيرات الخيالية (المتروحنة) أساسا لعقيدة الكنيسة ، كما أصبحت المفاهيم الوثنية هى التعاليم المتداولة مثل :

❖ **المطهر :** ومعروف أنه مكان للتوبة والتكفير بين السماء والجحيم من حيث يمكن أن يهرب الإنسان منه بعد أن يدفع مبلغاً من المال !.

❖ **الغفرانات :** هى دفع مبلغ من المال أو العطايا العينية لمحو الخطايا .

❖ **الخلاص بالمعمودية :** وهو أن المعمودية هى الطريق إلى الولادة الجديدة ، والتأثير الأولى للكنيسة الرسمية على الحياة الأوروبية كان تأثيراً سياسياً ومادياً ، وقد قامت عدة محاولات لإصلاح الكنيسة حتى أن بعض الباباوات أخذوا على عاتقهم بصورة جدية القيام ببعض التحسينات ، وتكونت عدة جماعات داخل الكنيسة الرسمية لحل بعض المشكلات ، ووضعت خطط للأديرة لتكون حماية للكهنة من تأثير العالم ، وأعطى بعض الكهنة عهوداً على أنفسهم ليعيشوا حياة الفقر والحرمان ليحموا أنفسهم من إغراء المال ، وتدريجيا أصبح التعهد بالعزوبية هو القاعدة للكهنوت ، وظُن أن هذا يمكن أن يحفظ الكهنة من

الانجذاب إلى نجاسة أدبية ، ولكن ما أن صار الأمر مألوفا أن لا يتزوج الكهنة أصبحت المشاكل الأدبية أكثر إلحاحاً على الكنيسة الرسمية وكهنتها ، وأغلب حركات الإصلاح أحدثت تحسينات محدودة ومؤقتة ، ولكن الخط الرئيسى للمشاكل استمر .

وبعض الباباوات قادوا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلى قوة عظيمة ، وكان لجريجورى السابع قوة سياسية حتى أن الامبراطور الألمانى انتظر حافى القدمين على الثلج لمدة ثلاثة أيام قبل أن يُسمح له برؤية البابا ، ثم أرغمه على الركوع أمامه ليقبّل قدمه ويستجدى الغفران ، إلا أن مثل هذه الصراعات السياسية كانت مخاطرة غير مأمونة العواقب ، فنفس ذلك الامبراطور زاد من قوته بعد تلك المقابلة ، وطرد البابا جريجورى من روما ، وبعد طرده مات البابا فى منفاه مختبأ فى الجبال ، وكما يسجل التاريخ قاد البابا إنوسنت الثالث الكنيسة الكاثوليكية إلى مكانة قوية جداً فى أوروبا ، وكانت رغبة البابا إنوسنت الثالث قانوناً ، وطوال مدة حكمه لم يستطع واحد أن ينجح فى تحدى قوته ، والباباوات الذين جاءوا بعده وجدوا أنه من الصعب الاحتفاظ بسلطة كبيرة مثله ، وبعد قيام الحملات الصليبية بأمر البابا ، وبعد أن فشلت تلك الحملات وتسببت فى خسائر فادحة فى الأرواح والأموال ، بدأت أوروبا تستيقظ إلى حقيقة وهى أن

الكنيسة الكاثوليكية ليست صوت الله من بعيد أو من قريب ، كما تسببت هذه الحملات غير المسيحية فى تقهقر رهيب لقوة الكنيسة الرسمية ، وبدأت تقوم ولايات ، وتتجمع قبائل تحت قيادات قوية حتى أن كثيرين بدأوا يشعرون أنهم أحرار فى تحدى البابا حتى أن أحد الملوك الفرنسيين أمر بضرب البابا لأن البابا انتقده ، وقامت مناقشات حول من هو البابا الصحيح حيث أن دولاً مختلفة اعترفت بباباوات متعددين وكل يدعى أن عنده البابا الصحيح ، وسرعان ما أصبحت سلطة البابا مؤسسة على قدرته لربح مساندة بعض الملوك الأقوياء .

ومن يوم إلى يوم تغيرت الشعائر الكنسية بصورة جذرية ، ونادراً ما كان الكاثوليك يؤمون الكنائس أو يحصلون على أى إرشاد دينى ، ونظر الناس إلى الكاهن وإلى معمودية الأطفال أو خدمة التناول – التى كثيراً ما كانت تتم فى البيوت – أو إلى طقوس الزواج وخدمة الجنازات بعين الاستهتار ، ورغم أن الكنيسة كان لها سيطرة قوية على الناس ، ولكن نادراً ما كان يقدم لهم أى تدريب منهجى ككاثوليك ، وحين كانت تقوم نهضة تعليمية فى أوروبا لم يكن لها علاقة بالكنائس إلا قليلا ، وبدأت المدارس تقوم فى المدن ، ونسبة المتعلمين تنمو ، وكانت الثقافة تُقدم من وجهة نظر كاثوليكية ولكن بالاسم ، وحين بدأ الأستاذ

الكبير (ابلارد) يحث تلاميذه على ان يفكروا لأنفسهم كان لهذا نتيجة ملموسة .. فقد بدأ اثنان من تلاميذه فى دراسة الكتاب المقدس لأنفسهما بدلاً من دراسة التعليم الكاثوليكى ، وأصبحا قائدين معمدانيين من القادة الكبار وهما (بيتر من برايز) و (ارنولد من بريسكا)

وهيأت الظروف فرصاً كبيرة للوعاظ المعمدانيين المستقلين ، وخلال العصور المظلمة سافرا ووعظا بحرية حتى حاولت الحكومات المحلية أن توقفهما ، وكانا فى الغالب – حين يُضيق عليهما الخناق – يذهبان إلى خارج القرى الكبيرة حيث لا سلطة للحكومة ، ووعظ الخدام المعمدانيون بالكلمة حتى فى إبان الاضطهاد المخيف فى حكم (شرلمان) والبابا إنوسنت الثالث ، ولم تستطع السلطة فى تلك الأيام أن تكمم أفواه المعمدانيين .

كان هناك جوع شديد للكلمة لم تستطع الكنيسة الرسمية الفاسدة أن تشبعه ، ولم يُغسل مخ الشعب بتعليم الكنيسة الرسمية ، ولسنا نملك كل التفاصيل عن كل خدام الإنجيل المستقلين مع الحركات المعمدانية فى تلك الفترة ، إلا أن أكثر المؤرخين الكاثوليك والمدنيين يعترفون بأهمية الاستقلال ، وعمل الكنائس المستقلة فى تلك الفترة .



(١٢)

أبطال معمدانيون في العصور المظلمة

« لأننا لهذا نتعب ونعيّر لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذى هو مخلص جميع الناس ولاسيما المؤمنين . إوص بهذا وعلّم ، لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة » ا تيموثاوس ٤ : ١٠ - ١٢ .

***

أضحت المدينة الصغيرة (ألبى) فى جنوب فرنسا مركزا لأكبر صراع دينى ، ففيها قامت عدة كنائس محلية تتحدى الكاثوليكية الرسمية ، وسرعان ما حملت الكنائس المستقلة فى كل فرنسا اسم المدينة الصغيرة (ألبى) بعد أن أصبحت الكنائس معروفة باسم (البيجنسس Albigenses) وكانت معمودية المؤمنين فقط هى التى تمارس فى تلك الكنائس ، ودافعت الكنائس عن تعليم إنفصال الكنيسة عن الدولة ، ونادت بكهنوت كل المؤمنين ، وحرية الضمير ، وتمسكت بعض

الكنائس والخدام بمفهوم الكتاب المقدس كالسلطة الوحيدة والعليا ، وكثير من هذه الكنائس كانت معمدانية ومعترفاً بها .

ومعظم هذه الكنائس اكدت انها ناشئة مباشرة من الرسل إما عن طريق (البولسيين) أو عن طريق جماعة فرنسية أقرب إلى الرسل كانت تسمى (كاثارى Cathari) واغلب مشاهير الكاثارى كانوا ملحدين ، واخذوا اسمهم ومعناه (الأنقى) من الإصرار على العضوية المتجددة - أى المخلصة - فى كنائسهم المستقلة ، ويبدو أن أصل الكاثارى معمدانى غير أن حركتهم استولى عليها بعض المنحرفين ، لكن المرسلين (الولدنسيين Waldenses) فى جنوب فرنسا سرعان ما انضموا إلى (البيجنسس) وكانوا هم والبولسيين فى شركة معاً ، واحترموا بعضهم بعضا احتراما متبادلاً ، كما كانوا يوافقون على معمودية بعضهم البعض ، وكذلك بالنسبة لرسامة الخدام .

اقام (البيجنسس) مستشفاهم ومدارسهم وكليات اللاهوت الخاصة بهم ، بينما ضعف الكاثوليك وتقهقروا فى كل المنطقة ، وأُدينت الجماعات المستقلة من عدة مجامع كنسية ، وارسلت الكنيسة الرسمية ممثلين لكى يقنعوهم بترك كنائسهم المستقلة ، وفى النهاية أمر البابا إنوسنت الثالث بأن يحطموهم

بالقوة ، ونفذ أمره وهدُمت مدن بكاملها حيث وُجدت الكنائس القوية (البيجنسس) وكانوا هدفا للكراهية الشديدة من المؤسسة الكاثوليكية التى كانت على استعداد لقتل الآلاف حتى من الكاثوليك الأمناء ، لكى تتأكد أن كل (البيجنسس) قد قتلوا ، وهذا الاضطهاد الدموى استمر لمدة عشرين سنة ، والذين نجوا من أولئك الأمناء اختبأوا فى الغابات أو الجبال ، أو هربوا إلى ملاجئ طبيعية مع (الولدنسيين) ، وقيل أن هذا الاضطهاد كان أقسى من كل اضطهاد استهدف الجماعات المعمدانية .

حوالى عام ١١٠٠ م أصبح بيتر الذى من برايز واعظا مستقلا مشهورا فى فرنسا ، ونادى علانية وبوضوح بكل ما نسميه « المميزات المعمدانية » وتحمل الكثير بسبب موقفه ، وطُرد من عدة مناطق ، لكنه خدم لمدة عشرين سنة فى (تولوز) وفى عام ١١٢٦ م خطفه المسئولون الكاثوليك وأحرقوه بالنار ، والذين اقتنعوا بتعاليمه شكلوا كنائس مستقلة ، وأُطلق عليهم (البطرسيون) وأصبحوا مشهورين حتى أن مجمعا خاصاً جمع القيادات الكاثوليكية لكى يقرروا كيف يتعاملون معهم ، وكان أحد أتباع (بيتر) ويدعى (هنرى) من (لوزان) يعظ فى ربوع فرنسا كلها وفى سويسرا ، وبسببه أُغلقت اجتماعات كاثوليكية وأصبحت كنائس مستقلة ، وسميت هذه

الكنائس (الهنريون) وقد علّم هنرى كل الحقائق المعروفة بالمميزات المعمدانية » ، وقبض عليه وأعلنت القيادة الكاثوليكية أنه هرطوقى ، ومات فى سجن تحت الأرض حوالى عام ١١٤٨ م والسويسريون الذين يعمدون المؤمنين فقط ، ويرفضون معمودية الأطفال أُطلق عليهم اسم (الأنابابتست) ، وبعد ٤٠٠ سنة قالوا أنهم انبثقوا من (الهنريين والبطرسيين) الذين هربوا إلى جبال الألب .

وارنولد من (بريسكا) كان صاحب حملات من أجل انفصال الكنيسة عن الدولة ، وتسبب عمله فى حرمانه من دخول دولة وراء دولة ، وأخيرا ذهب إلى روما حيث قاد تعليمه القوى شعب روما للتخلص من البابا وطرده خارج المدينة ، وعاش أهل روما احراراً لمدة ، وعملت الكنائس المستقلة الكثيرة بحرية وبطريقة علانية ، وارتبط أرنولد بالمميزات المعمدانية ، وسرعان ما دعيت الكنائس المستقلة (أرنولدست) وربح أرنولد الكثير من الأتباع فى المنطقة الإيطالية (لومباردى) ، ومن سوء الحظ استولى العسكريون المؤيدون للبابا على روما ، وقُبض على أرنولد وشُنق وأُحرقت جثته ، وألقوا برماد جثته فى نهر التيبر ، كما قتلوا كثيرين من أتباعه ، وارتبط أتباع أرنولد بعد ذلك بأتباع (ولدن) وكذلك فعل معظم البطرسيين والهنريين ، وجميع الذين نجوا من أهل (ألبى) .

كان (برنجريوس) مديراً للمدارس الكاثوليكية فى (تورز) وقادته دراسته فى الكتاب المقدس إلى تعليم معمودية المؤمنين فقط وبالتغطيس ، وأن عشاء الرب هو فريضة وليس سراً ، واتُهم بالهرطقة ، وعاش بقية حياته فى المنفى ، وكان له أتباع كثيرون ، وقد شكلوا كنائس مستقلة ، وقدّر أحد الكتاب الكاثوليك عضوية تلك الكنائس المستقلة بثمانمائة ألف ، ولا نعرف إلا القليل لما حدث لتلك الحركة .

وهناك الكثير من الأبطال خلال تلك الفترة ، الذين وقفوا إلى جوار الحق ، وقيل أنه فى عام ١١٤٦ م وجد فى مدينة (كولونيا) بالمانيا الكثيرون من « الهراطقة » ، وقال أعداؤهم أنهم كانوا يتمسكون بتعاليم مثل التى نعرفها عن المعمدانيين اليوم ، وفى عام ١١٦٥ م اجتمع مجمع كنسى بغرض التعامل مع جماعة غير طبيعية من « الهراطقة » ، وما قيل عن تعاليم هؤلاء « الهراطقة » يؤكد أنهم كانوا معمدانيين .

وعاش كثيرون من المؤمنين بالتعاليم المعمدانية فى (بوهيميا)، ويعتقد البعض أنهم كانوا فرعاً من أتباع (ولدن) ، وكانوا يعيشون تحت حماية أمير مدينة (ليختنستين) الذى أصبح واحداً منهم ، وحماهم فى مملكته ، وقدر عدد الذين عاشوا تحت حماية هذا الأمير بثلاثين ألفا مستقلاً من المعدانيين ،

واعتزلوا سياسياً عن أوروبا ، وحتى اليوم نجد أن مدينة (ليختنستين) الألمانية قد استمرت مستقلة عن أى من الدول الأوروبية .

وغالبا كان الوعاظ المستقلون الشجعان فى العصور المظلمة يوصمون ويحاكمون تحت تسميات مزيفة وتهم كاذبة ، وكثيراً ما اتهموا كذباً بالسحر ، والبولسيون والولدزيون ، والألبيجنسس وغيرهم أعدموا ولم يكن ضدهم أى دليل على التهم الموجهة إليهم ، وبعض المؤرخين يشكّون أن الجماهير الكثيرة التى أُعدمت بتهم السحر كانوا خداما للإنجيل ، والأخوة فى بوهيميا اصبحوا حركة متميزة فى المانيا ، وربما كانوا على علاقة بالمؤمنين هناك ، ورغم بقاء هؤلاء المؤمنين فى الكنائس الكاثوليكية - التى نادراً ما اجتمعت - قد كونوا مجموعات مستقلة يجمعها الشركة المسيحية لدراسة الكتاب المقدس ، ومارسوا المعمودية وعشاء الرب ، وكانت كل جماعة منهم مستقلة رغم الشركة التى كانت تجمعهم ، وكلهم أمنوا بالعقائد المعمدانية ، ومن مشاهير المتكلمين بينهم (بيترشليكى) وقد نادى بمعمودية المؤمنين فقط وبالتغطيس ، ووقعت هذه الجماعات تحت الاضطهاد ، وأصبحت كنائس مستقلة ، والأخوة فى بوهيميا كانوا متأثرين بجماعة من المعمدانيين فى ألمانيا ، إلا إننا ليس لدينا عنهم معلومات كافية .

(١٣)

المعمدانيون الإنجليز قبل الإصلاح

« رؤساء اضطهدونى بلا سبب ، ومن كلامك جزع قلبى ، ابتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة ، أبغضت الكذب وكرهته ، أما شريعتك فأحببتها » مزمور ١١٩ : ١٦١ - ١٦٣ .

***

بالرغم من انتشار وسيطرة الكاثوليكية فى إنجلترا ، استمرت نفوس شجاعة تنشر الحق الروحى هناك ، وخلال القرن الثالث عشر أعلن (روبرت جروستاست) وهو أسقف انجليزى أن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة للإيمان والسلوك ، وسرعان ما أتُهم بالهرطقة بواسطة البابا ، وخلال القرن الرابع عشر استنار قسيس الملك (توماس براد) واستنار فى فهم الخلاص الشخصى وتجدد وابتدأ فى المناداة بالخلاص بالإيمان ، وانتشرت نسخ من عظاته فى كل أنحاء أوروبا ، ودافع عنه الملك ادوارد الثالث ، وقادت الدراسة ذلك القس إلى الاقتناع بالمميزات المعمدانية .

و(جون وكليف) الذى سُمى (كوكب صبح الاصلاح) أصبح أشهر الوعاظ فى انجلترا ، ونادى بوضوح بالتبرير بالايمان ، ورفض معمودية الأطفال ، وكتب دفاعات لامعة عن أن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة ، ورغم أنه كان تحت حماية بعض النبلاء الإنجليز الأقوياء أُرغم على الحياة فى الريف من أجل الأمان ، وكرس وكليف نفسه لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الانجليزية الدارجة فى القرن الرابع عشر ، وكان متمسكا بمفهوم السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وحرية الضمير ، وكهنوت جميع المؤمنين ، وكان يعتقد أن كل إنسان لابد أن يكون له نسخته الخاصة من الكتاب المقدس لكى يدرسه لنفسه ، وبدأت مجموعة جديدة من الوعاظ - الكثيرون منهم كانوا كهنة تجددوا - أن يجوبوا انجلترا مبشرين بهذه الحقائق ، ويعظون مباشرة من المكتوب ، وجذبوا جماهير كثيرة ، واستقبلهم الناس بحفاوة بالغة .

وبُذلت محاولات كثيرة من قبل ممثلى الكاثوليكية لكى يتراجع وكليف وينكر التعاليم التى كان يعظ بها ، وحدث بينما كان مريضاً جداً ، وظن الكل أنه يموت ، ذهب ممثلون عن الكاثوليكية إليه ، وطلبوا منه أن يتراجع عن تعاليمه السابقة ، فقام من سرير مرضه وأعلن « إننى لن أموت ولكنى سأحيا

واعلن ثانية عن تصرفات الرهبان الشريرة » ، وقضى وكليف ١٥ سنة يترجم نسخة الكتاب المقدس اللاتينية إلى الانجليزية ، واستُقبلت ترجمته بفرحة عارمة ، وانتشرت إنتشاراً كبيراً ، وكثر اتباعه حتى أن أحد الكتُاب المعاصرين له قدّر أن أتباعه فاقوا أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، وكان معظم أتباعه وعاظ يعظون فى الشوارع ، وكانوا يعلمون أن الكتاب المقدس - وليس البابا - هو السلطة الوحيدة والنهائية ، ووعظ آخرون بأن البابا ليس هو نائب المسيح ولكنه فى الحقيقة « ضد المسيح » ، وفى السنوات الأخيرة من حياة وكليف كرس وقته لدراسة اللاهوت ، وتحدى التعليم الكاثوليكى عن عشاء الرب والخلاص ، وارتبط بالتعاليم المعمدانية ، وبدأ يكتب فى تعاليمه عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، وكانت هذه التعاليم أكثر مما يحتمله النبلاء الذين كانوا يحمونه فانسحب اغلبهم عن مساندته ، وانفصل عنه بعض المقربين له فى الخدمة ، وبدلاً من أن يضعف أو يتراجع راح يعلن بشجاعة عن ضرورة وجود الكنائس المستقلة ، وانفصال الكنيسة عن الدولة ، وطلبوا منه أن يقف أمام البابا ولكن رفض .

واصيب وكليف بازمة صحية ومات عام ١٣٨٤ م ، وصدر أمر فى مجمع (كونستانس) بإحراق كتبه ، وأخرجوا جثته بعد ذلك

من القبر واحرقوها .

جاء (ولتربولارد) وهو سكوتلندى إلى انجلترا خلال تلك الفترة ، وكان واعظا معمدانياً ، وسرعان ما جذب أتباعاً كثيرين ، وانضم إليهم أتباع وكليف وأتباع (لولارد) ومعناه « أناس الكتاب المقدس » - وهو اسم مشرف - ودُعوا « بأناس الكتاب » بسبب تأكيدهم على أن الأسفار المقدسة هى صاحبة السلطة الوحيدة للإيمان والسلوك ، وسرعان ما صار هؤلاء هدفاً لاضطهاد عنيف ، وساند الملك والبرلمان هذا الاضطهاد ، وفى عام ١٤٠١ م أُحرق واعظ اسمه (وليم سوتر) لأنه كان من « أناس الكتاب » ، وبعد (سوتر) اقتيد عدد من الرجال « الذين لم يكن العالم مستحق لهم » إلى لهيب النار ليحرقوا به .. منهم : جون بادى ، ريتشارد تيرننج ، جون كلايدون ، وليم تيلور (كاهن) وليم هوايت وغيرهم كثيرون ، وهؤلاء الناس هم الذين يجب أن يكونوا (الأبطال) فى نظر الشباب اليوم ، وأول امرأة تُحرق بالنار فى انجلترا هى (جوان بروتون) وكانت من أتباع لولارد ، وأُحرقت فى (سميث فيلد) عام ١٤٩٤ م ، وتبعتها ابنتها بشجاعة إلى لهيب النار .

كانت سلطة الكاثوليك الذين يضطهدون أولاد الله الأمناء سلطة قوية حتى أنهم فى عام ١٤١٣ ضغطوا على الملك هنرى

الخامس لكى يأمر بقتل صديقه العجوز (جون أولدكاسل) وكانت جريمة هذا الأخير هى الدعوة بالخلاص الشخصى بالإيمان ، وسلطة الكتاب المقدس الوحيدة .

واختبأ خدام لولارد ، وبعد ذلك استمرت الاجتماعات محصورة فى المناطق الجبلية البعيدة والغابات .

وفى أواخر القرن الخامس عشر ولد (وليم تندال) فى انجلترا وكان والداه عضوين فى كنيسة معمدانية مستقلة فى (سوث ويلز) ، وآمن شخصيا بالمسيح وتجدد وهو يدرس العهد الجديد باليونانية فى جامعة اكسفورد ، وأصبح تندال عالماً فى اليونانية ، واستخدمه الرب بقوة لتوصيل كلمة الله للشعب الانجليزى ، وترجمته للعهد الجديد من اليونانية إلى الانجليزية كان لها وقع كبير على الدولة ، وبعد قرن من الزمان كان الذين ترجموا الكتاب المقدس (ترجمة الملك جيمس) يعتنون بأن يضعوا كلمات تندال فى ترجمتهم كلما استطاعوا لذلك سبيلا ، وكتب تندال كتاباً عقائديا يُظهر أنه أخذ مواقف معمدانية ، ويسجل له بأنه علّم بمفهوم الكنائس المحلية المستقلة ، وبكهنوت جميع المؤمنين ، وأنه ليس هناك إلا وظيفتان فى الكنيسة - الراعى والشماس - وكتب عن معمودية المؤمنين وحدهم وبالتغطيس وآمن بأن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة ،

وليس فى كتاباته كلها ما يناقض المميزات المعمدانية ، واشترك (توماس بلنى) مع (تندال) فى مجهوداته ، وكان توماس بلنى قد درس العهد الجديد فى اليونانية ، وتجدد .

واستاذ آخر فى اليونانية هو (جون فرايث) اقتاده تندال للمسيح وأصبح الرجال الثلاثة من المنادين بالخلاص بالإيمان ، وسلطة الكتاب الوحيدة فى انجلترا .

وكانت الحال غير مستقرة فى ذلك الحين فى انجلترا ، ففى عام ١٤٠١ م أصدر الملك هنرى الرابع قوانين منها أن الموت هو العقاب الوحيد لكل من يعارض البابا فى أى شىء ، وكان على رجال الشرطة أن يقسموا على أنهم سيضطهدون كل مؤمن كتابى فى انجلترا ، وحين يُعلن « إجرام هرطوقى » تدق كل أجراس الكنائس ، ويأخذ كاهن شمعة موقدة من على المذبح ويصرخ : « كما تنتهى الشمعة وتنطفىء لتنطفىء روحه فى الجحيم » !! و كان رجال الكنيسة التقليدية يعتبرون أن « قتل الهراطقة » هى مهمتهم الرئيسية .

وبينما ازدادت شهرة تندال دون مضايقة من الحكومة ، كان كثيرون يُضطهدون ، وقُبض على (توماس مان) بسبب تعليمه بأن كل المؤمنين كهنة ، ولأنه أيضا قاد ٧٠٠ شخصا للمسيح ، وادين وأُحرق بالنار ، ومن المتفق عليه - بوجه عام - على الأقل

فى الولايات المتحدة انه ليس لأحد أن يقلق لأنه سوف يُحرق بسبب ربحه نفوساً للمسيح .

وبدأت الكنيسة الكاثوليكية تعلم ضد قراءة العهد الجديد باليونانية أو قراءة أى ترجمة إنجليزية ، ومات سبعة حرقاً بالنار لأنهم لقنوا أولادهم الصلاة الربانية والوصايا العشر باللغة الإنجليزية .

وأخيراً حولت الكنيسة الرسمية – الكاثوليكية – أنظارها إلى (تندال) وحتى أصدقائه الأقوياء لم يعودوا قادرين على حمايته ، وهرب إلى المانيا إلى مدينة (كولون) المشهورة بوعاظها المستقلين ، وهناك عمل بسلام وحرية لمدة من الزمان ، ولكن طبعته من العهد الجديد حُرِّمت فى تلك المدينة ، وهرب إلى (ورمز) وطُبعت ترجمته للعهد الجديد هناك ، وكان التأثير فى انجلترا كبيراً ، فقد كان العهد الجديد ينتشر ويُقرأ بفرح عظيم .



(١٤)

الولدنسيون

لأننا من اجلك نمات كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم الذبح ، مزمور ٤٤ : ٢٢ ، رومية ٨ : ٣٦ .

(مزمور ٤٤ معروف تقليديا بأنه مزمور الولدنسيين)

***

كانت الجبال دائما ملجأ للذين اعتبروا منشقين على الكنيسة الرسمية ، وقد حبت الطبيعة تلك الجبال بأن تكون مأمنا من الجيوش التى تضطهد المؤمنين ، وجبال الألب وهى فى وسط اوروبا قدمت ملجأ وحماية لأكثر من جماعة من الذين يبحثون عن الحرية من الاضطهاد ، ومن أشهر هذه الجماعات (الولدنسيون) وليس هناك نقطة بداية لهذه الجماعة ، ولكن نشاطاتهم يمكن تتبعها من ايام (بيتروالدو) الذى أخذوا اسمه ، إلا ان وجودهم كان قبل (والدو) بزمن ليس بقليل ، ووالدو لم يبدأ هذه الحركة ولكن الحركة هى التى وصلت إليه وكانت مكونة من عدة كنائس مستقلة متمركزة فى جبال الألب

و (الولدنسيون) الأوائل يقولون انهم يرجعون إلى كنائس الرسل .

كان (بيتر والدو) تاجراً غنياً ، ومواطناً بارزاً فى (ليون) فى فرنسا فى القرن الثانى عشر ، ومن بعض أعضاء كنيسة مستقلة فى الجبال أخذ نسخة من العهد الجديد ، وسرعان ما قارن ما قراه فى العهد الجديد بالكاثوليكية وتعاليمها التى كان يسمعها ، وترجم الكتاب إلى اللغة المحلية وبدأ فى توزيع نسخ منه ، وهذا قاد إلى تشكيل مجموعة للدرس فى بيته ، وآمن والدو مع آخرين بالمسيح مخلصاً ، وباع والدو واخرون أملاكهم ، وأعطوا أثمانها للفقراء ، وبدأ والدو وأتباعه بالكرازة فى ليون ، وارتحلوا كمرسلين إلى المدن القريبة ، وكانوا يسافرون عادة كل اثنين معاً حسب نموذج العهد الجديد ، وجالوا فى كل أنحاء فرنسا وسويسرا وشمال إيطاليا ، وكان الناس يطلقون عليهم « رجال ليون الفقراء » ، وأُمروا أن يتوقفوا عن الكرازة ولكنهم رفضوا ، وألقيت كتبهم المقدسة فى النيران ، وأحرقوا ٨٠ من خدامهم فى (ستراسبورج) وطُردوا إلى النمسا وبولندا ، وسوابيا ، وباڤاريا ، وبوهيميا ومناطق أخرى ، وهرب والدو لحياته ، وحط به المقام فى باڤاريا ، وكان أتباعه يُسمون أحيانا (ليونست) .

وكان (الولدنسيون) واضحين جداً فى موقفهم من تعليم السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وكانت كنائسهم كلها مستقلة وكل اجتماع تمسك بما وصل إليه من تعليم ، وكانت معمودية المؤمنين فقط من العقائد المألوفة ، وعلّموا بالضمان الأبدى للمؤمن ، والتبرير بالإيمان وحده ، وبتعبير آخر كانوا معمدانيين يؤمنون بالكتاب المقدس قبل أن يولد مارتن لوثر بزمن طويل ، ومن العدل أن يقال أن كنائس (الولدنسيين) ووعاظها كانوا معمدانيين .

ولوحظ أن حياة وسلوك (الولدنسيين) أنقى من حياة السكان فى الأماكن التى عاشوا فيها ، حتى ألد أعدائهم اعترفوا بحياتهم التقوية ، وحاول الكثيرون من الكهنة الكاثوليك ، ودكاترة اللاهوت أن يحوّلوا (الولدنسيين) عن عقائدهم ، واعترفوا فى النهاية أن عضو الكنيسة منهم أكثر معرفة بالكتاب من الكهنة الكاثوليك ودكاترة اللاهوت ، واعترف أحد الكهنة وهو عائد من إرسالية إليهم أنه تعلم من (الولدنسيين) من الناحية الكتابية أكثر مما تعلمه فى دراساته اللاهوتية الرسمية ، كذلك اعترف أساتذة اللاهوت فى جامعة (السربون) أن أولاد (الولدنسيين) أكثر معرفة ودراية بالكتاب المقدس منهم شخصيا .

واعترف (الولدنسيون) بالكنائس المستقلة الأخرى ما دامت تنادى بالانجيل الصحيح ، واتحدوا مع أتباع (أرنولد) الباقين فى جنوب إيطاليا .

ونشروا عدة قوانين إيمان أوضحت عقائدهم العامة ، وهذه القوانين جذبت انتباه الكنيسة الكاثوليكية ، واستخدمت كسبب لاضطهادهم .

والولدنسيون الفرنسيون عُرفوا بشكل خاص – بمعارضتهم لفكرة معمودية الأطفال الأمر الذى دعى الكنيسة الرسمية إلى انتقادهم لرفضهم معمودية الأطفال .

واضطهاد يعقبه اظطهاد كان يستهدف الولدنسيين ، وقُتل منهم عشرات الآلاف فى عدة بلدان ، وكان معظم الضحايا من (الألب) ، والولدنسيون قد هربوا إلى (الألب) مرات عديدة حتى ارتبطت بهم جبال الألب فى أذهان الناس ، وأقام الولدنسيون قراهم الخاصة وكانت تشمل المدارس والمستشفيات فى الجبال ، وكان الولدنسيون حريصين على أن يكونوا فى سلام مع الحكومات القريبة منهم ، كما كانوا حريصين جداً على دفع ضرائبهم بل كانوا يدفعونها إبان فترات الاضطهاد ، وقاموا بعدة مقابلات مع الحكومة ومع المسئولين فى الكنيسة الرسمية ليشرحوا مواقفهم ، وسمحوا مرات كثيرة لكهنة كاثوليك أن يأتوا إلى مناطق يسيطرون هم عليها ، كما سمحوا لهم بالوعظ علناً بحرية الدين ، ولا يوجد فى السجلات ما يفيد نجاح واحد من أولئك الكهنة فى إرساليته إليهم ، وأخيراً توقفوا عن هذا السماح لأن الكهنة كانوا يعدون الطريق للقوات المسلحة المضطهدة ، ونشر الولدنسيون إعلاناً يشرحون فيه موقفهم ، ورغم العديد من محاولاتهم للإتفاق مع الحكومة إلا أنهم عادة كانوا يفشلون ، وحين كانت مبانى كنائسهم تحطم كانوا يجتمعون فى الجبال والغابات والوديان ، وحين كانوا يُؤمرون بالتوقف عن (تعكير) الأسفار المقدسة بتعاليمهم ، استمروا فى طريقهم التعليمى ، وترجم الولدنسيون الكتاب المقدس إلى ستة لغات مختلفة ، ونشروا نسخا منها فى كل أنحاء أوروبا الوسطى ، وكانت جماعات معمدانية أخرى مثل (البيجنسس ، والبطرسيين) يستخدمون الترجمات التى نشرها الولدنسيون وحين أُمر الولدنسيون بتعميد أطفالهم رفضوا الانصياع للأمر .

وأصاب الاضطهاد الولدنسيون بسبب مدارسهم الاعتزالية ، وآمنوا أن كل ثقافة هى ثقافة دينية ، وأنهم مسئولون عن تدريب أولادهم وعن ثقافتهم ، وفى مناطق كثيرة لم تكن توجد مدارس ، وإن وجدت فهى ضعيفة ، وكانوا مصممين على أن أولادهم ينبغى أن يتعلموا القراءة حتى يمكنهم دراسة الكتاب

المقدس لأنفسهم ، ولهذا السبب كان اغلب الولدنسيين يقراون فى الوقت الذى كانت فيه الأغلبية من أفراد الشعب أميين ، بل لقد علّموا إناثهم من الأطفال القراءة الأمر الذى لم يكن معروفاً ولم يُسمح به فى ذلك الحين ، وغار الكثيرون من نجاح برامجهم التعليمية ، وقامت محاولات عدة لتحطيم مدارسهم ، وقال أعداؤهم ان أهم آية كتابية عند الولدنسيين كانت « ينبغى ان يطاع الله أكثر من الناس » ، وكانت عقائدهم عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، والسلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وحرية النفس .. كل هذا اجبرهم على تحدى الحكومة حين حاولت التدخل فى حريتهم الدينية .

وفى بعض الأحيان كان الولدنسيون ينظمون أنفسهم للدفاع ضد مضطهديهم ، وخاضوا الكثير من المواقع وغالبا كانوا يحرزون انتصارات على قوات تفوقهم عدداً وعدة ، إلا ان الكنيسة الكاثوليكية – التابعة للحكومة – استطاعت دائما أن تجهز جيوشا جديدة وترسلها لمحاربتهم ، وأخيرا أدرك الولدنسيون أن محاولة التعاون أو التفاهم مع الحكومات لن يجديهم نفعاً ، وكان أيضا من الواضح انه ليس فى الإمكان هزيمة القوة العسكرية الكاثوليكية ، وعادوا إلى سياسة اللجوء إلى جبال الألب مدة الاضطهاد .

وكان للولدنسيين عقلية مرسلية ، وتثبت السجلات أن مرسليهم ذهبوا إلى بلاد كثيرة ، وكان المرسلون الولدنسيون بين أوائل الذين استقروا فى البرازيل ، ورحلوا إلى سكندنافيا واليونان وروسيا وشمال أفريقيا .

وكثيرون من الولدنسيين ارتبطوا بجماعات (الأنابابتست) - اى الذين لا يعمدون الأطفال – وكان هذا فى القرن السادس عشر ، وكان هذا أحد أسباب نمو هذه الجماعات بسرعة ، وآخرون التصقوا بالمصلحين البروتستانت فى نفس الفترة ، ولكن الولدنسيين فى شمال إيطاليا استمروا حركة متميزة وبقوا هكذا إلى وقتنا الحاضر ، ومازال الناس يحبونهم فى شمال إيطاليا ، ولكن بحلول عام ١٩٧٠ بدأت الحكومة تقبض عليهم بسبب تبشيرهم بالإنجيل فى روما .

وكل المبشرين وخصوصاً المعمدانيين المستقلين مدينون بالكثير للولدنسيين الشجعان .



(١٥)

قيام الأنابابتست Anabaptists

« وكثيرون مضطهدىّ ومضايقىّ . أما شهاداتك فلم أمل

عنها. رأيت الغادرين ومقت لأنهم لم يحفظوا كلمتك » مزمور

١١٩ : ١٥٦ و ١٥٧ .

***

كان (جون هس) راعيا لكنيسة كاثوليكية فى (براج) - وهى الآن تشيكوسلفكيا – ثم صارت ولاية ألمانية ، وحصل هس على نسخ من كتب جون وكليف ودرسها ، وسرعان ما اقتنع بوجهات نظره ، وهذا قاد هس إلى دراسة جدية للعهد الجديد ، قادته إلى الخلاص ، واستمر هس فى الدراسة وامتلأ اقتناعا بعدد من المميزات المعمدانية ، وجذب وعظه النارى اتباعاً كثيرين ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية فى تلك الفترة منشقة بين اثنين من الباباوات فلم يكن هناك إلا القليل من الاضطهاد ، أما هس فقد بعد كل البعد عن العقيدة الكاثوليكية وتعليمها ، وكان حراً فى المناداة بالحق لعدة سنوات .

وأخيرا هيمنت الكنيسة الرسمية – الكاثوليكية – على خلافاتها ، وتم طرد هس من الكنيسة ، وبدأ ينادى بكل شجاعة عن ضرورة إنفصال الكنيسة عن الدولة ، وأُرغم أن يعيش فى المنفى حيث كرس وقته لكتابة كتب عقائدية تعليمية ، وقبل أن يذهب إلى مجمع كونستاس أخذ عهد ضمان وأمان ، والمجمع سمح له أن يقدم وجهة نظره عن الخلاص ، والسلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وانفصال الكنيسة عن الدولة ، ولكن حيث أنه « هرطوقى » فلم يستحق أن يُعامل بأمانة وشرف ، وهكذا أدين من المجمع وقُدم ضحية للنار والحريق .

وأى كاثوليكى يمكن أن يكذب حتى لو كان قد أقسم أغلظ الإيمان ، ما دام الأمر يساند الكنيسة الكاثوليكية !! ، وكان هس « هرطوقيا » فى نظر الكنيسة الكاثوليكية ، لأنه رفض القداس ، وآمن بالوعظ فى كل مكان وليس فقط فى مبانى الكنائس ، وأنكر عصمة البابا ، وقال أن الكرادلة والبطاركة لا لزوم لهم ، وإذن فمن المعقول (المعقول لديانة متعطشة للدماء ومستبدة) أن يُحرق هس بالنار .

وتركت الكنائس التى حول (براج) الكنيسة الكاثوليكية وانقسمت إلى جماعتين ، الأولى تقول بأن الكتاب المقدس هو السلطة النهائية ، والجماعة الثانية تقول أن الكتاب المقدس هو

السلطة الوحيدة وليس النهائية فقط ، وعمت الحرية كل المنطقة وانسحبوا من الكنيسة الرسمية ، وكونوا جيشا معاً ونجحوا فى هزيمة الجيوش الكاثوليكية الغازية ، ويعتبر الجنرال (جون زيزكا) الأعمى من ألمع القادة العسكريين فى كل زمان إلى وقتنا الحاضر ، وقد هزم جيوش الكاثوليك المرة بعد المرة ، وعلى مدى ارتباط الجماعتين معاً لم يهزما أبداً ، وكان حجم الأرض التى يسيطرون عليها تتزايد باستمرار .

وقامت مناقشات عدة بين الجماعتين ، وكان أحد الجماعتين من المعمدانيين (اسم الجماعة المعمدانية كان تابورايتس ، واسم الجماعة الثانية أتراكويست) وساندت الكنيسة الكاثوليكية الجماعة الثانية لتبقى داخل الكنيسة الرسمية ، وقد وعدتهم بحق ممارسة التبشير كما يشاءون طالما اعترفوا بالبابا كسلطة روحية ، ومن المؤسف أنهم وافقوا ، وقامت حرب أهلية بين (الأتراكويست) وبين (التابورايتس) وحصل الأتراكويست على مساعدات عسكرية من الولايات الكاثوليكية ، وهزموا التابورايتس وعادت المنطقة التى حول (براج) إلى السلطة الكاثوليكية ، والذين نجوا من التابورايتس اتحدوا مع الولدنسيين ، وكانت كنائسهم مستقلة ، وتمسكت بسلطة الكتاب المقدس الوحيدة وبعض المبادئ المعمدانية الأخرى ،

وبمرور السنين عاد أولئك الذين انضموا إلى الكنيسة الكاثوليكية (الأتراكويست) وتركوها وانضموا إلى الجماعتين الآخريين ، ومن كل هذه الجماعات تكون (المرافيون) والألمان (الأنابابتست) ، وفى خطاب أرسلوه إلى (إيرسموس) يوضحون موقفهم قال (التابوراتيس) إنهم لم يقبلوا إلا حكم الكتاب المقدس ، ولم يسمحوا لأحد ينضم إليهم إلا بعد تغطيسه فى ماء المعمودية .

وفى القرن الخامس عشر بدأ كاهن إيطالى شجاع بالوعظ عن التبرير بالإيمان ، والسلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، كما تكلم ضد الفساد الموجود فى الكنيسة الكاثوليكية ، وجعل إيطاليا كلها تهيج ، هذا الكاهن هو (سفانارولا) ، ولكن البابا الاسكندر السادس عرض عليه رشوة .. وهى رتبة الكاردينال ، ولكن الواعظ الشجاع أجاب بأنه مستعد أن يموت ولا يبيع الحق ، وقال أيضا أن البابا بونيفاس الثامن كان رجلاً شريراً ، وقد بدأ حكمه كثعلب ، وأنهاه ككلب ، وقيده مبعوثو البابا إلى خازوق وأحرقوه بالنار ، وألقوا برماد جثته فى نهر أرنو ، وكانت آخر كلماته (يسوع .. يسوع) .

كان سفانارولا واعظا شجاعاً إلا أن هناك حقيقة عجيبة فى حياته ، فقد كان كاثوليكياً مخلصاً حتى مات ، وهذا مثل لرجل

عظيم تمسك بالتقاليد التى استعبدت ملايين من الناس ، ولا يعرف أحد هل بقى فى الكنيسة الكاثوليكية بسبب العائلة ، أو بسبب الأصدقاء .. أو ماذا ؟ لكن الله قال « اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب » ٢ كورنثوس ٦ : ١٧ .

ومما يستحق الانتباه أن نتأمل فى أين كان يمكن أن يقود إخلاص سفانارولا لسلطة الكتاب المقدس لو أنه عاش ودرس الكتاب ؟! .

وفى ألمانيا قامت جماعة تُسمى (أخوة الحياة العادية) وتمسكوا بتعليم السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وأسسوا مدارس ليعلّموا الناس كلمة الله ، وكان أملهم وهدفهم أن يصلحوا الكنيسة الكاثوليكية من الداخل ، وعلّم أحد قادتهم المشهورين إسمه (جون الوسلى) بالتبرير بالإيمان ، وبكهنوت كل المؤمنين ، وتحدى سلطة الكنيسة الكاثوليكية ، وأُلقى فى السجن ومات هناك .

وواحد آخر من المعروفين من « أخوة الحياة العادية » كان (إيرسموس) وعمله فى العهد الجديد المكتوب باليونانية أثر كثيرا فى (تندال) وفى ترجمة الكتاب إلى اللغة الانجليزية ، وترجم (لوثر) العهد الجديد إلى الألمانية من كتاب (تندال) ، ومن اليونانية خرجت ترجمة (الملك جيمس King James) .

وأخوة الحياة العادية لم يكونوا معمدانيين ، ولم يخرجوا من الكنيسة الكاثوليكية ليبدأوا كنائس مستقلة ، ولكن الكثير من إنتاج مدارسهم حملت تعاليمهم القريبة من تعاليم المعمدانيين ، وكثيرون من خريجى مدارسهم أصبحوا (أنابابتست) حتى (إيرسموس) أُتهم أنه (أنابابتست) ، وأنكر هو هذا إلا أنه تكلم عن اضطهاد (الأنابابتست) واعترف أن له أصدقاء حميمين بينهم .

وفى القرنين ١٥ و ١٦ أصبح اسم (أنابابتست) من الأسماء الشائعة والتى تشير إلى الكنائس المستقلة ، وكلمة (أنابابتست) أصبحت تعبيراً لاهوتيا شائعا لقرون عديدة ، ومعناها الحرفى (الذين يعمدون ثانية) وكانت تشير إلى الذين رفضوا معمودية الأطفال ، ويعمدّون المؤمنين بناء على اعترافهم بالايمان ، وكانت هذه هى الممارسة العادية للكنائس المستقلة ، وهكذا أُطلق اسم (أنابابتست) على كل المعمدانيين ، إلا أن ليس كل الأنابابتست معمدانيين فقد بعُد بعضهم عن بعض المميزات المعمدانية وكان اسم الأنابابتست فى ألمانيا يُطلق على من يعلم بانفصال الكنيسة عن الدولة ، ومن المهم أن نفهم أن (الأنابابتست) لم تكن حركة جديدة ، وبعض مؤرخى الكنيسة يدّعون أن الأنابابتست كانوا جماعة ظهرت خلال الاصلاح ، ولكن

الأنابابتست لا يرون انفسهم فى هذه الصورة بالمرة ، بل ويدّعون أنهم خط مباشر يعود إلى الرسل ، وهناك الكثير من الأدلة التاريخية التى تساند ادعاءعم ، وهذا دفع كثيرين من المؤرخين الأمناء للاعتراف بما يدعون ، وكتب المؤرخ اللوثرى ، (موشيم) الآتى :

« فى المقام الأول ليس (المونانايتس) على خطأ فى المجموع حين يفتخرون بأنهم من (الولدنسيين والبطرسيين) واخرون من الذين كانوا شهودا معروفين للحق قبل (لوثر) ، وقبل زمن (لوثر) وُجد – فى الخفاء – فى كل بلد أوروبى تقريبا هؤلاء الشهود الأمناء وخاصة فى بوهيميا ، وسويسرا ، والمانيا ، وكان هؤلاء قد استقر فى اذهانهم ذلك المبدأ الذى تمسك به (الولدنسيون) واتباع (وكليف) والبعض منهم احتفظ بالمبدا سراً ، وآخرون جاهروا به ، وهذا المبدأ هو أن الملكوت الذى أقام المسيح على الأرض اى الكنيسة المرئية هو اجتماع لأناس مخلصين ، وينبغى ان يكون خالياً تماما ليس فقط من الخطاة والأشرار ولكن من كل تشكيل من صنع الإنسان ، وهذا المبدا كان فى الأساس مصدراً لكل ما هو فريد فى ديانة (المونانايتس) والجزء الأكبر من افكارهم الجديدة كما تأكدت واتُفق عليها كانت قبل (لوثر) بقرون عديدة من الذين يعتنقون مثل هذه النظرة

إلى كنيسة المسيح » ا . هـ .

وكتب روبرت بركلاى من (الكواكرز Quakers) : « سوف نرى بعد ذلك ان (الأنابابتست) قاموا قبل إصلاح كنيسة إنجلترا ، وهناك أسباب للاعتقاد أن القارة الأوروبية كانت توجد فيها مجتمعات مسيحية مختفية من الذين آمنوا بأفكار الأنابابتست ، وقد وجدوا من أيام الرسل – بمعنى الانتقال المباشر للحق الإلهى ، والطبيعة الحقيقية للديانة الروحية – ومن المحتمل ان يكون لتلك الكنائس خط انتقالى اكثر قدما وعمراً من الكنيسة الكاثوليكية » ، وهذا اعتراف لا يدحض من مؤرخ غير معمدانى .

وادانت عدة مجامع كاثوليكية (الأنابابتست) كمن لم يزد عمرها على عدة مئات من السنين ، وقال الكردينال (هوسيس) فى مجمع (ترنت) الشهير عام ١٥٦٠ م : « إذا كانت الديانة الحق يمكن الحكم عليها بشجاعة اتباعها واستعدادهم لكل الآلام .. إذن ، لا يوجد اكثر من (الأنابابتست) حيث أنه لم يوجد على مر ١٢٠٠ سنة مضت ما يضاهيهم فى تحمل الاضطهاد والآلام ومواجهة كل المقاومات بثبات وفرح مثلهم ، بل لقد عرضوا انفسهم لأقسى انواع العقاب اكثر من أى فئة أخرى » ا . هـ .

حتى (لوثر) نفسه اعترف بأن حركة (الأنابابتست) لم تكن جديدة ، وأنها وُجدت لمئات من السنين فى ألمانيا ، واعترف أن (جون هس) لابد من اعتباره واحداً من الأنابابتست .

والعالم المشهور العظيم (اسحق نيوتن) كان أيضا دارسا لاهوتيا ومؤرخا للكنيسة ، وقادته دراسته ليقرر أن قناعته بأن «المعمدانيين كانوا المسيحيين الوحيدين الذين لم يسيروا فى فلك روما » .

ومن الإنصاف ، كما من الدقة التاريخية أن نفهم أن التاريخ المعمدانى يمكن تذكره حسب الأسماء التى أُطلقت على الخدام المعمدانيين :

* المرحلة الأولى هى مرحلة الرسل وكنائس العهد الجديد ومن جاء بعدهم مباشرة .
* هذه المرحلة قادت إلى (الكاثارى ، والمسيحيين السلتك ، والمونانست ، والموروفيان ، والدوناتست ، والبولسيين) .
* هذه الجماعات قادت مباشرة إلى المرحلة الثالثة (الولدنسيين واللولارد ، والبيجنسس ، والبطرسيين ، والهنريين ، والأرنولد ، والتابورايتس ، والبوجاميل) .
* فى المرحلة الرابعة دُعى وعاظ من المعمدانيين باسم (انابابتست) .
* الآن يُدعون المعمدانيون .

فى عام ١٨١٩ قام اثنان من اللاهوتيين الاسكتلنديين – وكلاهما كان عضوا فى كنيسة تابعة للإصلاح – بدراسة ادعاءات المعمدانيين الاسكتلنديين وأصلهم الرسولى ، وقادتهم دراستهم إلى هذه النتيجة .

« لقد رأينا الآن أن المعمدانيين الذين سبق تسميتهم (انابابتست) وبعد ذلك بسنوات كثيرة سُموا (المونانايتس) الذين كانوا أصل (الولدنسيين) الذين من مدة طويلة فى تاريخ الكنيسة كان لهم شرف هذا الأصل ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار المعمدانيين أنهم المسيحيون الأوائل الذين ثبتوا منذ أيام الرسل الأولين ، واحتفظوا بنقاء تعاليم الإنجيل خلال الأجيال » ا . هـ .

وهكذا ، لا يقر المعمدانيون فقط بأصلهم الذى يرجع إلى كنيسة العهد الجديد الأولى ، بل إن أعداءهم يقرون بهذه الحقيقة .



(١٦)

الأفكار والتعاليم المعمدانية ساعدت على خلق الاصلاح

« خذوا يا إخواتى مثالا لإحتمال المشقات والأناة الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب » يعقوب ٥ : ١٠ .

***

رأى القرن السادس عشر الكنيسة الكاثوليكية وقوتها تهتز بشدة ، ولم تعد كما كانت أبداً ، وقد فقدت الكاثوليكية السيطرة على سكندناڤيا وانجلترا وسويسرا وهولندا ، واضطرت إلى مشاركة السلطة فى ألمانيا ، وفى كل مكان اهتزت سلطتها فيها لم تعد قوتها غير محدودة ، وهذه الفترة هى فترة (الإصلاح) وكانت هناك عوامل كثيرة لوجود هذا المناخ .

وفشل الكاثوليكية للاحتفاظ بقوتها أثار الأسئلة فى عقول شعوب كثيرة ، فقد كان هناك وباستمرار باباوات متنافسون ، وأعداء باباوات ، وانشقاقات داخل الكنيسة ، وحين كان يدّعى أكثر من واحد من قادة الكنيسة أنه البابا الحقيقى ، أحدث هذا

بلبلة كثيرة ، وخلال الفترة التى دعيت « الانشقاق العظيم » ، كان يوجد فعلاً أربعة بابوات متنافسين ، وكل واحد منهم مُعين من مجمع كنسى مختلف ، وذاعت الكثير من النكات الطريفة على حساب الاحترام العادى للبابوية ، وفشل الحملات الصليبية الكامل كان سبباً إضافياً فى أن يتساءل الناس ويشكّون فى عصمة الكنيسة والبابا ، فإذا كان البابا حقاً يمثل مشيئة الله - فلماذا فشلت الحملات التى ارسلت إلى فلسطين هذا الفشل الذريع ؟ فإما أن الله لم يكن له قوة - وهذا غير وارد - وإما أن الكنيسة الكاثوليكية لا تمثله أو تتكلم عنه (وهذا وارد) .

وعجز الكنيسة الكاثوليكية على إيقاف نجاح وانتشار الكنائس المستقلة اعان على خلق أسئلة كثيرة فى عقول الكثيرين ، فكل قوى الحكومات والجيوش والبوليس البابوية وكل القتلة المأجورين لم تستطع أن توقف الجماعات المعمدانية المبشّرة ، ومئات الآلاف من عمليات الشنق والحرق والطعن والقتل عجزت عن توقف المستقلين ، وإحراق المدن والقرى والبلاد الصغيرة كان كل نتائجه مجرد فرار المستقلين إلى الجبال ، وكل هذه الأعمال العنيفة لم توقفهم عن نشاطهم ، والعقلاء من الناس بدأوا يتساءلون ، لماذا تكره الكنيسة الكاثوليكية أناسا درسوا ويدرسون الكتاب المقدس ، سواء كان

أولئك الناس من المستقلين أو من غيرهم ؟ وهناك شهادات عديدة على أن المعمدانيين (ومنشقين آخرين) يعيشون حياة نقية ، وسلوكهم يتسم باللين واللطف ؟ فلماذا تحقد الكنيسة الكاثوليكية عليهم بهذه الصورة ؟ وبدأ العقلاء يتساءلون عن أخلاقيات الكنيسة الكاثوليكية وكهنتها ، تماما كما بدأوا فى التساؤل عن قوتها الفاشلة ، وطاردت شهادة الشهداء المعمدانيين الكنيسة الكاثوليكية خلال القرن السادس عشر .

ومن المؤكد أن الانتعاش التعليمى خلال القرنين ١٥ و ١٦ تحدى الكنيسة الكاثوليكية ، ودفعت هذه النهضة التعليمية الشعب إلى الإقبال على تعلم القراءة والدرس والتفكير لأنفسهم ، وأطلقوا على هذه النهضة اسم « الحركة الإنسانية » التى تقدّر الإنسان وتعطيه الحق أن يفكر لنفسه ، ولكنها تختلف عن الحركة الإنسانية العلمانية فى القرن العشرين ، فرجال عصر النهضة كانوا - ببساطة - يحررون أنفسهم من التقاليد الرسمية للكنيسة الكاثوليكية ، وهذا قاد كثيرين منهم إلى دراسة مباشرة للكتاب المقدس .

وكان إيرسموس واحداً من رجال عصر النهضة البارزين ، وكذلك كان جون كلفن ، وقد درسا الكتاب المقدس مباشرة ، وكثيرون من قادة الأنابابتست السويسريين كانوا من عصر

النهضة ، وهذا قادهم لدراسة الكتاب المقدس مباشرة ، وهذا قادهم بالتالى إلى الولدنسيين والبطرسيين وغيرهم من سكان جبال الألب (لكن الذين يدعون أنهم الحركة الإنسانية اليوم يقولون أنهم أحرار من أى تأثير إلهى ومن الكتاب المقدس) ! .

وإذ بدأ الناس يتساءلون لماذا ؟ أدركوا أن الكنيسة الكاثوليكية كانت قاصرة تماما عن الإجابة ، ولما بدأ الناس يتساءلون : « أين هذا فى الكتاب المقدس ؟ » ، لم يكن عند الكاثوليكية أى جواب ! وحين بدأ الناس فى عصر النهضة يدرسون الكتاب المقدس لأنفسهم كانوا يدرسون النسخة اللاتينية المعروفة باسم (الفولجات) ، وإذ ارتفع معدل التعليم ، أراد الناس أن يقرأوا الكتاب المقدس فى لغاتهم الخاصة ، وفى زمن لوثر ارتفع عدد المتعلمين بين الذكور فى ألمانيا من ١٠٪ لأكثر من ٥٠ ٪ ، وترجم الولدنسيون الكتاب المقدس إلى أغلب لغات أوروبا ، وأصبحت ترجماتهم مطلباً ملحاً ، وبعد مائتى سنة من ترجمة لوثر للكتاب المقدس كانت ترجمة الولدنسيين الألمانية مازالت تُستخدم على نطاق واسع فى ألمانيا ، ولولا المعمدانيين (الولدنسيين) لما سنح لمعظم الأوروبيين الفرصة لقراءة الكتاب المقدس فى لغاتهم الخاصة ، وكانت هناك عوامل عديدة تكاتفت فأضافت إلى انتعاش التعليم فى أوروبا ، وأراد الملوك والحكام أن

يقيموا وحدة وطنية بدفع الناس إلى القراءة والتفكير بلغاتهم
الخاصة ، والحركة الإنسانية أرادت أن تشجع الناس على دراسات
المؤلفات اليونانية ، ولم تعد الكنيسة الكاثوليكية ذات قوة كافية
لكى تحرّم التعليم ، وكان من العوامل قوية التأثير الرغبة فى
قراءة الكتاب المقدس ، وأثرت الكنائس المستقلة فى الكثيرين
وخلق هذا رغبة عارمة لقراءة الكتاب المقدس ، وكان تعليم
السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ذا قيمة محدودة لشعب غارق
فى ظلام الجهل ، ولكن الذى لا شك فيه أن التعليم المعمدانى عن
السلطة الوحيدة للكتاب المقدس عمل الكثير لتمهيد الطريق
للنهضة التعليمية ، وزمن الإصلاح فى أوروبا .

وعدم الرضا والاستياء من الكهنة الكاثوليك زاد بقوة بسبب
وجود الكنائس المستقلة ، وكان معظم الكهنة والرهبان الذين
تعاملوا مع عامة الشعب من الجهلاء ، ولم يكن لهم أى تدريب
كتابى أو لاهوتى ، وكان دورهم الرئيسى إجتماعيا أو سياسياً
ولكنه لم يكن دينياً ، وكان نتيجة هذا الجهل أنهم لم يهتموا
بإظهار الورع فى حياتهم أو يبدون أى اهتمام روحى ، أو حتى
الأخلاقيات الأساسية ، وكان هذا كله العامل الأول الذى فتح
عينى لوثر ليرى أن هناك خطأ ما فى الكنيسة الكاثوليكية ،
وكان هذا أيضا نقطة انطلاق زوينجلى للثورة فى سويسرا ، كما

كان الموضوع الرئيسى للإصلاح فى إنجلترا .

والكنائس المستقلة كان لها أيضا ضعفاتها ، ولكنها كانت حرة
فى التعامل مع مشاكلها ، فهى لم تكن مجبرة على قبول خادم
لمجرد أن سلطة دينية عينته ، وكان من السهل على الكنائس
المستقلة أن تعزل خادما لا يعيش حسب مستواهم ، ورعاتهم
كان لديهم الكتب المقدسة ليدرسوها ، كما كان لهم شكل من
أشكال التدريب اللاهوتى ، وكان الرعاة هم أكثر الناس ثقافة فى
اجتماعاتهم ، ولهذا كله كان الكاهن الكاثوليكى يعانى من
مواجهة هذا كله .

والتعليم المعمدانى عن استقلال الكنيسة المحلية كان من
الأمور التى ساعدت على شكوى الشعب من الفساد الموجود
داخل الكنيسة الكاثوليكية .

وبدون أدنى شك كان اختراع الطباعة عاملا رئيسيا فى
وصول وانتشار الإصلاح ، وأصبح هذا حقيقة واقعة عام ١٤٥٠
حين اخترع (يوحنا جوتنبرج) آلة الطباعة وأدخل عليها
التحسينات ، وفى عام ١٤٥٥ نشر جوتنبرج الكتاب المقدس
المعروف لدى البعض بالكتاب المقدس ذى ٤٢ سطراً ، لأن
صفحته كانت تتكون من ٤٢ سطراً .

وأزادت الطباعة الفرص أمام المعلمين بشكل ملموس للاتجاه

إلى نشر رسائلهم ، وكان المعمدانيون أسرع فى استخدام الكلمة المطبوعة ، فالنبذ ، والكتيبات ، والكتب انسكبت على الشعب من منابع معمدانية ، وحين وقف الاضطهاد أمام الكنائس المستقلة ومنعهم من مداومة النشر ، أخذت الكنائس اللوثرية الإصلاحية زمام القصبة فى النشر الدينى ، بعد ذلك وفى القرن السادس عشر قامت الكنيسة بمجهود جبار لتقديم مواد مطبوعة للجماهير .

وتعليم المعمدانيين عن حرية النفس ، وكهنوت جميع المؤمنين أثر فى الموقف المعمدانى تجاه الطباعة والنشر ، فبينما حركات دينية أخرى حاولت أن تتقدم بالإلتجاء إلى القادة الدينيين او السياسيين ، لجأ المعمدانيون إلى كل الناس ، وبعض المؤرخين يعتقدون أن البروتستانت – وبعد ذلك الكاثوليك – إن لم يتحولوا إلى الطباعة والنشر لأصبح المعمدانيون هم اكبر طائفة مسيطرة فى أوروبا .

وفى أمريكا الشمالية حيث اعتاد كل واحد أن يكون له رأيه الخاص عن الدين من الصعب تصور تأثير هذه التعاليم وما أحدثته ، فالناس الذين قيل لهم دائما أن لا يفكروا ولا يقرأوا او يتساءلوا يقال لهم الآن انهم متساوون أمام الله ، والناس الذين اعتادوا أن يقال لهم انهم بلا قيمة حتى يكون لهم فكرهم

الخاص ، يقال لهم الآن انهم أفراد متميزون يمكن لكل واحد منهم أن يفكر لنفسه ، فلا عجب أن يندفع الناس أفواجاً إلى المعمدانيين وإلى الاجتماعات المستقلة الأخرى ، وهذا أرغم البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية وقادتهم أن يتجهوا مباشرة إلى الشعب .

وكان للأفكار المعمدانية تأثيراً كبيراً على سكان أوروبا العاديين خلال الجزء الأخير من القرن ١٥ ، والجزء الأول من القرن ١٦ حتى كانوا قوة رئيسية فى خلق الإصلاح ، حتى لوثر وزوينجلى عملا مع المعدانيين فى الأيام الأولى من الاصلاح ، إلا ان الأفكار المعمدانية لم يكن لها الكفة الراجحة ، والضغط الذى وقع على المعمدانيين والمستقلين الآخرين عن طريق البروتستانت المصلحين مع الكنيسة الكاثوليكية أخضع أوروبا -ما عدا هولندا – تحت سيطرة الكنائس التابعة للدولة ، ولكننا نستطيع القول أن المعمدانيين قد ربحوا ، واليوم مفهوم الحرية الفردية ، والديانة الشخصية ، وانفصال الكنيسة عن الدولة – أو التسامح الدينى على الأقل – اصبحت شيئا عادياً فى أوروبا ووصلت حتى إلى دول كاثوليكية مثل أسبانيا حتى إنك تستطيع ان تتحدى الكنيسة الرسمية ، وكثيرون من البروتستانت يدّعون انهم هم الذين نشروا فكر الحرية الشخصية ، وانفصال الكنيسة

عن الدولة فى أوروبا ، وهذا الإدعاء يتجاهل كلية السجل التاريخى ، فقد حارب القادة البروتستانت هذه الأفكار المعمدانية بعنف ، ولكنهم اضطروا فى النهاية إلى الإنسحاب .

إن ميراث المعمدانيين وآخرين من المستقلين كان قوة دافعة فى خلق مفهوم الحرية التى يتمتع بها العالم الغربى اليوم ، وكل من ليس معمدانيا عليه أن يرفع يده بالتحية كلما مر بكنيسة معمدانية لأنه مدين بحريته للمعمدانيين .



(١٧)

شاهد معمداني أمين

« الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب هزموا جيوش غرباء أخذت نساء أمواتهن بقيامة وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل ، وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود أيضا وحبس رجموا نشروا حُرقوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين . وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم . تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض . فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئا أفضل لكى لا يكملوا بدوننا » عبرانيين ١١ : ٣٣ - ٤٠ .

***

للآن لم ندرس جماعة معمدانية واحدة لم تجتز الاضطهاد والعنف الوحشى ، وأشهر الذين اضطهدوا المعمدانيين منهم : نيرون - مرقس أورليوس - جوستنيان - الأمبراطورة

ثيودورا – ديوكلتيان – البابا إنوسنت الثالث – شرلمان –
أوغسطين .

والذين اضطهدوا المعمدانيين ولم ندرسهم فى الصفحات السابقة : مارتن لوثر – جون كلفن – أولريخ زوينجلى – هنرى الثامن – مارى الدموية – الملكة إليزابيث – لويس الرابع عشر – تشارلس الأول – تشارلس الثانى – نابليون – أدولف هتلر – جوزيف ستالين – ماوتسى تونج – فيدل كاسترو .

وقائمة المضطهدين للمعمدانيين فى تاريخ العالم محيرة ، وقد اضطهد المعمدانيين كم كبير من الناس مثل : القبائل الوثنية – الإمبراطورية الرومانية – الكنيسة الكاثوليكية – البروتستانت – الشيوعيون .

كذلك اضطهد المعمدانيين : القيادة اليهودية – الكنيسة الرسمية الكاثوليكية المرتبطة بالدولة – اللوثريون – الكنائس المصلحة – كنيسة انجلترا – كنيسة سكوتلندا – الأباطرة – الملوك – السنهدريم – الكهنة – الباباوات – القواد العسكريون – ملكات – قادة ديانات .

كذلك وقع اضطهاد موسع فى أماكن عديدة مثل : آسيا – شمال أفريقيا – تقريبا كل دول أوروبا – أمريكا الوسطى والشمالية ، وقد مات المعمدانيون بطرق متنوعة : صلبوا –

قُطعت رؤوسهم – أُحرقوا بالنار – أُلقوا للحيوانات المفترسة – ماتوا جوعا – طعنوا – اغتيلوا – رُجموا – ضُربوا – أُغرقوا – عُذبوا حتى الموت .

ويبدو أنه كان هناك موجات من الاضطهاد متجهة للمعمدانيين .. وغيرهم .

كانت الموجة الأولى يهودية ، فالسنهدريم فى أورشليم قتلوا المسيحيين وضايقوهم بواسطة الامبراطورية الرومانية ، والموجة الثانية كانت اضطهادات محلية فى طول الإمبراطورية الرومانية وعرضها ، كما فى بعض المناطق الأخرى .

والتعاليم المسيحية هددت مصالح الديانات المزيفة والقادة المستبدين .

والموجة الثالثة جاءت حين جذبت المسيحية إنتباه الإمبراطورية الرومانية .

حاول عدد من القياصرة أن يحطموا ما لم يستطيعوا فهمه أو السيطرة عليه ، والموجات الثلاثة بوجه عام كانت اضطهادات موجه للمسيحيين كلهم .

والموجة التالية من الاضطهادات كان لها شكل مختلف تماما ، وهذه الموجة استمرت طوال العصور المظلمة ، فالكنيسة الكاثوليكية اضطهدت المعمدانيين والمستقلين الآخرين .. باسم المسيح !! وادعت الكاثوليكية أن هذا كان ضروريا للحفاظ على

« الكنيسة الواحدة الحقيقية » .

والموجة الخامسة من الإضطهادات جاءت أثناء الإصلاح حين اتحد الكاثوليك والبروتستانت والأنجليكان ليحطموا أى واحد يتكلم عن الحرية الدينية ، ورغم أن هذه الجماعات كانت فى عداوة شديدة إلا أنها كثيراً ما تعاونت معاً فى محاولاتهم لإسكات أى واحد ينادى أو يساند تعليم انفصال الكنيسة عن الدولة .

وجاءت موجة سادسة من الإضطهاد مع الشيوعية فى القرن العشرين ، وهذا الشكل من الإضطهاد كان ضد كل طوائف المسيحية الحقيقية – وقتل الشيوعيون ملايين من المسيحيين فى روسيا ، وأوروبا الشرقية ، والصين ، وأثيوبيا (الحبشة) ، وكوبا ، وجنوب شرق آسيا ، ونيكاراجوا .

وكان هذا الاصطهاد الأكثر وحشية ودموية للمسيحيين فى التاريخ والشهداء المعمدانيون المعروفون عبر التاريخ هم : يوحنا المعمدان – اسطفانوس – معظم الرسل – آباء الكنيسة الأولون – بطرس من برايز – قسطنطين من البولسيين – أرنولد من برسيكا – جورج بلوروك ، ورجال مثل بيتر روالدو ، ومينوسيمونز وقد ماتوا فى المنفى ، وسجن رجال مثل : جون بنيان ، وهوفمان ، وهنرى من لوزان ، وكلهم معالم بارزة فى قصة الكفاح من اجل الحرية الدينية .

ولا يستطيع احد ان يقول كم عدد الذين ماتوا من اجل عقيدتهم المعمدانية خلال السنوات الألفين الماضية ، ولكننا نستطيع القول أن العدد فاق الملايين .

وليس من السهل فهم سبب كراهية الناس للمعمدانيين بهذا الشكل ، ويشرح (ج .م. كرامب) فى كتابه (التاريخ المعمدانى) : « المعمدانيون الذين عاشوا فى القرن ١٦ كانوا بوجه عام قوماً مسالمين ، مستقيمين وشرفاء ، لم يبغضوا إنسانا ولكن الناس أبغضوهم .. ولماذا ؟ لأنهم شهدوا ضد الفساد فى زمانهم ، ورغبوا فى إحداث تغييرات لو تمت لأحدثت ثورة اخلاقية فى المجتمع ، لأن التغييرات كان هدفها المبادئ المعادية للمسيحية ، ولكنها تتفق تماما مع كلمة الله ، وارتفعت الصرخة ضدهم وكأنهم « نفاية كل شىء » ، وسُفكت دماؤهم مثل المياه ، حتى رجال الإصلاح كتبوا وعملوا ضدهم ، وبحث كتّاب ذلك الجيل عن اسوأ المعانى واحطها فى اى لغة وطبقوها عليهم بكل الحقد ، ويتكلم (لاتيمار) عن « الأفكار المميتة والخبيثة والشيطانية » التى للمعمدانيين ، ويقول (هوبر) عن هذه الأفكار أنها « ملعونة » و (بيكون) يندد بالأنابابتست ، الأشرار القرود ، والمرائين كالثعالب ، وتلك الطائفة الملعونة ، والكذابين

والقتلة وسافكى الدماء ، وذابحى النفس والجسد معاً وهو يرفض نظامهم الدينى كما يرفض الوباء ، بالإضافة إلى تعبيرات عفنة نأبى ونأنف عن تسجيلها ، ووصفهم (بالنجر) بأنهم عنيدون ، ومتمردون ، وعقولهم متحجرة ، وسذج أقذار ، ويقول عنهم (زوينجلى) « أصحاب العقائد الخبيثة المفسدة للمجتمع ، وأنهم مراءون فى تواضعهم ، وحديثهم أسوأ من المر ، إلا أن أولئك الرجال كانوا يعلنون بشجاعة – والفأس على رقابهم أو النار الملتهبة تنتظرهم – عن مبادئهم بصورة لا يستطيع أحد ينكرها ، وأنهم لم يُقتلوا بسبب أعمال شريرة ، ولكنهم عانوا كل هذا من أجل الإنجيل فقط » ا . هـ .

والإيمان المعمدانى البسيط بالكتاب المقدس يشهد ضد الأخطاء الموجودة فى نظم دينية أخرى ، وصرختهم من أجل الحرية الشخصية والدينية أغضبت أولئك الذين تسلطوا على الناس ، ودراسة تاريخ المعمدانيين يوضح حقيقة جوهرية : أن **هناك ثمنا كبيراً يدفعه من يدافع عن الحق** ، وليس هناك وعود بأن الأمر سيكون سهلاً للأمناء ، ومن الصعب على الكثيرين أن يعوا هذا الحق .

فى عام ١٥٢١ بدأ (وليم روبلين) – وهو واعظ سويسرى – أن يعلن حقيقة كتابية ، وتحدى بالاسم البابا والكرادلة الكاثوليك فى مدينته – أن يفندوا مواقفه العقائدية المؤسسة على تعاليم الكتاب المقدس ، وبدلاً من الرد على تحديه نفوه من المنطقة ، ولكنه ذهب إلى مدينة سويسرية أخرى وأعاد نفس الموضوع والتحدى ، ونُفى مرة ثانية ، وأعيد نفيه ثالثة لم أُعدم ، فحين فشل المسئولون ، وفشلت المضايقات والنفى فى إسكاته ظنوا أن الإعدام هو الحل الأمثل ، وقد نُفى (روبلين) مرتان بواسطة الكاثوليك ، ومرة بواسطة البروتستانت ، وأخيرا أعدمه البروتستانت !.

وكثيراً ما أظهر المضطهدون أسفهم « الشديد » لأنهم كانوا مرغمين على اضطهاد « المنشقين » وأنهم لم يكن أمامهم خيار آخر ، وبدأ (جيروم بولسك) وهو طبيب من (جنيفا) بسويسرا – بدأ يتحدى (جون كلفن) وشرحه للاختيار وسبق التعيين (ومن المشكوك فيه أن يكون بولسك من الأنابابتست) وحين عجز كلفن على إقناعه بتغيير عقيدته قبض عليه بمساندة مجلس المدينة ، وبعد محاكمة طويلة نُفى (بولسك) من جنيفا مدى الحياة ، وبعد نفى بولسك بوقت ليس بطويل أُعدم (مايكل سيرفيتس) فى جنيفا لتمسكه بوجهات نظر « هرطوقية » عن ألوهية المسيح والمعمودية – وكان ضد معمودية الأطفال – وأظهرجون كلفن أسفا شديداً على الحادثتين ، فهو لم

يرض أن يرفض الناس تفكيره لذلك لم يكن لديه اختيار إلا أن
يشترك فى اضطهادهم مع آخرين ، وهناك شيء فى كبرياء
الإنسان يجعل من الصعب عليه أن يحتمل المخالفة فى الرأى .
لذلك لا ينبغى وضع سلطة غير محدودة فى يد شخص واحد ،
حتى لوكان هذا الواحد من خدام الدين والمعلمين مثل (لوثر)
و (زوينجلى) و (جون كلفن) .

ووضع كل من (لوثر) و (زوينجلى) ختم موافقتهما على
إعدام المعمدانيين بل لقد اشترك (زوينجلى) اشتراكاً فعليا فى
مثل هذا الاضطهاد ، ويقف المعمدانيون فى ممرات التاريخ العالمى
بعيدين كل البعد عن اضطهاد آخرين ، وذلك ليس لأنهم
محصنون ضد تجارب الكبرياء والطبيعة البشرية ، ولكن لأن
نظامهم فيما يتصل بانفصال الكنيسة عن الدولة يسمح لكل
واحد بحرية دينية ، وقد اعطانا الله هذا الفهم عن الحكومة
والإيمان لأنه عرف ضعف البشر .

والحق لا يمكن خنقه بالقوانين والقرارات والتعذيب والنفى
والاضطهاد ، وأولئك الذين يريدون خنق حرية الكلام والدين
والحرية الفردية لابد لهم من الالتجاء إلى الإعدام .. وقد فعلوا
هذا على مر التاريخ .

وعلى مدى التاريخ أيضا كان هناك القليل من القادة

السياسيين الشجعان الذين وقفوا مع الحرية الشخصية ،
وبعض الرجال تصدوا وكافحوا من أجل الحرية الدينية والفردية
ومنهم : وليم الصامت ، وهنرى من نافار ، ووليم الثالث من
اورانج ، واوليفر كرومويل ، وباتريك هنرى .. وكثيرون .
ومجهوداتهم ساعدت على جلب بركات الحريات لجماعات
مختلفة لفترات مختلفة من الزمن .

وكان المعمدانيون هم التحدى الأكبر للاستبداد فى أى شكل
كان ، والطريقة الوحيدة الفعالة لإسكات المعمدانيين كانت قتلهم
وهكذا كُتب التاريخ المعمدانى بنهر من الدماء ، وقصص الرجال
والنساء الشجعان وتعليمهم بسلطة الكتاب المقدس الوحيدة ،
ومعمودية المؤمنين ، والكنائس المحلية المستقلة ، وانفصال
الكنيسة عن الدولة ، وكهنوت كل المؤمنين ، وحرية النفس هى
قصة « الدم المسفوك » .

* والشرق الأوسط ملىء بدماء المسيحيين الأوائل ،
البولسيين ، والمرسلين من القرن الأول إلى وقتنا الحاضر .

* وأوروبا شاهدت ميتات دموية للموناتست ، والنوفيين ،
الولدنسيين ، والأنابابتست ، والمعمدانيين .

* وتاريخ التقليد الانجليزى للحرية ملوث بدماء اللولارد ،
والأنابابتست والمعمدانيين . إن التاريخ المعمدانى بحق هو
« طريق الدم » .

(١٨)

الإصـــلاح

« قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا ، سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله ، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى » يوحنا ١٦ : ١ – ٣ .

***

المشهد الدينى فى أوروبا كان فائراً فى بداية القرن السادس عشر ، وهذه الحالة هيأت المسرح للانقلاب التاريخى الذى نتج عنه تغييرات جذرية فى الدين والسياسة ، وكان أبرز شخصية فى ذلك القرن هو (مارتن لوثر) .

فى عام ١٥٠٥ دخل لوثر الدير ، وبدأ دراسة عميقة للحياة المسيحية وعقيدة الكنيسة الرسمية – الكاثوليكية – وكان يبحث عن شىء يملأ نفسه المضطربة سلاماً ، وحاول لمدة عشرين سنة دون أن ينجح فى الحصول على السلام عن طريق الأعمال والزهد وأفعال التوبة ، ولجأ إلى الكنيسة الكاثوليكية والدراسة

الأكاديمية ، وأخيرا صار مدرساً للدراسات الكتابية فى جامعة ويتنبرج دون أن يجد شبعاً شخصياً ، وفى أثناء دراسته وصل لوثر إلى مفهوم التبريربالإيمان ، وبدأ يعلّمه لآخرين ، ووجد أناساً متحمسين لهذا الحق ، وشهد لوثر بأنه قد تجدد بالإيمان الشخصى بالمسيح ، وأنه نال اختباراً شخصياً للتبرير بالإيمان فى عمل المسيح الكامل .

وكان تعليم الكنيسة الكاثوليكية عن الغفرانات تقليداً متمكناً إلا أنه كان يناقض تعليم الكتاب المقدس عن الإيمان ، وكانت الغفرانات تعنى أن المال يمكن أن يشترى خصماً من الوقت الذى يقضيه الإنسان فى عذابات المطهر لنفسه أو لأحبائه ، وكانت الغفرانات جزءاً أساسيا فى الديانة الكاثوليكية ، كذلك كانت جزءاً جوهرياً فى برنامج الكاثوليكية المالى ، وكان لوثر يعلّم التبرير بالإيمان فى ويتنبرج فى الوقت الذى انتشر فيه تعليم الغفرانات الكاثوليكى فى ألمانيا ، وكان الكاهن الكاثوليكى (يوهان تتزل) يعلن أنه يقدم الغفران الكامل إذا دفع الإنسان المبلغ المناسب من المال ، وحتى الأقرباء الموتى يمكنهم الخروج وفى الحال من المطهر والدخول إلى السماء ، وكان هذا إدعاء فاضحاً حتى أن كثيرين عارضوا تتزل ، وكتب لوثر (الاحتجاجات الـ ٩٥) وعلقها على باب الكنيسة فى ويتنبرج ،

وهذه الاحتجاجات تضمنت التبرير بالإيمان ، وسلطة الكتاب المقدس ، وهاجمت فكرة الغفرانات بوجه عام ، وجمع المال الذى كان يمارسه تتزل بوجه خاص ، واحتجاجاته الـ ٩٥ نقلت وطبعت ونُشرت فى أنحاء المانيا وهذا ساعد على إظهار الإحباط الذى كان متفشيا فعلا فى الكنيسة الكاثوليكية ، وأصبح تحدى الكنيسة شيئا عاديا وعاما وشائعاً فى أوروبا .

وانشغل لوثر لعدة سنوات فى مناقشات لاهوتية مع القيادة الكاثوليكية ، حتى لقد صدر أمر بالقبض عليه بتهمة « الهرطقة» لكن أحد النبلاء الألمان خبأ لوثر لعدة شهور بينما كان لوثر يترجم العهد الجديد إلى اللغة الألمانية ، وتسبب موقفه العقائدى فى أنحاء المانيا كلها فى قطع النبلاء والشعب علاقتهم بالكنيسة الكاثوليكية ، والبعض عارضها لأسباب دينية بينما عارضها البعض لأسباب سياسية ، وانتعشت الكنائس المستقلة ، واتحدوا مع أتباع لوثر فى صراع من أجل الحرية الدينية .

وغيَّر أمران هذا الاتجاه ، الأول ثورة الفلاحين التى أقلقت الكثيرين من نبلاء الألمان ، وتمرد كثيرون من الفلاحين بقيادة (رومان مانزر) فى محاولة لتأسيس دولة حرة ، وكانوا يطبقون مبادئ الحرية الشخصية والدينية التى كان يعلم بها لوثر والمعلمون المستقلون ، وتوقع الفلاحون من لوثر أن ينضم إليهم

ويؤيدهم ، ولكنهم صُدموا صدمة شديدة حين وقف لوثر إلى جوار النبلاء ، وسرعان ما سُحقت ثورة الفلاحين لأن كثيرين من شعب الكنيسة المستقلة كانوا مشتركين فى الثورة ، وأصبح النبلاء من الكنيسة الكاثوليكية وكذلك اللوثريون يخشون جداً الحرية الدينية .

ثانيا ، لأن الكنيسة أصبحت هى مصدر التنظيم الاجتماعى ، وكانت كل نواحى الحياة فى فوضى ، حتى المعادين للشعب الكاثوليكى بداوا فى البحث عن طريقة لتنظيم المجتمع ، وهجر لوثر فكرة الحرية الدينية ، وبدأ فى تنظيم اللوثرية كبديل للكنيسة الكاثوليكية لكى تحتل مكانها ، وكان هذا موضع رضى الكثير من النبلاء ، لأنه قاوم الحرية الدينية - والتى خافوا أن تقود إلى الحرية السياسية - كما أعطتهم سنداً أمام الكنيسة الكاثوليكية .

وقدم النبلاء ولاءهم للكنيسة الرسمية التى يمكن أن تتعاون معهم أكثر ، وغيَّرت مناطق كثيرة مواقفها كلما قامت صفقات جديدة بين الأمراء وقادة الكنيسة ، وتوقع كل أمير من شعب مقاطعته أن يساند الديانة التى يساندها الأمير ، وتحطمت الكنائس المستقلة بصورة تلقائية بواسطة الفريقين .

وقصة المائة سنة التالية فى التاريخ الألمانى هى قصة الصراع

العسكرى والسياسى للوثريين وكنيسة روما – الكاثوليك – ككنائس تابعة للحكومة للسيطرة على عدة مناطق المانية .

وكان تشارلس الخامس إمبراطور المانيا عاجزا عن توحيد الأمة ، وقاد الخوف من غزو خارجى إلى هدنة بين الكاثوليكية واللوثرية ، وأخيراً توصلوا إلى حل سلمى بإعطاء مواطنى المانيا الحق فى أن يختاروا اللوثرية أو الكاثوليكية ، وحتى اليوم مطلوب من المواطنين الألمان أن يدفعوا عشورهم إما للوثريين أو للكاثوليك ، وامتد التمرد على الكنيسة الكاثوليكية بسرعة إلى بلاد أخرى حتى لم تبقى دولة أوروبية لم تتأثر به ، وفى سويسرا كافح المستقلون والإصلاح من أجل التحرر من الكاثوليكية ، وقامت ٢١ حملة عسكرية على مدى سبع سنوات وأصبح أغلب سكان سويسرا من البروتستانت بقيادة (أورليخ زوينجلى) وكونوا كنيسة بروتستانتية تابعة للولاية ، وحدثت متاعب بين زوينجلى وحلفائه السابقين – المستقلين – وسرعان ما قامت كنيسة البروتستانت بإضطهاد المستقلين وبقسوة أكثر من الكاثوليك ، وقُتل زوينجلى فى المعركة الأخيرة مع قوات الكاثوليك ، وأصبحت سويسرا بروتستانتية .

وفى هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج قامت حرب أهلية بين الكاثوليك والبروتستانت والمستقلين ، وسيطر على هولندا جماعات غير الكاثوليك ، وبقيت باقى المنطقة تحت السيطرة الكاثوليكية ، وتحت قيادة وليم الصامت لم تُؤسس كنيسة تابعة للدولة فى هولندا ، وأصبح القانون هو الحرية الدينية ، وبدأ المبشرون المستقلون والبروتستانت فى التأثير على أسبانيا وإيطاليا ، ولكنهم لم يصيروا ابدا قوة عسكرية أو سياسية يعتد بها فى كلا الدولتين ، وقرب نهاية القرن السادس عشر سُحقت هذه الحركات بالاضطهاد .

اضحى احد الفرنسيين – وهو جون كلفن – من اهم معلمى الكتاب المقدس ، كما اصبح قائدا فى سويسرا ، ونشر منهجا لاهوتيا مؤكدا بشدة على الاختيار ومعمودية الأطفال ، والكنيسة التى تتبع الدولة ، وهذا النظام معروف باسم (الكلفانية) ، وقدرات كلفن كمفكر ومعلم وكاتب وقائد لا تحتاج إلى دليل أو مناقشة ، إلا أن نظامه كان منهاجه مختلفاً تماما عن المعمدانيين ، ولو أن الجماعتين كانتا متفقتين على أساسيات الإيمان المسيحى ، ولكنهما تعارضتا فى كل ما نطلق عليه « المميزات المعمدانية » ما عدا عشاء الرب وربما كهنوت كل المؤمنين ، وسرعان ما أصبح منهج كلفن اعتقادا شائعاً بين البروتستانت فى سويسرا ، ووصلت أفكار كلفن إلى فرنسا ، وأصبح أتباعه هم الجماعة المرموقة بين البروتستانت فى فرنسا

وعدد من النبلاء والملكة واثنتان من الأميرات أصبحتا بروتستانت ، وعائلة (البوربون) المكونة من نبلاء أقوياء صارت هى الأخرى من البروتستانت ، حتى الكاردينال الكاثوليكى المقيم فى فرنسا أصبح بروتستانتيا ، وأخوه (الأدميرال) صار هو أيضا بروتستانتياً ، وكان هذا الأدميرال يُعتبر من القادة العسكريين الكبار ، كما كان مشهوراً جداً بين جنود البحرية والجنود العسكريين ، ودفع انضمامه إلى البروتستانت القيادة الكاثوليكية إلى الحرص فى اضطهاد غير الكاثوليك ، ودُعى الكلفيون الفرنسيون (الهوجوناتس) .

وبدى أن البروتستانت سوف يستولون على فرنسا كلها كما فعلوا فى سويسرا ، واتجهت الاضطهادات وعمليات القتل إلى البروتستانت . وآلاف من (الولدنسيين) كانوا مازالوا نشيطين فى جنوب فرنسا ، هؤلاء قتلوا ذبحاً ، وقامت الحرب الأهلية وهُزم البروتستانت ، لكن الهزيمة لم تكن ماحقة فقد أعطوا بعض المناطق الآمنة ، وشغل الأدميرال منصباً كبيراً فى الحكومة ، وقام البروتستانت ثانية فى قوة ، وقام اضطهاد جديد وفى أغسطس ٢٤ من عام ١٥٧٢ أُغتيل الأدميرال ، وتبع موته هجوم منظم على البروتستانت فى كل أنحاء فرنسا .. وقُتل ٥٠,٠٠٠ ألفاً فى يوم واحد ! وهذا اليوم يذكر باسم (مذبحة

القديس برثلميو) واستمرت الحرب الأهلية لقرابة عشرين عاماً .

وأخيراً حل السلام ، فقد عقد (هنرى من نافار) - وهو من النبلاء (البوربون) وقائد عسكرى للبروتستانت - عقد إتفاقا مع البابا والنبلاء وصار (هنرى) كاثوليكيا ومن ثم ملكا معترفا به من الجميع ، وفى الحال منح الحرية الدينية للجميع ؛ ولمدة ٦٥ سنة تمتعت فرنسا بالحرية الدينية ، وأصبحت الكاثوليكية ثانية هى الديانة الرسمية فى فرنسا .

وفى سكوتلندا أهاج الوعاظ - أمثال باتريك هاملتون ، وجورج ويشارت الشعب ضد الكاثوليكية ، وأُحرق كلاهما بالنار ، وأخيراً انكسرت شوكة السلطة الكاثوليكية بواسطة اتحاد اللوثريين والكلفنيين والمستقلين بقيادة جون نوكس الكلفينى ، وسرعان ما أضحت الكلفينية هى الحركة الدينية المتسيدة ، وأسست الكنيسة الرسمية الكلفينية - أى التابعة للدولة - إلا أن المستقلين وقعوا تحت إضطهاد مرير .

واكتسحت اللوثرية بلاد سكندناڤيا : الدانمارك والسويد والنرويج ، وفنلندا ، وتأسست كنائس لوثرية رسمية ، وسيطرت اللوثرية - مؤقتا - على بولندا التى عادت بعد ذلك إلى أحضان الكاثوليكية ، وعادت المجر بعد ذلك لمدة قصيرة إلى

الحرية الدينية ، ثم تحولت إلى البروتستانتية ، بعد ذلك استعادتها الكاثوليكية .

وكان مقدرا للإصلاح فى إنجلترا أن يلعب دوراً مهما فى تأسيس الولايات المتحدة ، فاللولارد وترجمة تندال للكتاب المقدس إلى الانجليزية هيأ الطريق إلى التخلص من روما ، وعارض سلطة البابا المعمدانيون والانجليز والمنشقون داخل الكنيسة الرسمية وعارضوا أيضا التعليم الكاثوليكى ، إلا أن الإصلاح فى إنجلترا أخذ شكلا سياسياً مقصوداً .

وأراد الملك هنرى الثامن أن يطلق زوجته الأولى كاترين - وكان ابن أختها تشارلس الخامس هو القوة المساندة للبابا فى أوروبا ، كما كانت هى كاثوليكية متعصبة - وأراد هنرى أن يتزوج أن بولين وكانت من عائلة إنجيلية - واتجه هنرى إلى البابا ليأخذ تصريحا بالطلاق ، ولمدة ستة سنوات رفض البابا تقديم أى حل لهنرى ، ولم يكن هنرى صديقا للإصلاح إذ كان تدريبه وتعليمه على يد لاهوتى كاثوليكى ، وكان قد كتب كتابا ضد لوثر وكافأ البابا هنرى بلقب (حامى الإيمان) ولكن هنرى الآن - تمرد على البابا ، وأعلن نفسه رأسا لكنيسة انجلترا ، وطلّق كاترين ، وتزوج أن بولين ، وتنافس البروتستانت والكاثوليك لكسب المراكز ذا التأثير فى الكنيسة الجديدة ..

كنيسة إنجلترا .

وكانت شهوات هنرى وصفقاته السياسية ، وتعليمه اللاهوتى فى تغيير مستمر ، وسرعان ما أمر بإعدام أن بولين .. وبعدها تزوج أربعة زيجات : اثنتان من البروتستانت ، وواحدة كاثوليكية ، وواحدة لوثرية ، وكانت ميوله تتغير مع كل زيجة ، فهذه جماعة تتسلط فى الكنيسة ، تأتى بعدها جماعة أخرى ، ومع كل تغيير تقوم موجة من الاعتقالات ، والنفى ، والإعدام ، وكان لهنرى أصدقاء قدامى وندماء يثق بهم .. كلهم قتلوا مع زوجة من زوجاته ، ووليم تندال - مترجم الكتاب المقدس - كان الملك يحميه ، وبعد ذلك اضطهده ، وقُبض عليه فى بلجيكا وأُعدم بموافقة ملك انجلترا المتقلب ، ولم تستقر كنيسة انجلترا طول مدة حياة هنرى .

وأطلق أدوارد السادس - ابن الملك هنرى - الحريات الدينية ، وأعلن انتماءه إلى الانجيليين داخل الكنيسة ، وأوقف اضطهاد المعمدانيين الذى مارسه هنرى طول مدة حكمه ، ومات ادوارد بعد ستة سنوات ، وخلفته أخته مارى ، وحاولت إعادة تثبيت الكاثوليكية فى انجلترا ، وأُطلق عليها اسم (مارى الدموية) بسبب إعدامها المستمر للمبشرين والوعاظ الانجيليين والمعمدانيين ، حتى لقد أمرت بإخراج جثة جون وكليف من القبر

وحرقها ، وماتت بعد خمس سنوات من حكمها وخلفتها اختها اليزابيث التى وضعت البروتستانتية فى موضع السلطة ثانية فى كنيسة انجلترا ، وشارك الانجيلكان والانجيليين الذين كانوا مازالوا يعلّمون بالتعليم الكاثوليكى عن سلطة الكنيسة ، وقد اضطهدت اليزابيث المعمدانيين والمستقلين بعنف ، ووقع اضطهادها على (الكويكرز) ، وهؤلاء كانوا قد بداوا بجورج فوكس وكان والداه من المعمدانيين ، ولم يوافق فوكس المعمدانيين على تعليم سلطة الكتاب المقدس الوحيدة ، والمعمودية بالتغطيس ، ولكنه كان معروفا بدفاعه البليغ عن انفصال الكنيسة عن الدولة .

وقادت رغبة الهروب من الاضطهادات الكثيرين من الانجليز إلى الرحيل إلى هولندا أو إلى استعمار المنطقة الواقعة غرب المحيط الأطلنطى (أمريكا) وهذه الحركة للحرية الدينية كانت من أهم العوامل فى قيام الولايات المتحدة الأمريكية .



(١٩)

الأنابابتست السويسريون

« ايها الأحباء لاتستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب . بل كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضا مبتهجين » ١ بطرس ٤ : ١٢ و ١٣ .

***

لسنوات عديدة وقبل أن يصبح زوينجلى والإصلاح أصحاب اليد العليا فى سويسرا ، كانت الأفكار المعمدانية قد انتشرت فى كل المنطقة ، وهذه الأفكار حثت جماعة من الشباب كانوا يجتمعون على فترات فى زيورخ لدراسة العهد الجديد باليونانية، وكانوا يقارنون المكتوب بالفكر القائل بمعمودية المؤمنين فقط ، واقتنع أغلب أفراد الجماعة بأن معمودية المؤمنين تنطبق مع المكتوب تمام الانطباق ، ولكن زوينجلى - وكان واحداً من الجماعة - لم يوافق وتوقف عن الاجتماع مع الجماعة .

وهؤلاء الشباب من الدراسين بدأوا يعلنون ويعلّمون

بمعمودية المؤمنين ، وأيضا انفصال الكنيسة عن الدولة ، ولكن زوينجلى مع مجلس المدينة أمروهم أن يخضعوا لقانون المعمودية أى معمودية الأطفال ، كما منعوهم من الاجتماعات ، وفى تلك الليلة ، اجتمع عدد من أعضاء الجماعة الدارسين فى منزل (فيلكس مانز) وتعهدوا بالتمسك بالعهد الجديد والاخلاص له ، كما تعهدوا أن يعلّموا مباده على أوسع نطاق ممكن ، وعمّد (كونرادجريبل) (جورج بلوروك) الذى عمّد كل الرجال الموجودين .

وأولئك الرجال لم يكونوا أول من يعلّم بمعمودية المؤمنين فى سويسرا ، بل اعترف الكل بأن هذا الحق كان ينادى به الوعاظ المستقلين من قرون ، بل وفى بعض الأحيان كان كهنة القرى ينادون به ، لكن أولئك الرجال هم أول من شد إنتباه كل سويسرا ، وبدأ مجلس المدينة يضطهد جماعة الشباب الدارسين ، ولكنهم استمروا يجتمعون فى السر ، كما عمّدوا كثيرين من المؤمنين .

وبدأ النقاد يطلقون عليهم اسم (أنابابتست) وكلمة (أنا) تعنى (ثانية) فى اللغة اليونانية ، وكانوا موضع سخرية لأنهم لم يقبلوا معمودية الأطفال ، ولأنهم يعمّدون الناس ثانية بعد إيمانهم بالمسيح ، وكانوا يجاوبون معارضيهم بأنهم ليسوا

(انابابتست) حيث معمودية الأطفال ليست معمودية حقيقية ، واعتبروا انفسهم معمدانيين يزاولون المعمودية الصحيحة ، وكانت العبارة العادية التى يخاطبون بها بعضهم هى (الأخوة السويسريون) .

وبدأ كونراد جريبل وفيلكس مانز ينتقلون من بيت إلى بيت مبشرين بالانجيل ومشجعين الناس على الإيمان بالمسيح وقبول معمودية المؤمنين ، واعتمد مئات ومن بينهم كاهن كاثوليكى سابق اسمه (وولف كانج يوليمان) ، وبدأت السلطات فى زيورخ تلقى القبض على قادة هذه الحركة ، كما قبضت على جريبل ومانز ، وحكم عليهم كلهم بالسجن مدى الحياة ، وصدر قانون جديد يهدد بالموت كل من يُعمّد بالتغطيس ، وكان الموت هو الإغراق فى النهر أو البحر ، وقال أحد رجال الإصلاح « أنهم يرغبون فى التغطيس إذن فلنغطسهم » ! .

وفى ربيع عام ١٥٢٦ هرب جريبل ومانز مع ١٢ آخرين من الأنابابيست من السجن وراحوا ينشرون تعليمهم فى أنحاء سويسرا والنمسا وجنوب المانيا ، وهم هاربون ومختبئون ، واصيب جريبل بمرض شديد ومات ، وقُبض ثانية على مانز وبلوروك إلا أن الأخير استطاع الهرب ، وأُعدم مانز « بالتغطيس» فى الماء ، فقد قيدوه إلى عصا طويلة وأُغرق فى النهر ثم سُحب

ثانية ، وطُلب إليه أن يتنازل عن عقيدته وكان جوابه « كلا ، إننى أمين لعقيدتى » ، وأرغمت السلطات أمه أن تشاهد موته ، وصرخت فيه « فيلكس لا تتراجع ، لا تتراجع » وأعيدت العملية عدة مرات وأخيراً مات مانز اختناقا بالماء .

تجدد (بلشاصر هاميير) وهو دكتور فى اللاهوت أثناء دراسته للعهد الجديد ، واقتنع تدريجيا بأن المبادئ المعمدانية هى مبادئ كتابية ، وقُبض عليه ، وعذّب وتراجع فى البداية عن معتقداته إلا أنه عاد بعد ذلك ليعلّم بالمبادئ المعمدانية ، ونُفى من سويسرا ، وأصبح واعظا معمدانياً له تأثيره فى ألمانيا حيث أُستشهد من أجل إيمانه .

ومايكل سولر – وهو كاهن كاثوليكى – تجدد ، ونادى وكتب ضد الاضطهاد بسبب مبادئ دينية ، وحين أُكتشفت اجتماعاته مع الأنابابتست نُفى من زيورخ ، وانضم علانية إلى الأنابابتست ، وبدأ ينادى فى أنحاء سويسرا وألمانيا ، وقُبض عليه وحوكم وأُحرق بالنار حتى الموت ، وبعد موته بقليل قتلت السلطات زوجته بإغراقها فى النهر .

وتزايد عدد الأنابابتست ، وأصبحوا حركة كبيرة حول (برن) فى سويسرا ، وهناك اتحدوا مع الولدنسيين وأضطهد مجلس المدينة المعمدانيين فى برن ولكن الحركة استمرت تنمو ، وأبعد

الاضطهاد الكثيرين منهم إلى بلاد أخرى من بينها هولندا ، وصار العديد منهم أول من أقام مستعمرات فى العالم الجديد ، ومازالت هناك العديد من الكنائس المعمدانية فى (برن) إلى اليوم .

وكان الأنابابتست السويسريون واضحين جداً فى إعلانهم عن أنهم ليسوا كاثوليك كما أنهم ليسوا بروتستانت ، وأغلبهم كان من الكاثوليك الذين أُضطهدوا بواسطة البروتستانت (المصلحين) ، وكان من السهل عليهم أن يبقوا الفارق واضحاً ، وكان الأنابابتست السويسريون معروفين بالتأكيد على مواقف معينة وأهمها بطبيعة الحال هو تعليمهم عن معمودية المؤمنين فقط ، وعلّموا كذلك وبقوة عن الحرية الدينية ، وانفصال الكنيسة عن الدولة ، وبينما وضعتهم هذه التعاليم فى معارضة دائمة مع الكنيسة الرسمية – الكاثوليك – إلا أن عدة تعاليم أخرى جلبت لهم احتراما كبيراً من السكان بوجه عام .

وأكد الأنابابتست بقوة على الوصية الجديدة – المحبة – الواردة فى يوحنا ١٣ : ٣٤ و ٣٥ ، ومارسوا هذه المحبة عملياً وعلى نطاق واسع حتى أن السكان بوجه عام حين كانوا يفكرون فيهم كانوا يقولون : « كانوا يحبون بعضهم بعضا » وأثناء الاضطهادات العنيفة غالبا ما كانوا يشاركون بعضهم الطعام

والمأوى والمال والملبس ، وكان هذا شيئا اعتياديا حتى ان بعض الذين من خارج ظنوا أن الأنابابتست لا يؤمنون بالملكية الشخصية ، ولكن كتاباتهم تؤكد أنهم كانوا يؤمنون بالملكية الخاصة إلا أن محبتهم جعلت من المشاركة اختباراً يومياً ، وهذه الشهادة فتحت الأبواب لاحترام الشعب لهم حتى وهم يقعون تحت اضطهاد الحكومة .

وعلّم الأنابابتست كذلك بالحياة التقوية كضرورة للحصول على عضوية الكنيسة المحلية ، بينما علّم الكاثوليك وجماعة الإصلاح أن كل المواطنين ينبغى أن يكونوا أعضاء فى كنائسهم ، ولكن الأنابابتست طردوا أناسا من كنائسهم بسبب عدم توبتهم عن خطايا أو بسبب تعليم مزيف ، أو لعدم استعدادهم لفض منازعاتهم الشخصية بالمحبة ، وهذا أعطى الكنائس الأنابابتست سمعة للطهارة التى لم تكن الكنائس الأخرى تتمتع بها .

واتفق الأنابابتست مع الكاثوليك والبروتستانت على الوحى المطلق للكتاب المقدس ، ولكنهم اختلفوا مع الكاثوليك وتعليمهم الذى يقول أن الكنيسة هى المفسر الوحيد للكتاب المقدس ، واختلفوا مع فكرة البروتستانت أن الكتاب ينبغى أن يفسر بواسطة جماعة من العلماء ، وعلّموا أن كل مؤمن يمكنه - ما دام الروح القدس ساكنا فيه = أن يعرف الكتاب لنفسه .

وكان تأثير الأنابابتست كبيراً على الشعب السويسرى حتى ان أفكارهم قد صارت ثابتة ، واليوم .. يتمتع السويسريون بالحرية الدينية ، وانفصال الكنيسة عن الدولة ، وقادت طهارة وتضحية وأمانة الأنابابتست السويسريين الأولين إلى تجديد الآف فى سويسرا وهولندا وجنوب ألمانيا والنمسا ، ووصلت سلالتهم إلى روسيا بالانجيل ، وساعدوا الرواد للاستقرار على الحدود الأمريكية ، وساعدوا أيضا على أن يبقى الاسم «معمدانى» ملتصقا بهذه الحركة ، ووقوفهم إلى جوار هذا الاسم أعطى للحركة المعمدانية (وليس الأنابابتست) الاسم الذى تحمله إلى يومنا هذا .



(٢٠)

الأنابابتست الألمان

« إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم . أما من جهتهم فيجدف عليه وأما من جهتكم فيمجد . فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل فى أمور غيره . ولكن إن كان كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل » ا بطرس ٤ : ١٤ - ١٦ .

***

فى عام ١٦٢٤ وفى مدينة أوجسبرج بألمانيا أُغتيل كل من (هانز كوخ) و (ليونارد مايستر) لتمسكهما بالمبادئ المعمدانية ، وكان الغرض من اغتيالهما - كما يدعى الذين أغتلوهما - أن يتوقف تأثير الأنابابتست فى أوجسبرج ، ولكن هذا التصرف فشل فشلا ذريعاً ، فبحلول عام ١٥٢٥ تكونت كنيسة للأنابابتست فى أوجسبرج وصار عدد أعضائها ١١٠٠ عضوا بحلول عام ١٥٢٧ ، وكان للكنيسة أربعة رعاة يشتركون فى الخدمة ، (هانز دينك) الراعى الرئيسى و (بلشاصر هاميير) الذى هرب من سويسرا ، و (لودويج هاتزر)

و (هانز هات) ، وقد عمّد (هاميير) (دينك) وكان نشاطه عاملا مؤثراً فى تشكيل الكنيسة ، ومن الواضح من كتابات قادة الكنيسة ، وكذلك من كتابات نقاد الكنيسة أن كنيسة أوجسبرج علّمت بكل الميزات المعمدانية ، وأصبحت الكنيسة فى أوجسبرج مركزاً لتأسيس الكنائس وتدريب الخدّام فى كل أنحاء جنوب ألمانيا ، وساعدت الكنيسة فى أوجسبرج على بداية كنيسة فى ستراسبورج عام ١٥٢٦ ، وانتقل (هانك دينك) إلى هناك عام ١٥٢٧ وصار راعيا للكنيسة ، ودعى (دينك وهات) لعقد مؤتمر للخدام المعمدانيين ، وقاد اجتماعا يتكون من ستين من ممثلى الكنائس المحلية فى جنوب ألمانيا وسويسرا ، وكان للمعمدانيين فى ستراسبرج تأثير كبير لمدة من الزمان ، وكانت الحرية الدينية سائدة فى المدينة ، وفى تلك المدينة وجد (جون كلفن) ملجأ ، وكثيراً ما كان يدرس ويناقش الخدام المعمدانيين ، وتزوج أرملة أحد الخدام المعمدانيين ، ومن سوء الحظ أنه لم يقبل معظم الميزات المعمدانية ، وبعد ذلك لعب دوراً فى إضطهاد المعمدانيين فى سويسرا .

ومات (هانك دينك) من جراء وباء عام ١٥٢٨ وكان عمره ٣٢ سنة ، وفى أربع سنوات فقط كان قد أثبت أنه مؤسس كنائس ممتاز ، وقد قاد فى تأسيس ونمو اثنتين من أكبر الكنائس ، وفى العام الذى مات فيه (دينك) قبضت السلطات على (هانز

ليوبولد) الذى أخذ مكان دينك فى رعاية الكنيسة فى أوجسبرج فى اجتماع للصلاة ، وقُبض معه على ٨٧ آخرين ، وفى السجن كتب عدة ترنيمات يعبر فيها عن محبته للمسيح ولكلمة الله ، وبعد محاكمة محلية قُطعت رأسه ، كما قُتل خمسة آخرون من قادة الكنيسة ، وكل عضو معروف فى كنيسة وُسم بالحديد المحمى ، وآخرون جلدوا وطردوا من المدينة مع تهديد بالموت إن بقوا فيها ، وبحلول عام ١٥٣٠ لم يعد هناك اجتماع للكنيسة المعمدانية .

وانتشر الاضطهاد ، وفى عام ١٥٢٨ قُطعت رؤوس راعى الكنيسة المعمدانية فى روتنبرج مع سبعين عضوا من الكنيسة وأحرقت جثثهم ، وكان راعيهم - ليونارد سكيمو - كاهنا كاثوليكيا سابقا ، كما كان فى نفس الوقت راعيا للكنيسة المعمدانية فى (تشوارتس) ، وتُظهر محاكمة تشوارتس أن كان معمدانيا خالصا ، وكان يعلّم بالمميزات المعمدانية كلها ، وإيمانه بالحق الكتابى كلفه رأسه ، وفى تشاورتس أُحرق ١٨ معمدانياً ، وأُعدم سبعون معمدانياً فى لينتر ومعهم راعيان ، وأصبح المعمدانيون معروفين باسم « أخوة الحديقة » وهذا بسبب اجتماعهم فى الحدائق تحت جنح الليل .

وفى (وورمز) تكاثر المعمدانيون وانتشرت شعبيتهم وتأثيرهم ، واقتنع الراعى اللوثرى يعقوب كانتز بالعقائد

المعمدانية وارتبط بالمعمدانيين ، وخليفته الذى جاء بعده صار معمدانيا هو الآخر ، ويُذكر فقط باسم (الصاحب) ، وصدر أمر للخدام بالرحيل عن المدينة من مجلس المدينة ولكنهم رفضوا الخروج ، وخافت السلطات المحلية أن تقبض عليهم لأن الخدام كانوا معروفين جداً ومحبوبين جداً من السكان المحليين ، واستمرت الكنيسة المعمدانية الكبيرة ولم تتعرض إلا للقليل من الاضطهاد فى (وورمز) ولمدة عدة سنوات ، وامتد الإضطهاد إلى المدينة التى كانت آمنة فى ستراسبورج ، وسُجن الراعى - بلجريم ماربك - وكتب دفاعاً مجيداً عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، ومازالت كتاباته من أكثر الكتابات اشتقاقا فى موضوع انفصال الكنيسة عن الدولة ، وأفرج عن - ماربك - وهو أحد الكهنة الكاثوليك سابقا - ولكنه نُفى عن ستراسبرج ، وانتقل إلى أوجسبرج حيث مات ، ومازال سبب موته موضع تساؤل !! .

من المهم أن نلاحظ أن بعض هذه الإضطهاد جاءت عن طريق السلطات المعترفة بالكنيسة الكاثوليكية ، والبعض الآخر من الإضطهادات جاء من أولئك الذين كانوا تحت قيادة لوثرية ، والقادة اللوثريون والكاثوليك أخذوا نفس الموقف فيما يتعلق بمعاملة المعمدانيين والذين نادوا بالحرية الدينية ، وفى ١٥٢٩ تعامل الإمبراطور تشارلس الخامس إمبراطور ألمانيا مع زيادة (الأنابابتست) وانتشارهم بنفس الأسلوب ، ومرسومه الذى تبع

قيام مجلس كنيسة سبايرز نسجل هنا بعضا منه : « نعلن ان كل (انابابتست) أو فرد أعيدت معموديته سواء كان ذكرا او أنثى ، وكان فى سن المسئولية والفهم ينبغى ان يُحرم من الحياة ، وبحسب ظروفه يموت حرقا بالنار او قتلا بالسيف او بأى طريقة أخرى ، وحيثما يوجد لابد أن يقاد إلى القضاء ، ويُتهم ، ويُدان .. ولا يحاكم بغير هذه الطريقة » ، وكانت نتائج هذا المرسوم موت الآلاف من المعمدانيين ، إلا أن الحركة استمرت فى الانتشار ، وفى ولايات المانية عديدة كان هناك إضطهاد كبير للأنابابتست ، ولكن بعض النبلاء الألمان تحدوا أوامر الإمبراطور وحاكم منطقة (هيس) وكان اسمه (فيليب الجبار) رفض الانصياع لأى امر بأى نوع من الاضطهاد الدينى ، ودافع عن الأنابابتست ووضعهم تحت حمايته هم وبعض المنشقين - عن الكاثوليكية - فى ولايته ، ودافع بقوة عن الحرية الدينية ، وكان مصيره لكل هذا السجن ، ثم أُرغم على التعاون مع تشارلس الخامس ، إلا ان (هيس) استمر مكانا آمنا للأنابابتست اكثر من أى جزء آخر فى المانيا ، وفى تشاوتسبرج دافع الحاكم المحلى (الكونت جانزر) عن المعمدانيين وحماهم مخاطرا بذلك بحياته ، ومن حسن الطالع نجح فى موقفه ، وحمى حاكم اسمه (وارنر فون بلانت) فى مدينة وسنبرج المعمدانيين ،

وتحت قيادة (جوهانز كامبانس) وهو خادم محلى .. قررت الكنيسة هناك أن تستخدم حريتها فى بعث مرسلين إلى كل انحاء المانيا ، وهذا التصرف أغضب (مالكنثون) مساعد مارتن لوثر حتى انه الح على ضرورة إضطهاد المعمدانيين فى تلك المنطقة ، وقُبض على (كامبانس) وقضى عشرين سنة فى السجن ، ومات هناك ومعظم المرسلين الذين أرسلتهم كنيسته أُعدموا ، وقُبض على (هابميير) وأُحرق بالنار ، وبعد ثلاثة ايام حكموا على زوجته بالإغراق فى النهر .

وفى الكثير من مدن المانيا كان الأنابابتست محبوبين لدرجة ان السلطات المحلية كانت حريصة على « كيف تضطهدهم » ، وخلال تلك الفترة كلها كان هناك كنيسة معمدانية كبيرة فى كولونيا بالمانيا ، وكانت الكنيسة دائما تحت المضايقات ولكنها نجت من الإضطهادات العنيفة التى تعرضت لها الكثير من الكنائس المعمدانية ، وواجه المعمدانيون أربع مواقف حرجة جداً وقاسية فى تلك الفترة :

* الموقف الأول مع (توماس مانزر) وثورة الفلاحين ، وكان (مانزر) كاهنا كاثوليكياً قبل تجديده ، وأصبح راعيا لوثريا ، وأُقيم على أول رعاية له بتوصية مباشرة من مارتن لوثر ، ثم انفصل (مانزر) عن اللوثريين بسبب تعليمه عن انفصال

الكنيسة عن الدولة ، وقاد الفلاحين فى طلب الحرية السياسية والاقتصادية والدينية ، وكانت أفكاره تشابه بشكل ملحوظ أفكار الذين أسسوا الجمهورية الأمريكية ، ومن سوء الحظ لم يكن لديه قادة عسكريين كبار فى حركته مثل الذين كانوا فى حرب الاستقلال الأمريكية ، لذلك سرعان ما هُزمت قواته هزيمة ساحقة ، وسُمى (مانزر) بالأناباتست بسبب تمسكه الشديد بفكرة الحرية الدينية ، إلا أنه لم يكن معمدانيا ، فقد استمر ينادى بمعمودية الأطفال وبالرش ، وتقابل مع بعض المعمدانيين السويسريين والألمان الذين رفضوا مساندته فى ثورته ، وشعر بعضهم أنه لا يوجد مبرر أبداً للثورة العنيفة ، والبعض الآخر اعتقد أن الوقت لم يكن مناسباً لإحراز الثورة لأى نجاح ، غير أن كثيرين من الأنابابتست حاربوا فى صفوف (مانزر) ، ومهما كانت النتائج التى وصل إليها (مانزر) فينبغى أن يُذكر كصديق للحرية ، وكان الأنابابتست دعاة متحمسين للحرية الدينية حتى أن اسمهم سرعان ما أُطلق على كل الذين وقفوا إلى جوار فكر إنفصال الكنيسة عن الدولة ، وأحد مشاهير هذه الفترة كان (ميلكور هوفمان) وكان واعظا لوثرياً سابقا ، ولكنه ارتبط بعد ذلك بالأنابابتست لأنه كان يعمد المؤمنين فقط بالتغطيس ، إلا أنه لم يكن معمدانيا صرفاً لأنه لم يقبل بتعليم السلطة الوحيدة

للكتاب المقدس ، واعتقد أنه مستمر فى قبول إعلانات من الله ، وتنبأ أن نهاية العالم هى عام ١٥٣٣ وفى عام ١٥٣٣ عاد إلى ستراسبورج متحديا السلطات المدنية ولينتظر المجىء الثانى للمسيح ، وقُبض عليه وقضى فى السجن عشر سنوات ومات هناك عام ١٥٤٣ .

وكان من المعمدانيين الذائعى الصيت فى تلك الفترة (هانز هات) وقد بالغ هات فى تعليمه عن انفصال الكنيسة عن الدولة وقال بانفصال المؤمن عن الدولة ، وعلّم ضد الخدمة العسكرية .. إلى آخر ما كان يعلّم به من أمور لا نستطيع فهمها إلا فى ضوء العصر الذى كان يعيش فيه ، فالجيوش كانت تُستخدم لإضطهاد المسيحيين ، وكانت الضرائب تُصرف على الحملات العسكرية ، وتمردت الحكومات المدنية على الله ، وصارت أداة للإضطهاد الدينى ، إلا أن المعمدانيين رفضوا أفكار (هات) ، وقد تسببت أفكاره فى إضطهاد الكثيرين من المعمدانيين ، وقُتل (هات) فى أجسبرج وهو يحاول الهروب من السجن .

وفى نهاية فترة الإصلاح فى ألمانيا كانت حركة الأنابابتست يُنظر إليها كحركة خارجة على القانون ، واضطُهدت .. ولكنها نمت فى القوة والتأثير .



(٢١)

المعمدانيون فى هولنـدا

« فإذاً الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير » ١ بطرس ٤ : ١٩ .

***

بحلول عـام ١٥٢٥ هرب الكثـيـرون من الألمان إلى هولندا ، وطوال مدة حكم تشارلس الخـامس لألمانيا كـانت هناك معارضة قوية لحكمه ، وكثيراً ما كان القادة المحليون يتحدون مراسيمه ، وأمل المنشـقـون عن الكثكلة أن يجـدوا فى هولـندا ملجأ من الإضطهاد ، وكـانت فى هولندا الـعديد من الكنائس المعمدانية ، ونمت حركتهم بسرعة إلا أن الإضطهـاد سرعان ما لحقهم ، وفى عام ١٥٢٧ أُغتيلت أرملة اسمـها (وينكن كلاس) ثم أُحرقت جثتها ، وكانت جريمتها أنها تعمدت ثانية فى كنيسة معمدانية وفى نفس العام أُحرق ثلاثة معمدانيين أخرين ، إلا أن الحركة استمرت فى النمو ، وبحلول عـام ١٥٣٣ تمت معمودية مايربو عن الألف فى مدينة (إيردن) وحدها .

وفى عـام ١٥٣١ قُبض على ترزى مـدينة (ليـووردن) لأنه معمدانى ، وأثناء محاكمته الطويلة نوقش موضوع الخلاص والمعمودية بوضوح ، وأحدث هذا إنطباعاً عميقا فى نفس كاهن كاثوليكى صغير السن اسمه (مينو سيمونز) ، وقادت شجاعة الترزى واسمه (سيك فريكس) مينو الكاهن الكاثوليكى إلى دراسة العهد الجديد ، واستمر كاهنا كاثوليكياً لمدة خمس سنوات ، وأخيرا انضم إلى المعمدانيين ، وعُذب الترزى وأُعدم ، ولكن شهادته قادت إلى تجديد ذلك الكاهن الذى صار بعد ذلك من أكثر الخدام المعمدانيين تاثيرا ، وأُعدم عدد كبير أخر من المعمدانيين خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر ، وفى عام ١٥٣٥ كان الموت حرقا لكل المعمدانيين قد أصبح قانوناً ، وأعيدت الموافقة على هذا القانون عام ١٥٥٠ ، إلا أن هذا لم يستطع تحطيم الحركة المعمدانية ، وقد ترك أحد الرعاة المعمدانيين واسمه (ليونارد بوينز) سجلا مكتوبا فيه أنه عمدُ ما يربو عن عشرة آلاف متجدداً ، ولما أمتدت موجة الإضطهاد شعر (مينو سيمونز) بالقلق المتزايد لكونه كاهنا كاثوليكياً ، وقد قادته دراسته للكتاب المقدس إلى اعتناق المميزات المعمدانية ، وخلاصه الشخصى جعل قلبه يحس بألام أخوته المضطهدين ، وفى عام ١٥٣٦ ترك الكهنوت واعتمد معترفاً بإيمانه الشخصى

بالمسيح ، وأصبح راعياً لكنيسة معمدانية فى (جرونتجن) ، وقضى اربع سنوات هادئة هناك ، وفى عام ١٥٤١ صار راعيا لكنيسة معمدانية فى امستردام ، ولكنه قضى الثمانية عشر سنة التالية هارباً ، وقد أعلنت الكنيسة الكاثوليكية عن مكافأة مالية لمن يأتى برأسه ، وارتحل فى أنحاء هولندا والمانيا وهو لا يمكث طويلا فى مكان واحد ، واسس عدداً كبيراً من الكنائس الصغيرة خلال فترة ترحاله ، وأعلن ثانية عن مكافأة مالية ضخمة لمن يقدم معلومات تقود إلى القبض عليه ، كما أعلن العفو عن أى معمدانى يقدم عنه اى معلومات ، وحدثت عدة محاولات لخيانته ولكنه كان دائما يتمكن من الهرب .

لكن بعض زملائه لم يكن لهم خطة ، فقد قُطعت رأس فلاح اسمه (دينرسون) لأنه سمح لمينو أن يختبىء فى مزرعته ، وكذلك قُطعت رأس (إين سيزون) لأنه كتب مقدمة لكتاب كتبه مينوسيمونز ، وحرقت كتب سيمونز ، وكان الإعدام هو الحكم على كل من يوجد ومعه كتاب من تأليف مينوسيمونز ! .

ووجد سيمونز وأتباعه ملجأ عام ١٥٥٣ حين قام اللورد (فرينز بورج) وهو من نبلاء هولندا الأقوياء بدعوة المعمدانيين للانتقال إلى منطقته والعيش تحت حمايته ، وانتقل الآلاف من المعمدانيين إلى منطقته ، وأسس أكثرهم قرى خاصة ، وهناك

عاش سيمونز فى سلام سنوات حياته الثمانية الأخيرة .

كتب مينو سيمونز العديد من الكتب والكتيبات معلما بوضوح بجميع الميزات المعمدانية ، لكن اتباعه قاموا بضجة كبيرة لميز آخر رفضه معظم المعمدانيين ، فمينو وأتباعه علّموا « بالسلبية » اى أن العنف والقوة للدفاع عن النفس لا مبرر لها ، والمعمدانيون الذين تمسكوا بهذا الفكر كانوا يدعون (المينونايتس) وخلال حياة مينو ولعشرات من السنين من بعده كان المعمدانيون والمينونايتس فى شركة حبية ، واحترموا بعضهم البعض ، ووعظ المعمدانيون فى كنائس المينونايتس وهؤلاء اعتبروا أنفسهم فرعاً من الحركة المعمدانية ، لكن النقاش حول « السلبية » حسب فكر المينونايتس والتأكيد منهم على الأعمال للخلاص شق الجماعتين ، وبحلول القرن الثامن عشر لم تعد كنائس المينونايتس تعمّد بالتغطيس المؤمنين فقط ، ولم يعودوا يعتبرون جزءاً من الحركة المعمدانية .

عزم الأمير الهولاندى الحاكم على ولادية أونج ، واسمه وليم – على تحطيم دور فيليب الثانى حاكم أسبانيا – على هولندا ، وقد « ورث » فيليب هولندا من أبيه تشارلس الخامس الذى كان مستبداً من كل الوجوه ، ومنكراً للحريات السياسية والاقتصادية والدينية لشعبه ، وهو الرجل الذى كوّن الأسطول

الأسبانى الشهير « الأرمادا » لكى يغزو إنجلترا ، وجمع وليم
حاكم أورنج البروتستانت والمعمدانيين والمنشقين من
الكاثوليك ، وشكل منهم جيشا ليحطم السلطة الكاثوليكية ،
وموقعة بعد موقعة قاد قواته ضد القوات الكاثوليكية الأكثر عدداً
، وأخيراً نجح فى استقلال هولندا ، وسرعان ما وُضع تحت
ضغوط لتأسيس كنيسة تابعة للدولة ، وكان الضغط أتيا من
الكلفانيين والمصلحين – اللوثريين – كما طُلب منه الإنقلاب
على حلفائه السابقين من المعمدانيين ، وحين وقع زوينجلي
تحت نفس الضغط أنكر كل أفكاره السابقة وإنقلب ضد أصدقائه
السابقين من المعمدانيين ، لكن وليم لم يكن زوينجلي .

حين تم تشكيل الدولة الجديدة – هولندا – تقرر أن يكون كل
فرد حراً فى ديانته ، ولا يجب سؤال أحد أو مضايقته فيما يتعلق
بعبادة إلهه ، وعُرف وليم – الحاكم – أحيانا باسم وليم الصامت
بسبب قدرته الكبيرة كدبلوماسى ، وكان لوثرياً لكنه تعلمَ فى
مدرسة كاثوليكية ، وكشاب كان يحضر اجتماعات كنيسة
كلفانية ، وقد رفض أن ينفذ أوامر تشارلس الخامس فيما يتصل
بالاضطهاد الدينى ، وأقنع تشارلس الخامس أن يتركه وشأنه ،
وبسبب تربيته الدينية المختلفة كان هو الذى أوجد مخبأ أميناً
للمعمدانيين خلال القرن السادس عشر ، والمعمدانيون من كل

أنحاء أوروبا هربوا إلى هولندا للنجاة ، واغتيل وليم بيد
جاسوس كاثوليكى ، ولكن ابنه – الأمير موريس – استمر فى
كفاحه من أجل الحرية ، وأحد حلفائه وهو – وليم الثالث –
الذى أرسى قواعد الحرية فى إنجلترا لما صار ملكا لها .

وقد انتعش المعمدانيون وتكاثروا فى هولندا ، وكان
(رامبرانت) من المتحمسين جداً للحرية الدينية والسياسية ، وقد
عبّر عن هذا فى العديد من لوحاته ، كما كان المعمدانيون يضمون
عدداً كبيراً من الأطباء والمخترعين المشهورين فى هولندا من
ضمنهم مخترع أضواء الشوارع ، ونموذج عربة الحريق التى
يجرها الخيل وهو (ثان ديرهايدن) ، والواعظ الألمانى (جاسبر
تشوينكفيلد) كان له هو الآخر تأثير كبير على الكنائس الألمانية
والهولاندية ، وكان يُظن أنه واحد من المعمدانيين بسبب تأكيده
على موضوع الخلاص الشخصى والمعمودية بالتغطيس ،
وانفصال الكنيسة عن الدولة ، وكان أصلاً من أتباع لوثر ومن
أصدقائه ، ودفعته عقائده الكتابية إلى الخروج عنوة من ألمانيا ،
وساعدت كتاباته ووعظه فى هولندا على تمهيد الطريق للحرية
الدينية هناك ، وتعليمه الكتابى عن المعمودية ساعد على فتح
الباب للكثيرين من المعمدانيين فى هولندا ، ورغم أن
(تشوينكفيلد) لم يعلن عن اتصاله بالمعمدانيين إلا أنه كان فى

حالة شركة معهم ، وعلَم أن الكتاب المقدس هو السلطة النهائية ولكن هناك إعلانات شخصية من الروح القدس ، لكن المعمدانيين علَموا أن الكتاب المقدس هو الإعلان الوحيد الكامل من الله ، وأتباع (تشوينكفيلد) كانوا من الرعيل الأول الذين استقروا فى مستعمرة (بنسلفانيا) على الجانب الشرقى من أمريكا ، ومازال لهم العديد من الكنائس فى تلك الولاية إلى اليوم .

وهناك خادم آخر يُذكر باتصاله بالأنابابتست فى هولندا وهو (ديڤيد يورس) وكان معروفا بمناداته بانفصال الكنيسة عن الدولة ومعمودية المؤمنين ، ولم يكن معمدانيا صرفاً لأنه آمن أنه يستقبل دائما إعلانات من الرب ، وعلَم أن الألف سنة سوف تأتى فى حياته ، وبعد أن أُعدم عدد من أتباعه من بينهم أمه هرب واختبأ ، وبعد موته أُخرجت جثته من القبر وأحرقها أعداؤه .

وواعظ آخر كان دائم الترحال بين ألمانيا وهولندا وهو (جاكوب هتر) وكان معمدانيا صلبا ، وأكد على الشركة الاختيارية للمؤمنين ، وأُعدم هو وأكثر من ألف من أتباعه ، والناجون اجتمعوا فى هولندا بعد أن تمكنت الحرية الدينية هناك ، والأخوة (الهالترت) هم سلالة تلك الجماعة ، وفى القرن الثامن عشر اتجه معظم جماعة الأخوة إلى روسيا حيث انتعشوا وتكاثروا إلى أن قامت الثورة الشيوعية فى أوائل القرن العشرين .

أحيانا كانت الحكومة الهولاندية تبعد عن فكرة الحرية الدينية ، لكن أيام الإضطهاد الشديد لم تعد أبداً ، وخلال النصف الأخير من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر كانت هولندا هى ملجأ المعمدانيين وبعض المنشقين عن الكاثوليكية فى أنحاء أوروبا ، وأصبح المعمدانيون هم النسبة الأكبر فى تعداد هولندا ، واستمروا يبنون الكنائس المعمدانية وكليات اللاهوت التى أثرت فى أجيال لاحقة لسنوات عديدة ، والحجاج الانفصاليون هربوا إلى هولندا بحثا عن الحرية الدينية قبل انتقالهم إلى العالم الجديد - أمريكا - وأصبحت هولندا أول دولة حديثة والتى تطورت بسبب الفكر المعمدانى عن انفصال الكنيسة عن الدولة .

إن معمدانيين كثيرون دفعوا ثمن إيمانهم وأمانتهم .. حياتهم الشخصية وشهادتهم للسلطةالوحيدة للكتاب المقدس مازالت تعيش .



(٢٢)

المعمدانيون الإنجليز

« غير مخوفين بشيء من المقاومين الأمر الذى هو لهم بينة للهلاك وأما لكم فللخلاص وذلك من الله . لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضا أن تتألموا لأجله » فيلبى ١ : ٢٨ و ٢٩ .

***

مما لا شك فيه أن الملك هنرى الثامن قد اضطهد المعمدانيين بقوة فى إنجلترا خلال مدة حكمه وبسبب تحولاته الدينية المختلفة ، ففى بداية حكمه أُعدمت سيدة اسمها (أليس جريفل) لأنها شهدت أنها معمدانية من ٢٨ سنة ، وقد تم أعدامها فى لندن ، كذلك أُحرق عدد من القادة فى كنيسة معمدانية فى لندن ، كما أرسل هنرى قوات عسكرية للمساهمة فى اضطهاد المعمدانيين فى ألمانيا ، وفى عام ١٥٣٣ أصدر مرسوما بأن يترك البلاد كل من يؤمن بمعمودية المؤمنين وأعطاهم مهلة ١٢ يوماً ، وترك الكثيرون إنجلترا بينما بقى البعض يعلنون عن إيمانهم ،

وأعدم بعض آخر ، حتى القسم الانجليكانى فى كنيسة إنجلترا ساند إضطهاد المعمدانيين ، وقال قائدهم المشهور : « إن الأنابابتست الذين أُحرقوا فى مدن مختلفة فى انجلترا مضوا إلى حتفهم دون خوف من العالم ، بل كانوا مهللين .. فدعهم يذهبون » وثلاث مرات فى عام ١٥٣٨ و ١٥٤٠ و ١٥٥٠ أصدر ملوك إنجلترا قرارات عفو وهذه القرارات عفت عن كل المساجين والمدانين فى جرائم فظيعة ، وفى كل مرة كان المعمدانيون يُستثنون من هذه القرارات ، وفرغت السجون من اللصوص وقطاع الطرق والمتشردين لكن المعمدانيين استمروا فى السجن ، وكان حكم الموت على كل من يقرأ كتباً معمدانية ، وقد كتب رجل إنجليزى إلى (إيرسموس) متفكها : « لا عجب أن يكون الخشب قد اصبح قليلا لأن كثيرين من المعمدانيين قد أُحرقوا بالنار » .

وخلال هذه الفترة جاء الكثيرون من المرسلين الهولنديين إلى إنجلترا ، وأُعدم عدد منهم ، وكان المعمدانيون معروفين بعدة أسماء : الأنابابتست ، المعمدانيون ، اللولارد ، وبعض دارسى تاريخ الكنيسة يدعونهم : الدوناتست ، والبولسيين .

وحين مات هنرى الثامن أصبح إبنه إدوارد السادس ملكا ، وكان يميل للحرية الدينية ، ووضع نهاية للإعدام بسبب المعتقدات الدينية ، وقبل أن يفعل ذلك أُعدم أثنان من

المعمدانيين ، فقد أُحرق (جون كنت) بالنار لأنه كان يهرّب كتبا معمدانية إلى البلاط الملكى ، وانهى أدوارد هذه البربرية ، ولكن لسوء الطالع كان دائما عليل الصحة ، ومات بعد أن ملك ستة سنوات فقط ، ولم يكن له أولاد ، وهكذا اعتلت أخته مارى العرش من بعده ، وكانت مارى كاثوليكية حتى النخاع ، وقد تشربت الكاثوليكية من أمها كاترين أو زوجات هنرى ، ولم تنسى أبداً أن إنجلترا أصبحت بروتستانتية عن طريق إنفصال أبيها عن أمها ، وعزمت على إرجاع إنجلترا إلى أحضان الكاثوليكية ، حتى أنها تزوجت فيليب الثانى ملك أسبانيا الكاثوليكى لكى تقوى قبضة الكاثوليك على إنجلترا ، وأحرقت مارى كل القادة الانجليكان فى كنيسة إنجلترا بالنار ، وهكذا حصد أولئك المسيحيون بالاسم - الذين كانوا على استعداد لإرسال المؤمنين الحقيقيين إلى حتفهم - ما زرعوه ، و (لاتيمار) الذين كان يرسل المعمدانيين إلى الحريق دون أن يرمش له جفن انتهى نفسه بالحريق ، أما المعمدانيون فلم يكونوا أسعد حظا تحت حكم مارى ، فقد أُحرق الكثيرون من الخدام المعمدانيين بالنار ، وماتت مارى بعد أن حكمت خمس سنوات فقط ، وتذكر فى التاريخ باسم (مارى الدموية) وقد قوبل موتها بالفرح فى كل أنحاء إنجلترا .

وأصبحت أخت مارى الملكة التالية لإنجلترا ، وهى إليزابيث

إبنة هنرى الثامن من أن بولين ، وأعادة البناء البروتستانتى إلى كنيسة إنجلترا ، ولمدة ما كانت تعيد تنظيم الكنيسة ، وتوقفت كل الإضطهادات ، وظن البعض أن هذا دليل على الحرية الدينية ، ولكنهم - مع الأسف - أساءوا فهم دوافع الملكة ، وبدأ المعمدانيون يعملون بهمة وبصورة علانية ، وكثيرون من المعمدانيين من البر الرئيسى فى أوروبا لجأوا إلى إنجلترا للأمان ، ولكن كان ذلك الهدوء مؤقتاً ، فقد أعلنت إليزابيث نفسها السلطة العليا للكنيسة ، وأمرت أن لا يوعظ بشىء ضد إراداتها .

ونمى المعمدانيون بسرعة ، وأصبحوا الأقلية القوية الملموسة فى إنجلترا ، ولكن إليزابيث قررت الاهتمام بهذا الأمر ، فأقامت مفوضاً مسئولاً عن تحطيم الكنائس المستقلة ، ومرة أخرى أُحرق المعمدانيون بالنار فى إنجلترا .

اصبح روبرت براون المعروف باسم « أبو الجماعيين » واعظا بارزاً فى إنجلترا أثناء تلك الفترة ، وقد درس مع بعض المعمدانيين الهولانديين فى نورويك بإنجلترا ، وأقتنع براون بكل المميزات المعمدانية إلا معمودية المؤمنين ، وقاد وعظه إلى قيام العديد من الكنائس المستقلة فى إنجلترا ، وهذه الكنائس وقفت موقفاً نبيلاً فى صف الحرية الدينية ، وانفصال الكنيسة عن

الدولة حتى وإن كان هذا الموقف قد جلب عليهم الكثير من الاضطهادات ، وكل واحدة من هذه الكنائس المستقلة الجديدة قررت لنفسها موقفها من المعمودية ، فالبعض كان معمدانياً بينما مارس البعض معمودية الأطفال ، ولكنهم كانوا جميعا متمسكين باستقلالية الكنائس المكونة من المؤمنين الحقيقيين ، وكانوا يدبرون أمورهم بأنفسهم ، وكانت هناك شركة دائمة بين المعمدانيين و « الجماعيين » الأولين .

والفرق بين المعمدانيين والبروتستانت الانجليكان أوضحه الأسقف (هوبر) أسقف فى كنيسة إنجلترا ، والذى وصل إلى القرار بأن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة ، وبدأ هوبر يعظ بهذا الحق وطلب من كنيسة إنجلترا أن تتواءم تعاليمها مع هذا الحق ، ولكن المسئولين انتهروه وذكروه أن رئيس الكنيسة وقادتها هم أيضا سلطات روحية ، وطُلب منه أن يهجر فكرة السلطة الوحيدة للأسفار المقدسة لأن مثل هذا الموقف لابد - منطقيا - أن يقود إلى إنفصال الكنيسة عن الدولة ، كما أنه سيحذف معمودية الأطفال !! وأُمر بأن يتوقف عن مثل هذا الوعظ أو يترك كنيسة إنجلترا وينضم إلى المعمدانيين الذين تمسكوا دائما بسلطة الكتاب المقدس الوحيدة .

وكان الإضطهاد إبان حكم إليزابيث شديداً حتى أن المعمدانيين

وغيرهم من المستقلين بدأوا فى اللجوء إلى الغابات والجبال مرة ثانية ، وبعد موت إليزابيث اعتلى ابن عمها الملك جيمس ملك سكوتلندا عرش إنجلترا ، وفى كنيسة إنجلترا طالبت أقلية كبيرة بأن يُعطى الكتاب المقدس سيادة أكبر فى الكنيسة ، وأن تكون التعاليم الكتابية هى التعاليم الأساسية فى الكنيسة ، وهؤلاء أطلقوا عليهم اسم (البيورتان Puritan) وقد اتبعوا تعاليم كالفن .

واستمر الضغط على المعمدانيين فى إنجلترا ، وتحول الملك چيمس من سياسة الإعدام إلى السجن والغرامات ، ولجأ المعمدانيون إلى چيمس من أجل الحرية الدينية ، ولكنه أنكرها عليهم ، ولكن بعد مدة بدى وكان الملك لم يعد مهتماً باضطهادهم ولكنه لم يمنع بعض قادة الكنيسة من إضطهاد المعمدانيين إلى هولندا ، بينما سُمح لآخرين أن يشتركوا فى المستعمرات الإنجليزية الجديدة على شاطىء الأطلنطى لشمال أمريكا .

وكتب مارك بوشر عام ١٦١٤ - وهو عضو فى كنيسة معمدانية فى إنجلترا - أول كتاب يُنشر فى انجلترا مدافعاً عن الحرية الدينية ، وكان عليه أن يهرب إلى هولندا بعد أن نُشر الكتاب ، ولكنه استطاع بعد ذلك أن يعود إلى انجلترا ، وأثر

الكتاب بقوة فى جون ملتون ، وفى الكاتب السياسى جون لوك وكتابات لوك السياسية أثرت فى كثيرين مثل توماس جفرسون ، وچورچ واشنطن ، وچيمس ماديسون ، وإعلان الاستقلال قائم أساساً على فلسفة لوك السياسية ، والتى تمشت مع ظروف المستعمرات الأمريكية .

وإحدى الأحداث الشهيرة فى تاريخ المعمدانيين الإنجليز حدثت خلال تلك الفترة ، وغالبا ما تسمى « حادثة المعمدانيين » فقد كان جون سميث واعظا فى كنيسة إنجلترا ولكنه اقتنع بتعليم السلطة الوحيدة للكتاب المقدس ، وإنفصال الكنيسة عن الدولة ، وترك كنيسة إنجلترا وعاد إلى موطنه فى جانزبورو ، وهناك وجدت كنيستان « للجماعيين » ، وواحدة منهما ضمت الجماعة التى كانت فى مستعمرات الحجاج والتى انتقلت إلى مستعمرة خليج بليموث ، وأصبح سميث راعياً للكنيسة الأخرى ، وبسبب الإضطهادات لجأ معظم أعضاء الكنيستين إلى هولندا ، وهناك اقتنع سميث بمعمودية المؤمنين ، وقاد اجتماعه لدراسة هذا الموضوع ، واتفقوا جميعا فى الرأى على أن المعمودية للمؤمنين ، واعتمد سميث أولاً ثم بعد ذلك اعتمد أغلب الأعضاء .

عاد بعض أعضاء كنيسته بقيادة توماس هلويز إلى إنجلترا

وأسسوا كنيسة معمدانية ، وهناك هاجم هلويز التعليم الكلفينى عن الاختيار الذى تمسك به البيورتان ، وهذا التعليم وجد قبولاً من كثيرين من المعمدانيين ، ولأن هلويز علّم بقوة عن الكفارة العامة (أى أن المسيح مات عن كل الناس) سميت كنيسته المعمدانية – العموميون – ، وسرعان ما كان هذا الاسم يطلق على أى كنيسة معمدانية تعلم بالكفارة العامة ، أما الكنائس التى كانت تعلّم بموت المسيح لأجل المختارين فقط فأصبحت معروفة باسم « المعمدانيون الخصوصيون » وهاجم هلويز الملك چيمس وقُبض عليه ، ومات فى سجنه .

قامت كنيسة معمدانية شهيرة خلال تلك الفترة من جماعة من المستقلين ، وتأسست كنيسة مستقلة بواسطة هنرى جاكوب فى سوث وورك ، وانتقل إلى مستعمرة فرجينيا وخلفه فى رعاية الكنيسة جون لاثروب الذى سُجن بسبب خدمته ، وبعد أن أُطلق سراحه قاد معظم الكنيسة إلى نيو إنجلند ، والذين بقوا فى نيو إنجلند عُرفوا باسم « كنيسة جون لاثروب » ، وجزء من الكنيسة اعتنقوا المبادىء المعمدانية وأسسوا كنيسة معمدانية مستقلة تحت قيادة راع جديد ، وأرسلوا واحداً من الأعضاء إلى هولندا لكى يعتمد ، وبعد معموديته عاد ليعمّد أعضاء الكنيسة الآخرين ، وأصبح وليم كيفين – أحد أعضاء الكنيسة – قائدا معروفاً للمعمدانيين الخصوصيين .

(٢٣)

الأفكار المعمدانية تنتشر فى أوروبا

« لذلك لا نفشل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما . لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا اكثر فاكثر ثقل مجد أبديا . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا تـــرى . لأن التى تـــرى وقتية وأمـا التـى لا تـــرى فابدية » ٢ كورنثوس ٤ : ١٦ – ١٨ .

***

كـان المعـمـدانيـون مـوجـودين بصـورة ملمـوسـة فى الدول الأرورربيـة أثناء وبعـد الإصـلاح ، وهناك الكثيـر الذى سجله التاريخ عن وجود كنائس معمدانية فى إيطاليا خلال تلك الفترة ، وهذه الكنائس تعـرضت لإضطهـادات عنيفة عن طريـق الكنيسة الكاثوليكية والحكومـات المحلية ، وقد صـار أحد الكهنة الكاثوليك معمدانيـا واسمه (يوليوس كلمفدار) ومات بإغراقـه فى فينسيا عـام ١٥٦١ ، وكـذلـك (فـرنسـيسـكان ڤان در) راعى الكنيسة المعمـدانية فى فـينسيا ، مع واحـد من شمامسة كنيسته ، أُغرقا

عام ١٥٦٤ ، وهرب كـثيـرون من الإيطاليين المعـمـدانـيين إلى مـانروفـيا ، وآخـرون هربوا إلى هولندا ، والبـعـض بقى فى إيطاليا ، وهناك تقرير مـسجل عن جمـاعة تفوق الستين عـدداً كانوا يمثلون الأنابابتست فى شمـال إيطاليا ، وأحد المشهـورين منهم هو (كـاميليـو ريناتو) وهـو أحد المدافـعين عن معـمـودية المؤمنين ، ومشهور آخر من الأنابابتست اسمه (تيزيانو) ، وقد تأثرت حـركة الأنابابتست بالذين أنكروا الثالوث بينما اسـتـمـروا يدافـعـون عن إنفـصـال الكنيـسـة عن الدولة ، وعـن المعـمـودية بالتغطيس ، بعـد ذلك صـارت الجمـاعة مـجموعة من الهراطقة بالمعنى الكتـابى ، فـقد أنكروا ألوهية المسيح ، وهكذا فُصلوا عن المعمدانيين الأصلاء بالكلية .

وكـثـيـرون من أتباع (هـانزهات) انتقلوا إلى المجـر ، وكـان يقـودهم خـادم مـعـمـدانى اسـمـه (بيتـر ويدمـان) وتـعـرضـوا لإضطهـاد كبـير ، فلجـأ البعض إلى روسـيا ، وانتـقلت سلالتـهم إلى الولايات المتحدة خلال الجزء الأخير من عام ١٨٠٠ .

وصـدر قرار بإعدام المعـمـدانيين فى النمسـا ، وقـد اتحـد الملك (فـرديناند) مع الـشـيـطان لإبادة المعـمـدانيين ، وأُحـرق الآلاف بالنار ، وربُط الكثيرون فى حزُم واحدة وألقوا فى الأنهـار ، وفى فـيينا قبُض على اجـتـمـاع بكل أعضـائه ، وأطلق سـراح النسـاء

والأطفال ولكن الشباب والرجال صدر عليهم الحكم بالخدمة كبحارة ، وحاولوا هروبا جماعيا لكن لم ينج منهم سوى ١٥ شخصاً قبض عليهم واختفوا ولم يسمع أحد عنهم شيئا .

ومعلوماتنا عن المعمدانيين فى روسيا محدودة ، لكن المعروف أن البولسيين والولدنسيين ، والتابورايت ، والأخوة من بوهيميا وغيرهم من المستقلين كانوا جميعا فى روسيا ، وكان عدد المعمدانيين فى روسيا قليلا نسبياً إلى أن قامت جماعة (الستانديست) فى القرن التاسع عشر وهؤلاء يرجعون بتاريخهم إلى الجماعات المعمدانية الأولى فى روسيا ، وقد نمو نمواً كبيراً خلال القرن التاسع عشر ، وكانوا يعُدون بالملايين ، واضطهدت هذه الجماعة إضطهاد ثقيلا بعد قيام الثورة الشيوعية ، ولكنها استمرت إلى يومنا هذا ، واتحدت مع جماعات معمدانية أخرى كجزء من الاتحاد المسيحى التبشيرى ،وإن كان عددهم غير معروف إلا أنهم موجودون بالملايين فى روسيا .

تبوأ المعمدانيون مراكز متقدمة فى بولندا ، وخلال فترة الإصلاح أصبح مفهوم الحرية الدينية مقبولاً من الحاكم البولندى والنبلاء ولكن بصورة جزئية ومؤقته ، وكثيرون من المعمدانيين الإيطاليين والسويسريين لجأوا إلى بولندا وانتشرت الأفكار المعمدانية بين الشعب البولندى ، وكان من أوائل قادة

المعمدانيين البولنديين (بيترجنسياس) وبدأ كنيسة كُتب لها أن تنجح نجاحا كبيراً فى إقامة كنائس فى كل أنحاء بولندا ، وعلى مدى ١٥ سنة عُقد اجتماع يمثل ٤٧ كنيسة معمدانية ، وأصبح (جريجورى بولس) قائداً معمدانيا مرموقا فى بولندا ، ورعى كنيسة فى كراكاو ، ونشر المعمدانيون كتاباً من ١٦٠ صفحة لتدريب أولادهم بطريقة السؤال والجواب ، وكان هذا من عمل الكنيسة فى كراكاو ، وفى ليتوانيا اقتنع أحد الرعاة المعروفين لأحد الكنائس المستقلة واسمه (جون كيبر الصغير) بمعمودية المؤمنين واعتمد بالتغطيس ، وأعلن عن انضمامه للمعمدانيين ، وبعد ذلك بمدة أغرقه بعض المتعصبين فى نفس النهر الذى اعتمد فيه .

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الشهادة المعمدانية محدودة فى أوروبا غير أنها كانت قوية جداً فى إنجلترا وهولندا ، وأخذت بعض الكنائس المستقلة وبعض الأفراد الشجعان موقفاً قويا من الحق الكتابى ، ولكن خلال القرن التاسع عشر نمت الشهادة المعمدانية وانتشرت بسرعة فى كل أنحاء أوروبا الغربية .

وفى عام ١٨١٠ عثر فلاح فرنسى على نسخة من الكتاب المقدس ، وقرأها مع أصدقائه ودرسوها ، وفى عام ١٨١٩ شكلوا

كنيسة مستقلة ومارسوا معمودية المؤمنين ، وأحد الشبان الفرنسيين – وكان قد تجدد فى سكوتلندا – واسمه (هنرى بايت) أصبح راعيا للجماعة ، وعلّم بوضوح بكل المميزات المعمدانية ، وفى عام ١٨٣١ كان أحد الرعاة الأمريكيين المعمدانيين يقضى أجازة فى فرنسا وتنقل بها ، وعند عودته إلى أمريكا ألح فى إرسال مرسلين إلى فرنسا ، وأولئك المرسلون عملوا مع (جون بايت) فى تأسيس كنائس ، وضايقتهم السلطات المحلية لعدة سنوات ، ولكن فى عام ١٨٤٨ جاءت الحرية إلى فرنسا ، وخلال القرن التاسع عشر أنتجت المجهودات المبذولة هناك ٣٠ كنيسة على الأقل – فى فرنسا – وتم إرسال مرسلين إلى سويسرا وبلجيكا .

وكان بطل الحركة المعمدانية فى القرن التاسع عشر – بلا منازع – هو (جوهان أونكن) وكان لوثريا أتيحت له الفرصة للترحال فى أنحاء أوروبا من سن ١٣ إلى أن بلغ الحادية والعشرين ، وتعرف على كنيسة مستقلة فى لندن بانجلترا ، وتجدد هناك ، وأصبح مرسلاً مستقلاً إلى هامبرج بألمانيا حيث بدأ برنامجاً للوعظ فى الشوارع وتوزيع الكتب ، ومدارس الأحد ، والاجتماعات فى البيوت ، وهذا النشاط جذب أتباعاً كثيرين فى هامبرج ، وبدأ فى دراسة موضوع المعمودية واعتمد بالتغطيس ،

وقد عمّده أحد أساتذة اللاهوت اسمه (سيرز) وكان مدرساً للكتاب المقدس فى كلية معمدانية أمريكية ، وكان مرتحلا فى فرنسا ، واحتمل (أونكن) الكثير من الاضطهاد كمستقل ، واجتاز فى اضطهاد أمر كمعمدانى .. فقد سُجن ، وحُكم عليه بالغرامة ، وتشتت أعضاء كنيسته عن طريق العسكريين ، وحين جذبت حالته انتباها كبيراً فى انجلترا والولايات المتحدة خفّت الاضطهادات المحلية ، وخدم (أونكن) فى هامبرج لمدة ٥٩ سنة .

وأصبحت الكنيسة المعمدانية فى هامبرج أكبر كنيسة لإرسال المرسلين فى كل زمان ، ففى غضون ١١ سنة بدأوا ٢٦ كنيسة فى أنحاء ألمانيا ، وفى عام ١٨٤٨ صدر مرسوم بالتسامح الدينى ، وقاد (أونكن) المعمدانيين الألمان فى تشكيل إتحاد للمرسلين . وبدأ كلية لاهوت فى هامبرج ، وأرسلت الكنيسة فى هامبرج مرسلين إلى السويد ، والدنمارك ، وروسيا ومن ثم إلى كل دولة فى أوروبا ، وقد قيل أن مئات الكنائس التى كانت نتاج هذه المجهودات ، والكنيسة فى هامبرج ومعظم الكنائس التى كانت مشتركة معها تحطمت أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكثيرون من الرعاة قتلوا بواسطة أدولف هتلر لأنهم تحدوا حكمه .

وفى عام ١٨٤٣ تعرف أثنان من البحارة السويد ببعض

المعمدانيين فى مدينة نيويورك ، وطلب أحدهما المعمودية ، واعتمد بالتغطيس وانتهى بأن بقى فى الولايات المتحدة ، أما الثانى واسمه (ف . و . نيلسن) فقد عاد إلى السويد وحدث أنه ذهب إلى كنيسة (أونكن) فى هامبرج لدراسة أعمق ، وطلب أن يعمد بمعمودية المؤمنين ، وصار مرسلاً للسويد ، وبعد ثلاث سنوات طُرد (نيلسن) من السويد ، ثم أصبح راعيا لمدة سنتين للكنيسة فى الدنمارك ، وأخيرا قاد مجموعة من المعمدانيين السويد إلى الولايات المتحدة حيث يمكن لهم أن يتمتعوا بالحرية الدينية ، وبعد سبع سنوات سُمح له بالعودة إلى السويد ، وبدأ كنيسة معمدانية فى جوتنبرج ، وبدأ مرسلون من هامبرج كنيسة فى ستوكهولم عاصمة السويد ، وبحلول عام ١٨٦١ كان يوجد ١٢٥ كنيسة فى السويد ، وتضاءل الإضطهاد الدينى وانتهى فى السويد ، وأصبح المعمدانيون أكبر مجاميع غير لوثرية فى السويد .

وفى عام ١٨٦٠ تشكلت كنيسة معمدانية بواسطة (مزدريك ل . كايمر) فى النرويج ، وكانت مكونة أصلاً من سبع أعضاء ، وكان (كايمر) بحارا سويديا تجدد واعتمد فى الولايات المتحدة ، وبحلول عام ١٨٧٧ وُجدت ١٤ كنيسة معمدانية فى النرويج ، واستمرت أعداد المعمدانيين تزيد إلى وقتنا الحاضر .

وفى عام ١٨٣٩ تنظمت كنيسة معمدانية فى كوبنهاجن بالدنمارك ، وتكونت من عدد من الناس رُبحوا للمسيح من خلال إرسالية من كنيسة (أونكن) فى هامبرج ، وسُجن أول راعى لها ، وأخذ مكانه أخوه الذى سُجن هو أيضا ، واستمر الإضطهاد حتى عام ١٨٥٠ حين سُمح بالحرية الدينية فى الدنمارك ، واستمر النمو المعمدانى هناك .

وفى عام ١٨٨٤ اقتنع بعض الانجليكان فى أوستونيا بعقيدة معمودية المؤمنين واعتمدوا بواسطة خادم معمدانى ألمانى ، واضطر بعضهم إلى اللجوء إلى السويد ، وفى لاتفيا بدأت كنائس معمدانية بواسطة معمدانيين ألمان .

وبحلول القرن العشرين بدأت الكنائس المعمدانية فى أغلب دول أوروبا الشرقية .



(٢٤)

تطورات بين المعمدانيين الإنجليز

« لأن هذا فضل إن كان احد من اجل ضمير نحو الله يحتمل احزانا متألما بالظلم . لأنه اى مجد إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون . بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله » ١ بطرس ٢ : ١٩ و ٢٠ .

***

المناقشة الجدلية للمعمدانيين الخصوصيين والعموميين سيطرت على أحوال المعمدانيين الإنجليز خلال النصف الثانى من القرن السابع عشر ، وقاد (وليم كيفين) المعمدانيين الخصوصيين فى تدبيج قرارات عقائدية واضحة ، وتقديم « إعتراف إيمانى » علنى ، واغلب المعمدانيين العموميين تبنوا المبادئ العقائدية « الارمنيانزم » ومن ضمنها أن المؤمن يمكن ان يخسر خلاصه ، لكن المعمدانيين الخصوصيين استمروا متمسكين بقوة « بالكلفانية » ، ومعمدانيون كثيرون رفضوا الارتباط بأى من الجماعتين إحساساً منهم أن كلا الجماعتين

مباشرة بنظام عقائدى من صنع الإنسان ، وهؤلاء أُطلق عليهم اسم « المعمدانيون الكتابيون » أو « القانونيون » .

واصبح موضوع اختلاط المعمدانيين بغيرهم موضوعاً للجدل بين المعمدانيين وانشق (سيلزبورى وكيفين) بسبب هذا الوضوع ، وبدأ (كيفين) كنيسة لا تشارك إلا المعمدانيين ، بينما انتقل (سيلزبورى) إلى المستعمرات الأمريكية .

ومن الشخصيات التى تسترعى النظر فى تلك الفترة شخص اسمه (بريز ذالورد بربون) وكان واعظا مستقلا وعضوا فى البرلمان ، وكان سياسياً مرموقا وقائدا محنكا حتى ان البرلمان الذى عمر طويلا ، والذى كان عضوا نشطا فيه دُعى (برلمان بريز ذالورد بربون) ، وفى البداية كان هذا الشخص عدواً متطرفا للمعمدانيين ، ولكنه بعد ذلك اقتنع تماماً بانهم على صواب وانضم إلى الجماعة المعمدانية .

خلف الملك چيمس الأول ابنه تشارلس الأول الذى كان متمسكا ومدافعا عن « الحق الإلهى للملوك » - اى الحكم غير المحدود للملك كإرادة الله - واضطهد تشارلس الأول كل المنشقين عن كنيسة إنجلترا ، والمستقلين ، وحتى جماعة (البيوريتان) لم تسلم من إضطهاده رغم إنها كانت جزءاً من كنيسة إنجلترا ، ولجأ الكثيرون من المعمدانيين إلى هولندا ،

وآخرون لجأوا إلى المستعمرات الأمريكية ، وصدرت قوانين صارمة ضد كل الأنابابتست ، والجماعيين ، ، والكويكرز وآخرين من المستقلين ، وحُرم (صموئيل هولا) – وكان راعيا معمدانياً – من الدفن فى المقابر حين مات لأنه كان معمدانيا ، واضطرت عائلته أن تدفنه فى حفرة فى شارع عام ، ونُشر كتاب ضد المعمدانيين فى تلك الآونة وكان مملوءاً بفاحش القول ، والاتهامات الكاذبة الموجهة إلى المعمدانيين ، وكل الوعاظ غير المرخصين من كنيسة إنجلترا كانوا ممنوعين من الوعظ فى تلك الفترة ، و (جون ملتون) المؤلف المشهور لكتاب (الفردوس المفقود والفردوس المردود) قارن بين كنيسة إنجلترا الجديدة والكنيسة الكاثوليكية القديمة فى تعنتها وتعصبها .

وأُتهم راعى معمدانى اسمه (صموئيل أوتس) وحوكم بتهمة القتل لأنه كان يعمّد بالتغطيس ، فقد ماتت فتاة بعد أن عمدها بعدة أسابيع ، وقررت السلطات أن تغطيسها فى المعمودية هو السبب فى موتها ، وحوكم (أوتس) بتهمة « قتلها » وشهد عدة شهود بأن صحتها كانت جيدة لعدة أسابيع بعد معموديتها ، وبُرىء (أوتس) من « جريمة القتل » .

ودفعت أخلاق تشارلس وتصرفاته الديكتاتورية الإنجليز إلى التمرد العلنى ضده ، وقامت حربان أهليتان ، وبعد الحرب

الثانية خلُع تشارلس وقُبض عليه وأُعدم بقطع رقبته بالسيف ، وجاء بعده (أوليفر كرومويل) وهو قائد عسكرى وسياسى وكان يميل إلى تعليم البيورتان ، وأصبح كرومويل الحاكم الفعلى ، وكان يسمى رسميا (اللورد حامى إنجلترا) وساند الكثير من المعمدانيين كرومويل ، وكان بعض جنرالاته من المعمدانيين ، ووقف هو إلى جوار الحرية الدينية ، وقاوم بعض محاولات البيورتان لإضطهاد المعمدانيين ، ولكن كرومويل استسلم أخيراً للضغط وسمح بمضايقة المعمدانيين ، ولكنه لم يسمح أبداً بالاضطهاد العنيف الذى كان فى الماضى ، حتى أنه كتب رسائل يدافع عن أفراد معمدانيين ، وخلال فترة حكمه نجح المعمدانيون ونموا إلى درجة لا تصدق .

وقامت جماعة متطرفة معروفة باسم (رجال الحاكم الخامس) أثناء تلك الفترة ، وكان من قادتها البارزين جنرال معمدانى اسمه (توماس هاريسون) ، وخادم مستقل اسمه (توماس ڤينير) وكانا يؤمنان بأنهما فى الملك الألفى ، وأنهما يمكن لهما أن يؤسسا الملك الألفى عن طريق حكومة صحيحة ، وبعض المعمدانيين وقف إلى جوار حركة « الحكم الخامس » بينما عارضها الأغلبية بصورة علانية ، وأخيرا انتهت هذه الحركة بقوة عسكرية بواسطة تشارلس الثانى ، وتورط بعض

المعمدانيين فى تلك الحركة أُستخدم تكاة وعذرا لإضطهادهم .

بعد موت كرومويل لم يستطع ابنه أن يحتفظ بحكومة مترابطة ، وإذ واجه الإنجليز الفوضى أعادوا تشارلس الثانى إلى الحكم والعرش ، وقبل اعتلاء العرش كان تشارلس قد تعهد بتوفير الحرية الدينية ، ولكنه سرعان ما أخل بوعده ، واضطهد كل المنشقين عن كنيسة إنجلترا بما فيهم البيوريتان الذين كانوا جزءاً من الكنيسة الرسمية ، وكثيرون من المعمدانيين سُجنوا وغُرموا ، ولكن أحداً لم يقتل أو يعذب لكونه معمدانيا ، إلا ان عددا من الخدام المعمدانيين أُعدموا بسبب بعض التهم المشكوك فيها !! وكل الخدام الذين نادوا بسلطة الكتاب المقدس الوحيدة طُردوا من كنيسة إنجلترا .

كتب (بنيامين كيث) وهو أحد الرعاة المعمدانيين كتابا للأطفال شارحاً المبادىء المعمدانية لهم ، فقُبض عليه ، وصودرت كتبه وأُحرقت ، ووُضع فى مقطرة ، وسُمح لبعض المتشردين فى المدينة بإلقاء القاذورات والنفايات عليه .

وعين الملك تشارلس (وليم لود) رأسا لكنيسة إنجلترا ، واشتهر عن (لود) كراهيته للمعمدانيين ، ومن أقواله : « أننى أسعد حين أرى واحداً من الأنابابتست ذاهبا إلى الجحيم » ، وفى عام ١٦٤١ أدين (لود) بالخيانة العظمى وعُزل من منصبه ،

واستمر إضطهاد المعمدانيين ولكن بشكل متفرق ومتقطع غير ما كان فى الماضى ، وأثناء تلك الفترة انحرفت كنيسة إنجلترا عن ممارسة المعمودية بالتغطيس – للأطفال – وبدأت تمارس معمودية الرش ، وبحلول عام ١٦٤٨ كان التغطيس قد حرِّم بقانون .

بعد موت تشارلس الثانى اعتلى أخوه چيمس الثانى العرش ، وانضم (دانيال ديفو) مؤلف رواية (ربنسون كروزو) إلى المعمدانيين ، وكتب عن الحرية الدينية ودافع عنها ، وقُبض عليه مرتين بسبب كتاباته ، وإبان حكم چيمس الثانى استمرت المعاملة العامة للمعمدانيين ، وعارض المعمدانيون محاولة الملك لتوحيد كنيسة إنجلترا مع الكنيسة الكاثوليكية ، إلا أن المعارضة سُحقت وقُبض على كثيرين من بينهم اثنان من أولاد (وليم كيفين) وتقرر إعدامهم ، واستطاع (كيفين) العجوز أن يحظى بمقابلة الملك ، وتضرع من أجل إنقاذ ولديه دون نجاح .

وأحد مشاهير المعمدانيين الذين عاشوا فى تلك الفترة هو (جون بنيان) وقد علّم بكل المميزات المعمدانية ، وقُبض عليه ثلاث مرات بتهمة وعظه دون أن يحصل على ترخيص من كنيسة إنجلترا ، وقضى فى السجن ١٢ سنة على فترات ، وكتب وهو فى السجن أعظم كتاب مسيحى هو « سياحة المسيحى » ،

كما كتب العديد من الكتب الأخرى ، ويُعتبر كتاب « سياحة المسيحى » أعظم كتاب مسيحى بعد الكتاب المقدس طبعاً ، وأطلق سراح (بنيان) واستمر عدة سنوات كواعظ شهير ، ولاحظ تشارلس الثانى وچيمس الثانى شهرة بنيان ، ومات قبل ثلاثة شهور من إعلان الحرية الدينية فى إنجلترا .

واخيرا أسقط الشعب الانجليزى چيمس الثانى من على العرش فيما يسمى « بالثورة المجيدة » الخالية من الدماء ، ولم يكن لچيمس من يسانده فاضطر للهروب إلى فرنسا ، واتجه الإنجليز إلى وليم الثالث ملك هولندا ليكون ملكا عليهم - وكان وليم متزوجا من واحدة من العائلة المالكة الإنجليزية - وهى مارى ، وكان أيضا سليل وليم الصامت وموريس ، وتمسك مثلهم بالحرية الدينية ، وسرعان ما ثبّت الحرية الدينية فى إنجلترا ، وانتهت أيام السجن والغرامة .

وكان نمو المعمدانيين سريعا وكبيراً فى هذا الجو الجديد من الحرية فى إنجلترا ، وفى عام ١٧١٧ فُتحت أول كلية معمدانية فى إنجلترا ، واصبح الدكتور (جون جل) لاهوتيا معمدانيا شهيراً ، والمتكلم بلسان المعمدانيين ، وكانت عائلة (ستنت) من العائلات الهامة والقوية بين المعمدانيين الإنجليز ، واصبح (أدوارد ستنت) راعيا لكنيسة معمدانية فى لندن ، وخلفه ابنه

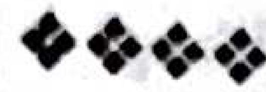
(جوزيف) الذى سار فى آثار خطوات أبيه وجده فى رعاية نفس الكنيسة ، واصبح لسان حال المعمدانيين .

وفى منتصف القرن التاسع عشر كان هناك أكثر من ٢٤٠٠ كنيسة معمدانية فى بريطانيا ، كما كان لهم دار نشر ، وليس اقل من ١١ كلية معمدانية ، ومعظم الكنائس المعمدانية اتحدت بغرض تعزيز الإرساليات ، وسُميت هذه المنظمة (الاتحاد المعمدانى) ، والفترة الإنتعاشية المعروفة « بالصحوة الكبرى » كان لها تأثيرها الكبير على المعمدانيين الإنجليز ، وكان أكثر الوعاظ تأثيرا فى « الصحوة الكبرى » هو (جون وسلى) المؤسس الأرمنى لنهضة القداسة ، و (جورج هوتيفيلد) الكلفينى المستقل ، وكثيرون من الذين تجددوا فى « الصحوة الكبرى » انضموا لكنائس معمدانية ، إلا ان الكثير من الكنائس المعمدانية الجديدة لم تجد ترحيباً - كما ينبغى - من الجماعات القديمة الثابتة ، وتشكلت حركة جديدة للشركة بين المعمدانيين عُرفت باسم « الاتصال المعمدانى الجديد » وكان هذا تحت قيادة (دان تيلور) ، وكان أشهر المعمدانيين بلا منازع هو (تشارلس هادون سبرجن) وكان والده وجده من الوعاظ المستقلين ، وكان (سبرجن) قد تجدد وهو شاب يافع فى كنيسة تابعة لنهضة القداسة Methodist ، ودراسته الشخصية للكتاب المقدس

اقنعته بالميزات المعمدانية ، وبنى (سبرجن) كنيسة ضخمة فى لندن – كان من حظ المترجم أن زارها – وكانت أضخم كنيسة فى العالم فى ذلك الحين ، وأصبح (سبرجن) شخصية وطنية فى لندن ، وعظاته وتفسيراته كانت تطبع فى الصحف فى كل أنحاء العالم ، وبدأ كليته الخاصة لتدريب الخدام والرعاة ، وكان على الناس أن يذهبوا مبكرين ليجدوا مكانا فى كنيسته ، وكانت كنيسته تشتهر بضخامة حضورها ، إلا أن هناك جانباً هاماً فى خدمته يعلن عن شخصيته وموقفه العقائدى .

فى الوقت الذى أصبح فيه (سبرجن) مشهوراً بدأت تنمو حركة اختلافات عقائدية بين الرعاة فى الاتحاد المعمدانى ، فالبعض من الإنجليز المعمدانيين بدأ يأخذ موقفاً من الكتاب المقدس ووحيه ، بينما علم آخرون بالعمومية – أى أن كل الناس ستخلص فى وقت ما – وصارع (سبرجن) بصورة واضحة هذه البدع ، وكان يذكر معلمى هذه البدع بالاسم ، وبعد أن فشل الاتحاد المعمدانى فى إتخاذ موقف واضح فى هذا الأمر ، انسحب (سبرجن) من الجماعة ، وهاجمه عدد كبير من الاتحاد لكن موقف (سبرجن) الثابت برهنت الأيام على صحته ، فبعد خمسين سنة من قيام هذه الموجة من البدع التعليمية استولى العصريون بكل ما فيهم من فساد تعليمى على زمام الأمور فى

إنجلترا ، ولكن مازال المعمدانيون الإنجليز – وإن كانوا قلة – يتمسكون بأساسيات الإيمان المسيحى ، والميزات المعمدانية ، وعمل العصريين ما لم يستطع الإضطهاد أن يعمله ، وخفت صوت الشهادة المعمدانية فى إنجلترا .



(٢٥)

المعمدانيون والحركة المرسلية المعاصرة

« وبينما هم يخدمون ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما » أعمال ١٣ : ٢ و ٣ .

***

ولد وليم كارى فى عام ١٧٦١ فى بيت انجلكانى ولكنه حين وصل إلى سن السابعة عشر بدأ يحضر اجتماعات كنائس مستقلة ، وبعد ذلك تجدد ، وفى الحادية والعشرين من عمره بدأ يدرس لنفسه موضوع معمودية الأطفال ، وعزم على دراسة الموضوع حتى يتأكد مما يقوله الكتاب المقدس عن المعمودية ، وكانت النتيجة أنه اقتنع تماما بمعمودية المؤمنين ، وذهب إلى كنيسة معمدانية ليعتمد ، وعمده (جون رايلاند) راعى الكنيسة ، وسرعان ما فتح (كارى) مدرسة ، ثم أصبح راعياً معمدانياً ، وتثقل (وليم كارى) هو وبعض الرعاة المعمدانيين بضرورة الإرساليات وربح النفوس ، وبدأوا يعظون عن الحاجة

إلى الإرساليات فى جمع من الخدام المحليين ، وقوبلت عظاتهم بردود فعل مختلفة ، فالبعض عارض بشدة أى محاولة للإرساليات وذلك بسبب اعتقادهم القوى بالاختيار ، وأخرون ادركوا ان الكتاب أوصى بالكرازة وصمموا أن يكونوا مطيعين ، واكد (وليم كارى) أن عليهم أن يكونوا مستعدين للصلاة ، والتخطيط ، والتكلفة ، وتطوع (وليم كارى) و (جون توماس) وهو طبيب معمدانى - لأن يكونا أول مرسلين ، بينما قبل القس (اندرو فولر) أن يكون مسئولاً عن الناحية المالية لأول جمعية معمدانية للمرسلين ، وتعرض القس (اندرو فولر) للهجوم الشرس طول مدة حياته بسبب مجهوداته لتدبير المال للإرساليات ، وأصبح موضوع نقاش حاد بين شركائه من المعمدانيين ، إلا ان المرسلين الأوائل شهدوا مراراً أنه لولا مجهودات (فولر) لكان الأمر مصيره الفشل .

وكان نجاح (كارى وتوماس) نجاحاً ضئيلاً وغير ملموس فى السنوات الأولى لخدمتهما فى الهند ، فلم يكن الشعب الهندى متجاوباً مع رسالتهما ، كما أنه لم يكن يعرف شيئا عن الكتاب المقدس ، واضطر (توماس) إلى الذهاب لإنجلترا بسبب سوء صحته ، وانضم إلى (كارى) كل من (وليم وارد ، وجوشوا مارشمان) وكرّسوا مواهبهم لترجمة الكتاب المقدس

إلى البنغالية – وكانت اللغة السائدة فى الهند – وبحلول عام ١٨٠١ كانوا يوزعون العهد الجديد باللغة البنغالية ، وساعد (كارى) على ترجمة الكتاب المقدس إلى ٣٦ لهجة متميزة ، ومنها كل لهجة شائعة فى الهند ، ودعاه البعض باعظم لغوى فى عصره ، وكتب (جوشوا مارشمان) شعراً للاحتفال بنشر العهد الجديد بالبنغالية :

هيا أيها الكتاب الثمين الإلهى
الذى يضىء بأشعته المنيرة
نحن نقوم من الموت والخطية
ونرنم بحمد المخلص
وظلال الخطا ظلماء كالليل
تختفى أمام نورك الساطع
الآن سيتعلم الهنود
أمجاد مليكنا المجيد
ولن يتجهوا إلى الكهنة العميان
ولا يسبحوا آلهة الأوثان
فأنت تشع بنور السماء حولك
وهذا الكتاب سيسكت صوت الأوثان
تنازل أيها المخلص العظيم
وابتسم على كلمتك

ودع الملايين تحصل على
خلاص من رب الخلاص
ولا تسمح أن يقف الغزو المتنامى
حتى تهلل الأرض وهى تميل إليك

والعمل المرسلى المعمدانى فى الهند الذى لم يشاهد إلا معمودية واحدة على مدى السبع سنوات الأولى ، بدأ الآن يزدهر ، وتجدد الآلاف بالفعل ، واعتمد أكثر من ألفى شخص آخر فى أحد واحد ، وحصل أحد القرويين على نسخة من العهد الجديد ، وبعد ثلاث سنوات قدم عدد من الهنود القرويين أنفسهم لكارى سائلين « كيف نحصل على ثمار موت المسيح ؟» وآمن عدد من القرويين وسرعان ما اعتمدوا ، وتجدد عدد من الكهنة الهنود وأصبحوا وعاظاً معمدانيين ، وكان على (كارى) أن يحتمل الكثير من الصعاب وهو يخدم المسيح فى الهند ، فبعد وصوله إلى الهند بمدة قصيرة أصيبت زوجته بمرض عضال لم تُشفى منه أبداً ، وفى عام ١٨١٢ اشتعلت النار فى آلات الطباعة بالإرسالية وحطمتها ، كما ضيعت سنين من عمل (كارى) اللغوى ، وعاد ليعمل ثانية ما أحرقته النار .

وبعد موت (أندرو فولر) توقفت جمعية الإرساليات بإنجلترا عن خدماتها للمرسلين ، وطالبت بالسيطرة على نشاطاتهم ، لكن (كارى) وزملاءه رفضوا هذا ، وأرسل هذه الرسالة إلى

الجمعية : « إننا لن نوافق أن نضع سلطة على أنفسنا ، ولا أن نضع أمورنا بين يدى جماعة تعيش على بعد ربع الكرة الأرضية ، وسوف نستمر فى عملنا غير خاضعين لأى سيطرة إلا سيطرة كلمة الله المقدسة » .

وكان (لكارى) وزملائه تأثيرقوى وإيجابى على الهند (فى وقت كان صعباً جداً على الامبراطورية البريطانية) حتى ان البرلمان الإنجليزى كال لهم المديح .

وفى عام ١٨١٢ أبحر أحد المرسلين التابعين لحركة الإصلاح إلى الهند ، وكان اسمه (أدونيرام جودسون) وكان هذا المرسل كأنه معين للقيام بعمل مثير ومثمر فى الخدمة المسيحية ، وكان ينتظر هو وزوجته زميلاً لهما سوف يلحق بهما ، وكان اسمه (لوثرريس) ، أما (جودسون) فكان يتطلع إلى مقابلة (وليم كارى) الذى ذاعت شهرته ، وبدأ (جودسون) دراسة مكثفة لمعمودية الأطفال حتى يدافع عنها أمام كارى المعمدانى إلا ان دراسته الكتابية أرغمته أن يعترف بأن المعمدانيين على حق ، وأجتاز (لوثر) ظروفاً مثيرة فى رحلته إلى الهند ، وأدهش (جودسون ولوثر) (كارى) وزملاءه وهما يطلبان تعميدهما بمعمودية المؤمنين فى الكنيسة المعمدانية فى كالكتا بالهند ، وأخبر (جودسون ولوثر) الجماعة التى تمولهما بتغيير موقفهما من المعمودية ، وفى الحال قُطعت المساعدة المالية ،

ورفضت الحكومة البريطانية أن تسمح لمرسلين أمريكيين بالتواجد فى الهند ، وهكذا تقرر أن يبدأ (جودسون) عملاً مرسليا فى بورما ، وأن يعود (ريس) إلى الولايات المتحدة ويعمل على جمع المساعدات من أجل الإرساليات .

وكان عدد المجددين من خدمة (جودسون) وزوجته قليلا فى السنوات الأولى ، ولكن بحلول عام ١٨٢٣ ترجم العهد الجديد إلى اللغة البورمية ، ولحق مرسلون أخرون به ، وتكاثر عدد المجددين وعدد المعمدين ، وبدأ عدد من الكنائس ، وبحلول عام ١٨٣٢ كرس (جودسون) نفسه للترجمة وبناء كلية لاهوت لتخريج خدام بورميين ، وتحمل (جودسون) وزملاؤه الكثير من المتاعب المادية ، وفترات من الإضطهاد الحكومى ، وفى الولايات المتحدة كان (لوثر) يبذل جهده فى تنظيم العمل المرسلى المعمدانى ، وأثرت كتاباته ، ووعظه وقدرته على التنظيم فى كنائس معمدانية عديدة لكى تعمل معاً على إنعاش العمل المرسلى ، وهذا قاد إلى تشكيل الموتمر المعمدانى العام للإرساليات ، وكان أول رئيس له قائداً معمدانيا هاما من (سوث كارولينا) هو (ريتشارد فيرمان) ، وكان غرض المؤتمر مساعدة المرسلين المعمدانيين فى أنحاء العالم ، وتحمل المؤتمر مسئولية عمل (جودسون) فى بورما ، وأسندوا إلى (اسحق ماكوى) الذهاب كمرسل إلى الهنود الأمريكيين ، ووصل

(ماكوى) إلى نتائج باهرة ، ولم يتبعه كثيرون من المعمدانيين للخدمة بين الهنود .

قاد (جودسون) واحداً من قبيلة كارن – التى تعيش فى تلال بورما – للمسيح ، وكان ذلك الرجل رئيسا لعصابة ، كما كان قاتلاً ولصاً ، وكانت عصابته تتكون من أكثر من ٣٠ شخصاً ، وهذا الرجل (كو – ثاه – بيو) كرس نفسه لدراسة الكتاب المقدس وجذب مئات من أفراد قبيلة كارن إلى المدينة ليسمعوا المرسلين المعمدانيين الجدد وهما (جورج وسارة بوردمان) وهذا دفع إلى إرسال مرسلين إلى كارن ، وسرعان ما اعتمد آلاف منهم ، وانتشرت الرسالة قبل وصول المرسلين ، وحين وصل المرسلون المعمدانيون الأوائل إلى منطقة باسين وجدوا خمسة آلاف مجدداً مستعدين لمعمودية المؤمنين ، وبسرعة ذهب مرسلون من كارن ومن الأمريكيين إلى قبائل الكاشين فى شمال بورما ، وكان الحصاد أكثر من ربع مليون شخص انضموا للمسيح على مدار ٩٠ سنة .

وطلب الشعب فى لاهو – يعيشون فى تلال بورما – كما طلب الشعب فى الصين ولاوس وتايلاند أن يرسل المعمدانيون مرسلين لهم ، ومن عام ١٨٩٠ إلى عام ١٩٣٦ كان يعتمد من شعب لاهو أكثر من ألفى شخص كل سنة ، ومن المعمدانيين

المرسلين المعروفين والمشتركين فى هذه الحركة (وليم يونج) وأصبح جنوب شرق آسيا منطقة استراتيجية لا تساع رقعة الإرسالية المسيحية فى كل أنحاء آسيا .

والإرساليات المعمدانية وجدت أبطالاً يعملون بين الأمريكان السود – الزنوج – حتى لو كانوا مضطرين أن يخدموا كعبيد وكان (جورج لسل) عبداً حرره مالكه لكى يكون واعظا ، وكان أول خادم معمدانى مرتسم من الزنوج فى أمريكا ، وفى عام ١٧٧٨ بدأ كنيسة معمدانية للسود فى سافانا بولاية جورجيا ، وفى عام ١٧٨٣ رحل إلى جمايكا حيث بدأ كنيسة معمدانية ، وعمّد ٥٠٠ ممن خلصوا على مدار عشر سنوات .

وعبد آخر تحرر هو (لون كارى) وكان قد سُمح له أن يكسب المال الذى يدفعه ثمنا لحريته بعد أن تجدد وأُعطى تصريحا بالوعظ ، وارتحل مع المستعمرين الأصليين من ليبريا ، وأسس الكنيسة المعمدانية الأولى فى مانروفيا عاصمة ليبريا .

وبدأ مؤتمر الإرساليات المعمدانى فى تعضيد مدارس اللاهوت ، وكليات الكتاب المقدس ، والرعاة ، ومدارس الأحد ، وانشغل بجمع المال لكل هذه النشاطات .



(٢٦)

المعمدانيون وحركة العصمة*

« أيها الأحباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك اضطررت أن أكتب إليكم واعظا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين . لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة فجّار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح » يهوذا ٣ و ٤ .

***

تحديات العصرية المبكرة للحركة المعمدانية كان نجاحها ضئيلا ، إلا أن قضية العصرية قامت بمحاولات متكررة فى

* حركة العصمة Fundamentalism هى مذهب العصمة الحرفية لوحى الكتاب المقدس وقد قامت فى القرن العشرين ، وهى تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من كل خطأ لا فى العقيدة والسلوك فحسب بل أيضا فى كل ما يتعلق بالتاريخ - كقصة الخلق ، وولادة المسيح من عذراء ، وعودته ثانية إلى الأرض ، والقيامة .. ويشرف المترجم أنه عضو فى هذه الجماعة العالمية المدافعة عن كلمة الله .

الكليات المعمدانية ، وسرعان ما نتج عن هذا ثلاثة اتجاهات :

◆ الذين تمسكوا بوضوح بالعقائد التاريخية للإيمان المسيحى ، وأصروا على هذه الحقائق الأساسية لقيام أى علاقة ، وهؤلاء دعوهم « المتمسكون بالعصمة الكتابية » Fundamentalists والحقائق التى اعتبروها معصومة وثابتة هى : كمال الكتاب المقدس وعصمته من كل خطأ أو تحريف ، وألوهية المسيح ، والثالوث ، والولادة من عذراء ، والكفارة ، وقيامة المسيح بالجسد ، والمجىء الثانى للمسيح ، وكثيرون من المعمدانيين اعتبروا « الملك الألفى » الحرفى من العقائد الصحيحة ، ويعتقد كل المعمدانيين (الكتابيين) أن العصريين لهم الحق أن يعلّموا كيف شاءوا (الحرية الدينية) ولكنهم رفضوا أن يفعلوا هذا فى المدارس والكليات المعمدانية كما يعتقدون أن أى مؤتمرات أو تنظيمات معمدانية ينبغى أن تأخذ قرارات واضحة تغطى أساسيات الإيمان المسيحى والمميزات المعمدانية ، وأن يرفضوا - بل ويطردوا - العصريين .

◆ إتجاه العصريين أنفسهم : والعصريون « يشعرون » أن الكتاب المقدس ليس ذا سلطة ، وبناء عليه تكون كل الأفكار والمبادئ نسبية ، ودائما يدّعون أن عقائد المعمدانيين عن حرية

النفس ، وكهنوت كل المؤمنين أعطتهم الحق لأن يعلّموا بأى شىء يستحسنونه ومع ذلك يستمرون معمدانيين بحق !! .

❖ والاتجاه الاخر لمن يدّعون « الوسطية » هو أنهم يؤمنون بالعقائد الأساسية ولكنهم يعارضون فكرة وجود قرار عقائدى كأساس للشركة ، ويعتقدون أنه حيث يوجد الخطأ مع الصواب فلابد للصواب أن ينتصر فى النهاية ، كما « يشعرون » أن تمسكهم بالوحدة السياسية داخل منظماتهم أهم من تمسكهم بطهارة العقيدة .

وبدأ الصراع ، ومن عام ١٩١٠ - ١٩١٥ كان الصراع أيضا بين نهضة القداسة والمشيخيين ، واللوثريين ، والأسقفيين ، كما كان بين المعمدانيين ، وقاد رعاة مرموقون المعمدانيين الكتابيين - وكان هؤلاء القادة رعاة لكنائس كبيرة مثل : (وليم بل رايلى) ، (ا . م . هالدمان) ، (جون د. ستراتون) (ت . ن . شيلدز) وثارت المعركة داخل المؤتمر المعمدانى الشمالى ، والمؤتمر المعمدانى الجنوبى ، والمؤتمر المعمدانى الوطنى والمؤتمر المعمدانى الكندى ، وقام صراع للسيطرة على المنظمات الإرسالية ، والكليات ، ومدارس اللاهوت ، والسؤال الذى واجه المتمسكين بالعصمة الكتابية هو : لأى مدى ينبغى أن يصارع لتأسيس وترسيخ موقفاً عقائديا وقوياً قبل أن يستسلموا

وينسحبوا من هذه المؤتمرات ، وهذا السؤال لم يجدوا له إجابة نهائية قاطعة .

وكانت اول كنيسة تترك مؤتمرا إحتجاجاً على العصرية هى (الكنيسة المعمدانية بويلثى ستريت) فى جراند رابتز بولاية ميتشيجان عام ١٩٠٩ ، هذه الكنيسة تركت المؤتمر المعمدانى الجنوبى لأنه لم يأخذ موقفاً عقائديا واضحا فى كلياته ، ومازال السؤال قائما ، وبعد مرور أكثر من ٩٠ سنة مازالت كنائس تترك طوائفها احتجاجا على تأثير العصرية .

وكوّن المتمسكون بالأساسيات المسيحية الاتحاد الكتابى المعمدانى تحت قيادة (ت . ت . شيلدز) وكان غرضه الواضح هو مكافحة العصرية على كل الأصعدة وفى جميع المجالات ، وساعد الاتحاد على تأسيس كلية لاهوت جديدة ، وفُتحت ساحة للمعمدانيين الكتابيين ، ولعدة سنوات عمل الاتحاد الكتابى المعمدانى على أن يتمكن المعمدانيون المتمسكون بالعصمة الكتابية أن يعملوا مع أى مؤتمرات أخرى ضد العصريين .

وأخيراً لجأ أحد المؤتمرات إلى القضاء ليمنع الدكتور (جورج بورتر) راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى برنستون بولاية انديانا من الإنسحاب من المؤتمر احتجاجا على العصرية ، وحين فشلت هذه الخطة وقفت المحكمة إلى جوار حقوق الكنيسة ،

وهيُء المسرح لانسحابات ضخمة من المؤتمرات الرئيسية .

وفى عام ١٩٣٣ تركت خمسون كنيسة المؤتمر المعمدانى الجنوبى وشكلت الاتحاد العام للكنائس المعمدانية ، وأصبح (روبرت كيتشام) قائدا قويا داخل الاتحاد ، وقاد تأثيره إلى قرارين مهمين ، أولا : إن المنظمة الجديدة لن تكون على شكل مؤتمر ولكن على شكل تضامن ، وهذا جعل من الصعب على أى تنظيم مركزى أن يتداخل فى استقلال الكنائس الأعضاء ، ثانيا : لا يُسمح لكنيسة أن تحتفظ بعضويتها فى كلا التنظيمين فى وقت واحد ، وكان القصد من هذا الاحتفاظ بصورة واضحة للاعتزال فى التضامن الجديد ، وتحسنت حال العديد من الكليات ، وتشكل عدد من الإرساليات ، واستمر الاتحاد العام للكنائس المعمدانية ينمو عاما بعد عام إذ انسحبت كنائس عديدة من المؤتمرات الأخرى ، ومن المحال أن نتكلم عن المعمدانيين المتمسكين بعصمة الكتاب دون أن نذكر (ج . فرانك نوريس) فقد كان واعظا متدفقاً من الطراز الأول ، ومتحدث لبق ضد العصرية ، كما كان مؤسس كنائس مرموقاً ، وطريقة بنائه لكنيسته – روحيا – أثرت فى جيل من الوعاظ ينحج وسط المناقشات العقائدية ، وكان مشغولاً بالصراع مع الكاثوليكية ، ومع تجارة الخمور ، ومع أصحاب نظرية التطور ، ومع

العصريين فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى ... الخ ، وأتُهم بالحريق عمداً كما اتُهم بالقتل .. لكن المحاكم برأته من كل تهمة ، وخاض (نوريس) معركة قوية وعلنية مع المؤتمر المعمدانى الجنوبى بوجه عام ، والمؤتمر المحلى فى تكساس بوجه خاص ، وقضى حياته فى مكافحة العصرية ، وشكل الوحدة العالمية للمعمدانيين ، وسرعان ما انضم إليه الكثير من الكنائس التى تركت المؤتمر الجنوبى المعمدانى ، وفى عام ١٩٣٤ كان (نوريس) راعيا لأكبر كنيسة معمدانية تزدحم بالحضور فى الولايات المتحدة (الكنيسة المعمدانية الأولى) فى فورت ورث ، ورضى أن يكون راعيا للكنيسة المعمدانية فى دترويت بولاية ميتسيجان ورغم أن الكنيستين كانتا بعيدتين الواحدة عن الأخرى مسافة ١٣٠٠ ميلاً فقد كانت كنيسة ديترويت خلال ثلاث سنوات أكبر ثانى كنيسة فى البلاد ، وبالإضافة إلى رعاية الكنيستين أسس (نوريس) كلية اللاهوت المعمدانية فى كنيسة فورت ورث ، وقام اتحاد الكتاب المقدس المعمدانى عام ١٩٥٠ ، واشتهر هذا الاتحاد بنشاطه فى تأسيس الكنائس ، وأصبح هذا الاتحاد أكبر منظمة للمتمسكين بعصمة الكتاب والمميزات المعمدانية فى العالم .

واشتد ساعد المعمدانيين وقامت جماعات عديدة تعلن

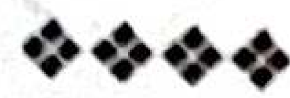
تمسكها الكامل بالكتاب المقدس ، وخاضت هذه الجماعات معارك كتابية لا حصر لها مؤكدة عصمة الكتاب ، ومدافعة عن كل حرف فيه ، ونادت بالاعتزال التعليمى .. الأمر الذى لم يكن معروفاً إلا عند هذه الجماعات المعمدانية .

وقام تشكيل باسم (الكرازة الجديدة) وكان المتكلم باسم هذه الحركة - التى تسمح بالشركة مع العصريين وغيرهم - هو الواعظ المشهور (بيلى جراهام) الذى كان يعقد اجتماعات وحملات كبيرة بمساندة العصريين ، ولم يكن غريباً أن ترى العصريين ، والكاثوليك ، والسبتيين ، والكرزماتيك وغيرهم متحدين فى اجتماعات (بيلى جراهام) .

وهذه الفلسفة - العرجاء - أثارت عدة تساؤلات للمعمدانيين : هل يجوز للمعمدانى الاشتراك فى مثل هذه البرامج ؟ وإذا رفض كما فعل المتمسكون من المعمدانيين بالحق الكتابى ، هل يجوز له الشركة مع الذين اشتركوا فى مثل هذه الحملات الكرازية ؟ .

وتكلم الواعظ الأشهر (جون ر . ريس) ضد حملات الكرازة الجديدة ، ونشر وحرر مجلة منتشرة عالميا هى (سيف الرب Sword of the lord) وهذه المجلة الأسبوعية كان لها - ومازال - تأثيرها الضخم فى الحركة المعمدانية الكتابية .

ولم تستطع العصرية أن تحقق نجاحاً فى الولايات المتحدة كما حققته فى أوروبا وكندا ، وسيطرت الحركة العصرية على كثير من المؤتمرات ، ولكن مازالت المعركة قائمة فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى بين المحافظين الكتابيين من المعمدانيين والعصريين .



(٢٧)

تطورات معمدانية

« مكتئبين فى كل شىء لكن غير متضايقين ، متحيرين لكن غير يائسين ، مضطهدين لكن غير متروكين . مطروحين لكن غير هالكين . حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضا فى جسدنا » ٢ كورنثوس ٤ : ٨ - ١٠ .

***

كنائس السود - الزنوج - المعمدانية فى الولايات المتحدة تحتاج لوقفة خاصة ، فمن البداية كان رد فعل الكنائس المعمدانية للعبودية والعبيد موضوعاً للمناقشة ، ففى الكنيسة التى كان يرعاها (روجر وليمز) كان يوجد أعضاء من العبيد السود ، وبعض الكنائس سمحت بعضوية السود كأى أناس أحرار ، وبعض كنائس البيض بدأت كنائس منفصلة للسود ، والكثير من المزارع الكبرى كان لها كنائسها الخاصة ، بينما - مع الأسف - أهملت بعض الكنائس السود بالكلية .

ولكن ظهر أن المعمدانيين لهم نجاح خاص مع الشعب

الأسود ، وربما كان للأفكار المعمدانية عن حرية النفس والفرد ، والحرية الدينية تأثير خاص على الذين كانوا يدركون كل يوم معنى أن لا تكون حراً ، ومن المؤكد أن المعمدانيين انفقوا مبالغ طائلة فى خدمة السود أكثر من أى إجتماعات أخرى ، والحركة المعمدانية استمرت تنمو بين السود فى أمريكا حتى قامت ثورة (تيرنر) ، وكان (نات تيرنر) واعظا معمدانيا من السود قاد جماعة من العبيد فى ثورة مسلحة ، وكان منطقه انه طالما يعظ بالميزات المعمدانية فهذا يعنى الحرية للجميع ، ولكنه اخطأ حين ظن انه يستطيع أن يقود السود فى ثورة منظمة ، وأن البيض فى الولايات المتحدة الشمالية وأوروبا سوف يتعاطفون معه ، وتخيل - بغباء - أن الله والإنسان سوف يتغاضيا عن أعمال العنف التى تُرتكب باسم الحرية ، وسُحقت ثورته بعد أن تسببت فى موت أكثر من ثلاثين من البيض ، وتسبب هذا بدوره فى رد فعل سىء تجاه كنائس السود المعمدانية فى كل انحاء الجنوب ، وهرب الكثيرون من السود إلى الشمال بحثاً عن الحرية فى كندا ، وكان عدد كبير من الهاربين من المعمدانيين ، وقد ساعدهم الشماليون على الرحيل إلى كندا فيما يسمى « سكك حديد الأنفاق » ، وفى إنديانا كان الذين اشتركوا فى حركة تهريب السود كلهم من المعمدانيين ، فقد شعروا بالتزام تجاه

أخوة وأخوات فى المسيح ، ونتج عن هذا قيام عدد كبير من كنائس السود المعمدانية فى كندا .

وبعد الحرب الأهلية تشكلت عدة اتحادات وقامت مؤتمرات وإرساليات ، وبحلول عام ١٩١٥ انقسمت هذه الحركات إلى معسكرين يدّعى كل منهما أنه الاتحاد المعمدانى الوطنى الصحيح ، ثم قام إتحاد آخر ومهم للسود الذين كانوا تواقين إلى تأكيد أكبر على الحرية الاجتماعية ، ووجد العصريون وأصحاب فكرة الإنجيل الاجتماعى طرقاً للتسلل إلى الاتحادات السوداء ، وكان من القيادات المعروفة بين المعمدانيين السود (مارتن لوثر كنج) و (جيسى جاكسون) وكان تركيزهما الأولى على الشكل السياسى والاجتماعى ، واغتيل (كنج) عام ١٩٦٨ ، وعُرف (جاكسون) بمكانته المرموقة فى الحزب الديمقراطى ، وكان مرشحاً لرياسة الولايات المتحدة فى أوائل عام ١٩٨٨ .

وبينما نجح العصريون فى إحراز نجاح كبير فى المنظمات المعمدانية للسود ، إلا أن كنائس كثيرة من كنائس السود المعمدانية وكذلك من الأفراد استمروا متمسكين بالمميزات المعمدانية ، والعصمة الكتابية ، والإيمان المسيحى التاريخى .

ولأننا لم نعد نسمع إلا النادر القليل عن الشهداء المعمدانيين

فى الدنية الغربية ، فمن السهل علينا أن ننسى أن كثيرين من المعمدانيين مازالوا يدفعون ثمن إيمانهم بدمائهم ، ومن المحتمل أن يكون عدد من قُتل من المعمدانيين فى القرن العشرين أكثر مما قُتل فى أى وقت آخر .

كانت الانسة (لوتى مون) مرسلة معمدانية فى الصين لمدة ٤٠ سنة ، وأثناء المجاعة الكبرى فى الصين بين عامى ١٩١١ ، ١٩١٢ رفضت أن تأكل بينما يتضور كثيرون من الصينيين جوعاً ، وانتهت بأن ماتت جوعاً ، وفى كل مؤتمر سنوى يتذكرها المجتمعون ، وحين يجمعون العطايا باسمها من أجل العمل المرسلى .

كان فى الصين الكثيرون من المسيحيين ، وتشكل عدد من الكنائس المعمدانية هناك ، ونظموا اتحادهم الخاص ، وبنوا جامعتهم الخاصة ، وخلال ثورة البوكسر (الصينيون المعارضون لأى وجود أجنبى فى الصين) قُتل عدد كبير من المرسلين ، واحترقت كنائس معمدانية ، وعدد من الصينيين المعمدانيين ضربوا ونُهبوا بواسطة البوكسر ، وكان هذا بمثابة نكسة للقضية المسيحية فى الصين .

بعد ثورة البوكسر قامت الثورة الشيوعية فى الصين ، واغتال الشيوعيون الرعاة المسيحيين وأحرقوا كنائسهم ، وتاثر

عدد آخر من الكنائس المعمدانية ، وبعد غزو اليابان للصين أعلن الصينيون هدنة غير مستقرة ، وأُرغم المرسلون على ترك المناطق الصينية التى احتلها اليابانيون ، وبعد أن دخلت الولايات المتحدة الحرب قُبض على المرسلين الأمريكيين وسجنوا ، ورفض الصينيون المعمدانيون الحكومة اليابانية ، وقُتل منهم كثيرون ، وأُعدم الدكتور (هرمان ليو) رئيس الجامعة المعمدانية فى حديقة منزله ، وأُغلقت الكنائس المعمدانية فى المناطق المحتلة ، وكانت هذه هى الموجة الثالثة من الاضطهاد فى أقل من ٣٠ سنة ، وما خفى كان أعظم ، فبعد الحرب قامت الثورة الشيوعية وقُتل (جون بيرس) المرسل المعمدانى الأمريكى بيد الشيوعيين ، وبعد سيطرة الشيوعيين على الصين طُرد معظم المرسلين ، والآخرون اختفوا دون أن يُسمع عنهم ثانية ، ومات الدكتور (بل ولاس) وهو مرسل معمدانى فى سجن شيوعى ، وادعى الصينيون الحمر - الشيوعيون - أنه انتحر !! .

وأُغلقت كنائس معمدانية عديدة فى الصين ، وقُتل الكثيرون من المسيحيين (يقدر عدد الذين قتلوا فى الصين بالملايين) وسُمح للجامعة المعمدانية أن تستمر فى عملها ، ولكن رئيسها (هنرى ليو) قُبض عليه ثانية ومات فى سجن شيوعى عام ١٩٦٠ ، وبالرغم من الاضطهاد والاغتيالات بالجملة مازالت

كنائس الكرازة موجودة فى الصين ، كما يجتمع كثيرون من الصينيين المعمدانيين فى الجبال والمناطق الصحراوية بطول الشاطىء الجنوبى للصين ، واليوم تدّعى الصين أنها أعادت الحرية الدينية إلا أنها محدودة جداً ، ومسموح للمسيحيين أن يعبدوا بحرية فى بعض مناطق من الصين (عادة المناطق التى يقصدها عدد كبير من السياح) ولكن فى مناطق أخرى تجد نفس الاظطهاد الماضى موجوداً ، واغلب المسيحيين المؤمنين يجتمعون سراً فى البيوت للعبادة .

والعدد الضخم من المعمدانيين فى بورما - بلد أدونيرام جودسون - قلّ أثناء قيام ثورة ضد الحكومة فى بورما ، وحاولت قبائل التلال حيث كان معظم المعمدانيين أن يؤسسوا ولاية مستقلة ولكنهم هُزموا ، واليوم بورما مغلقة فى وجه المرسلين الأمريكيين ، ولكن مازال يوجد أكثر من ٣٠٠ ألف اجتماع معمدانى فى بورما .

وفى أنحاء آسيا نشأت معظم الكنائس المعمدانية عن طريق نشاط مرسلى حديث العهد ، وفى كوريا الجنوبية وبعض مناطق الفلبين نجد النجاح حليف المعمدانيين بنوع خاص .

ويقال أن أكبر الكنائس المعمدانية فى العالم موجودة فى كوريا الجنوبية ، وأصبح الدكتور (نيجوأولس) - طبيب

ومرسل معمدانى – معروفاً بنجاحه الكبير فى بنجلاديش – فى خدمته الطبية والمسيحية .

أما فى الشرق الأوسط فمعظم البلدان مغلقة أمام المرسلين إلا أن الشهادة المعمدانية موجودة فى لبنان والأردن ومصر ، وكان الملك حسين – رحمه الله – يُرسل أولاده ليتلقوا تعليمهم فى مدارس معمدانية ، كما توجد عدة كنائس معمدانية فى مصر ، وقد بدأ القس وديع ميخائيل الكنيسة المعمدانية بالاسكندرية عام ١٩٦٣ ، وأصبحت الكنيسة المعمدانية معروفة فى أنحاء الجمهورية عن طريق النشاط الطباعى الكبير والواسع الانتشار الذى يقوم به القس وديع ميخائيل ، وقد انتشرت كتاباته التى تزيد على ١٥٥ كتاباً وكتيباً فى مواضيع عقائدية وتعليمية مختلفة ، وقد أسس أيضا مجلة « كلمة الحق » التى ينشر فيها أراءه الجريئة من الناحية التعليمية ، وقد أثرت كتاباته مع المجلة تأثيراً ملموساً إذ أنها تصل إلى معظم مدن جمهورية مصر فى الوجهين القبلى والبحرى ، وقد بدأ « المعهد الشرقى للكتاب المقدس » منذ عام ١٩٦٨ ، ووصل عدد المشتركين فى الدراسة أكثر من ٥٨ ألفا يزدادون بمعدل المائة فى كل شهر ، كما كتب وطبع العديد من النبذ الخلاصية والتعليمية لا يقل عدد ما طبع منها عن مليونين ، وكانت سبباً فى خلاص نفوس كثيرة ، كما

كانت سبباً فى تصحيح موقف الكثيرين للمفهوم الكتابى والعقائدى ، وعُرفت – بل اشتهرت – الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى فى كل أنحاء الجمهورية رغم كل ما لاقاه القس وديع من محاربات طائفية وغير طائفية ، لكن الكنيسة قامت ثم حصلت على تصريح جمهورى فى عهد الرئيس حسنى مبارك ، ولا ننس أن نذكر مساندة القس ڤيكتور صدقة راعى الكنيسة المعمدانية فى بيروت / لبنان للعمل فى مصر بشكل مؤثر .

وفى أفريقيا ، معظم الكنائس المعمدانية كانت ثمراً لجهودات المرسلين المعمدانيين من أمريكيين وإنجليز عبر السنوات المائة الماضية ، إلا أن المعمدانيين الأفارقة يُضيق عليهم فى بعض الدول الأفريقية وخاصة التى يحكمها نظام شيوعى ، وقد فرح الكثيرون من المرسلين حين أصبح (نجارتاتو مبلباى) أول رئيس لتشاد فقد كان عضواً فى كنيسة معمدانية ، وقد عمل كمدرس فى مدرسة معمدانية يديرها مرسلون ، إلا أنه تحول بعد ذلك إلى ديكتاتور وحاول أن يرغم (يوندو) وهى قبيلة بدائية متدينة على أن تكون هى الكنيسة الرسمية ، وبدأ فى الحال فى إضطهاد المعمدانيين الذين رفضوا أن يتعاونوا معه ، وأخيراً أرغم كل المرسلين المعمدانيين على ترك البلاد ، وقتل الكثيرين من الأهالى المؤمنين ، وعذب آخرين بعذابات رهيبة ،

وفى النهاية اغتيل وسُمح للمرسلين بالعودة ، وخلال السنوات المائة الماضية قُتل مسيحيون كثيرون أثناء الاضطهادات مثل تلك التى حدثت فى تشاد .

وبعض البلدان الأفريقية استمرت مفتوحة للعمل المرسلى مثل : ليبريا ، وسيراليون ، وكينيا ، وكلها يوجد فيها عمل معمدانى ثابت ، وفى انجولا قامت ثورتان ضد الحكومة الشيوعية قاد إحداها (هولدن روبرتس) واعدمت الحكومة الشيوعية فى انجولا عدداً من المعمدانيين ومن الأخوة البليموث وبعض الرعاة .. من أجل إيمانهم ، وفى ملاوى قام الأهالى المعمدانيون وقلبوا الحكومة الأوروبية ، وأقاموا حكومة من الأهالى السود ، وفى زمبابوى (روديسيا سابقا) سيطر الشيوعيون على الثورة ، وكان المعمدانيون أهدافا للعصابات الشيوعية ، وقتلوا أحد المرسلين الأمريكيين .

وفى كوبا كان المعمدانيون ناجحين جداً إلى أن قامت الثورة الشيوعية بقيادة فيدل كاسترو ، وبحلول عام ١٩٦٥ قُبض على رعاة الكنائس فى كوبا ، وطُرد أغلب المرسلين المعمدانيين من البلاد ، وسُجن (دافيد فايت) و (هربرت كوديل) وأُطلق سراحهما بعد أربع سنوات نتيجة ضغوط دولية على حكومة كاسترو ، وأُطلق سراح بعض الرعاة المعمدانيين ، وسُمح

ببعض النشاطات الكنسية .

وفى هايتى يوجد الكثير من الأعمال المعمدانية ، وكان واحد من الذين ساعدوا على خلع (بابادوك دوفيليه) معمدانياً ، ولكن الاضطرابات الحالية فى هايتى تركت موقف المعمدانيين فى خطر ، والمعمدانيون نشيطون جداً فى جمهورية الدومينيكان حيث قُتل اثنان من المرسلين (بول ونانسى بوتر) بواسطة بعض الارهابيين عام ١٩٧١ .

وأول المرسلين المعمدانيين ذهبوا إلى المكسيك عام ١٨٦٠ ، وقُتل أحدهم وهو (جون ستراب) بواسطة متطرفين كاثوليك ، وفُتحت مناطق كثيرة للمعمدانيين فى المكسيك ، وكثيرون من المرسلين يعملون هناك ، ومعظم بلاد أمريكا الوسطى مفتوحة أمام المرسلين ، وفى تلك المنطقة يوجد عديد من المرسلين المعمدانيين ، وفى نيكارجوا الماركسية طُرد معظم المرسلين ، وكثير من الرعاة ضُيق عليهم الخناق ، والكنائس المعمدانية فى جنوب أمريكا هى ثمر النشاط المرسلى فى القرن الماضى ، وغالباً ما كانت الحكومات الكاثوليكية تُضيق الخناق على المعمدانيين إلا انهم كانوا يسمحون لهم بالعمل ، ولا يخفى أن أكبر عدد من الشهداء المعمدانيين فى القرن العشرين كان فى روسيا السوفياتية ، فبعد أربع سنوات من الثورة السوفياتية ،

ساند لينين الحرية الدينية ، إلا أنه سرعان ما بدأ إضطهادا نتج عنه إعدام الملايين لأسباب دينية خلال ثلاثين سنة من قيام الثورة ، وطُرد الواعظ المعمدانى البارز (كورنليوس مارتينز) من البلاد بعد أن صار مشهوراً ، وبعد الحرب العالمية الثانية أعدم السوفييت الكثيرين من المعمدانيين فى كل أنحاء أوروبا الشرقية ، وطُرد (جورج فينز) من روسيا – وهو راعى معمدانى – وأصبح مدافعاً عالميا عن المعمدانيين المضطهدين فى روسيا .

ومنذ انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى والعديد من بلدان الكتلة الشرقية قام العديد من المعمدانيين برحلات مرسلية قادت إلى رجوع الآلاف العديدة إلى المسيح ، كما وُزعت ملايين من نسخ الكتاب المقدس ، وكثيرون من المعمدانيين الأمناء للعصمة الكتابية يذهبون إلى بلدان أوروبا الشرقية .

◆◆◆◆

(٢٨)

الامتداد المعمدانى

الاهتمام بالثقافة المسيحية وتأسيس الكنائس

« ولكننى لست أحتسب لشىء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله » أعمال ٢٠ : ٢٤ .

***

فى الثلاثين سنة الماضية اشتهر المعمدانيون بقدرتهم على بناء الكنائس الكبيرة ، ولهذا لم يعدُ ينظر إلى الكنيسة التى تسع عدة مئات على أنها كنيسة كبيرة ، فالكنيسة الكبيرة اليوم هى التى تسع عدة آلاف ، وهناك عوامل ساعدت على بناء الكنائس الكبيرة ، والمثل الأعلى هو كنيسة (تشارلس هادون سبرجن) فى إنجلترا ، ولا شك أنها كانت ذات تأثير كبير على المعمدانيين فى أمريكا ، والأعداد الكبيرة التى أجتذبها (سبرجن) غيرّت مساحة خدمته ، وأصبح مدافعا وطنيا لقضية المسيح ، وكان السياسيون يهتمون برأيه ، والكثير من القضايا سعت إلى

اهتمامه ومساندته ، وكان الشعب يلاحظ كل ما تفعله كنيسته ، واجتماع عدة آلاف فى كنيسة واحدة أكد أن تأثيرها أكثر من اجتماع نفس العدد فى عدد من الكنائس المتباعدة ، وكانت كنيسة (سبرجن) من الضخامة حتى كان يمكن لها أن تساند كلية ، وفى الولايات المتحدة أقامت الجماعة المعمدانية فى الجنوب كنائس ضخمة متسعة كما فى تكساس ، وكانت تؤكد على الكرازة المركزة ، وكان (جورج و.تروت) راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى دالاس بولاية تكساس من الوعاظ والقادة المقتدرين فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى ، وكان معروفا بمساعدته لجماعات عديدة فى البناء ، وخلفه فى الكنيسة (و . أ . كريزويل) الذى استمر يبنى الكنيسة حتى أصبحت أكبر كنيسة فى الولايات المتحدة ، كما استمر قائدا فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى .

لقد سبق وذكرنا (ج . فرانك نوريس) الذى كان مقتدراً فى النقاش العقائدى ، كما كان مقتدراً فى بناء حضور ضخم فى الكنيسة ، وفى إحدى معاركه الكثيرة مع تجار الخمور قُتل واحد من معارضيه فى حادثة بسبب الخمر ، وتبعثر مخ السائق المخمور ، وجمع أحدهم جزءا من ذلك المخ ووضعه فى إناء وأرسله إلى (نوريس) الذى وضعه على المنبر معلنا أنه سيعظ

عن نتائج شرب الخمر ، وبهذا جذب جمهوراً كبيراً ، واستخدم (نوريس) طرقا أخرى إلى جوار المناقشة لكى يحرك نمواً للكنيسة ، فاستخدم الزيارات المنزلية (من باب إلى باب) واستخدم الزيارة لمدارس الأحد ، وكان يجهز دروس مدرسة الأحد بنفسه ، واستخدم خدمة الانتقالات - الأتوبيسات - وخدمة شبابية قوية ، وتأثيره مازال ملموساً فى كثير من الكنائس فى أنحاء البلاد ، لقد غيرّ (نوريس) مواقف العديد من الخدام فيما يتصل بنمو الكنيسة .

وكان هناك تأثير آخر هو مجلة (سيف الرب The sword of the lord) التى نشرها وكان رئيسا لتحريرها (جون ر . ريس) الذى استخدم المجلة للحث على مفهوم الانتعاش وربح النفوس ، ونمو الكنيسة ، وارتحل (ريس) مع الدكتور (بوب جونس) الصغير* فى أنحاء البلاد ليساند العمل فى ربح النفوس فى المؤتمرات التى كانت تعقد للرعاة . ولفت الدكتور (ريس) الانتباه إلى الكنائس التى كانت تنمو ، وأعطى الفرصة

* الدكتور (بوب جونس الصغير) كان من أصدقاء المترجم ، وقد شرفه بالزيارة أكثر من مرة فى منزله وواعظا فى كنيسته بالاسكندرية ، كما استضاف (بوب جونس) المترجم فى جامعته بأمريكا ، وكان الدكتور (جونس) من المتمسكين بعصمة الكتاب المقدس .

للرعاة الناجحين ليشاركوا بأفكارهم وطرقهم فى جذب جماهير من الناس إلى المؤتمرات التى كانت تُعقد باسم المجلة ، وخلف (د. ريس) فى تحرير المجلة الدكتور (كورتيس هادسون) واستمر يؤكد على الانتعاش وربح النفوس إلى أن رقد فى الرب عام ١٩٩٥ ، وبعد أن اضطر الدكتور (جونس) إلى عدم الترحال مع الدكتور (ريس) بسبب صحته ، كان الدكتور (ريس) يرتحل مع الدكتور (جاك هايلز) راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى هاموند بولاية (انديانا) وتعتبر كنيسته من أكبر الكنائس فى العالم ، فمتوسط حضور مدرسة الأحد (مدرسة الأحد فى أمريكا للكبار والصغار) أكثر من ٢٥ ألفاً ، ولا شك أن الدكتور (هايلز) كان من العوامل المؤثرة فى قيام الكنائس الكبيرة ، وبعد أن بنى كنيسة ضخمة فى جارلاند بولاية تكساس (حيث خرج من المؤتمر المعمدانى الجنوبى لمعارضته وجود العصرية فى المؤتمر) أصبح راعيا للكنيسة المعمدانية الأولى فى هاموند بولاية انديانا ، وخدمته فى هاموند أثرت تأثيراً كبيراً جدا فى مفهوم نمو الكنيسة فى أمريكا ، وقاد الكنيسة المعمدانية الأولى فى هاموند لتكون أكبر الكنائس حضوراً بين كل الطوائف فى أمريكا ، وتعليمه القوى عن ربح النفوس والعمل الفردى ، والزيارات المنزلية ، وخدمة الصم والبكم ... إلخ ، خلقت جواً

للنمو الكبير ، وقدرته على تنظيم خدمة متعددة الوجوه وربطها معاً كان أمراً لا يُصدق ، وكثيرون شعروا بأن الرب استخدم الدكتور (هايلز) بصورة خاصة لكى بدفعهم إلى ربح النفوس ، وتأسيس الكنائس الناجحة ، كما أسس كلية (هايلز اندرسون) للدراسات اللاهوتية .

رات الولايات المتحدة الكثير من الكنائس الضخمة التى بناها المعمدانيون ، ففى عام ١٩٦٩ كانت الكنائس التسعة الكبرى فى الولايات المتحدة والتى تضم أكبر حضور عرفته الطوائف كلها .. معمدانية ، وفى عام ١٩٧٩ وُجدت ١٣ كنيسة معمدانية من بين أضخم عشرين كنيسة ، وهناك أسماء أخرى بين الذين بنوا كنائس لا يقل حضورها عن ١١ ألفا مثل (د. لى روبرسون) ، (د. ج بيتشام فيك) ، (د. تشارلس بلنجتون) ، (هارولد هنجر) .. إلخ . وإلى جوار بناء الكنائس الكبيرة كان هناك من له خدمات تليفزيونية تُشاهد فى كل العالم من هؤلاء (جيرى فولويل) الذى أسس جامعة الحرية المتصلة بالكنيسة التى كان يرعاها ، كما كان له تأثير سياسى من خلال منظمته السياسية (الأغلبية الأخلاقية) والآن يُطلق عليها (مؤسسة الحرية) .

ومع عدم الرضا الذى ملأ الكثيرين على التعليم العام ، ومدارس الحكومة ، أخذت آلاف الكنائس المعمدانية على عاتقها

بناء المدارس الخاصة بها ، فاقت هذه المدارس العامة ، فاسست الكنيسة المعمدانية فى لاندمارك بولاية فلوريدا مدرسة أضحت مناهجها الدراسية نبراساً لكثير من المدارس فى أمريكا والعالم ، وأصبحت الثقافة المسيحية قضية أساسية للمعمدانيين الكتابيين ، وقامت محاولات لإخضاع هذه المدارس للحكومة ولكن القضاء كان يحكم بمفهوم انفصال الكنيسة عن الدولة ، ونمت كليات اللاهوت وازدهرت ، كما قامت جامعات معمدانية فى أنحاء كثيرة من الولايات المتحدة .

كذلك حدث تقدم كبير فى وسائل الإعلام ، واستُخدم الراديو والتليفزيون ، ومن الذين يقدمون رسائلهم التعليمية والكتابية الدكتور (انكربيرج) وهو واعظ معمدانى ، وكذلك الدكتور (تشارلس ستانلى) الراعى المعمدانى المعروف ، وكذلك (جاك فان إمب) ، كما أصبح التليفزيون المحلى شيئا عاديا فى الكنائس المعمدانية .

إلى جوار كل هذا النشاط الكبير يوجد أيضا الحركة المرسلية ، والهيئات المعمدانية التى تعضد وتساند العمل المرسلى ، وكلها مكرسة لنشر كلمة الله وإذاعتها فى كل العالم ، وهكذا كانت اليد المعمدانية يداً طولى فى خدمة المسيحية الكتابية .

(٢٩)

الأبطال المعمدانيون يلهموننا المستقبل

« ولما فتح السفر الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم ، وصرخوا بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ؟ » رؤيا ٦ : ٩ و ١٠ .

***

يُذكر ، (جورج مولر) كبطل كبير للإيمان المسيحى ، وعمله فى بناء الملاجىء فى انجلترا ، وحياة الإيمان التى كان يمارسها كانت شهادة ثمينة للمسيح ، فبعد أن بدأ خدمته الشهيرة فى بريستول بانجلترا اقتنع بموضوع معمودية المؤمنين ، وكان يعرف أن أغلب الذين يساندونه مادياً ينتمون إلى كنائس تمارس معمودية الأطفال ، وأدرك أنه لو اعتمد بمعمودية المؤمنين فسوف يقلل هذا من قدره وهو الواعظ المعروف ، كما أدرك أيضا أن المساعدة المالية التى تصل إليه لابد أن تتأثر ، لكنه كان مقتنعا

أن معمودية المؤمنين تعليم كتابى واضح ، وهكذا قام واعتمد ، وتأثرت خدمته لمدة ، ولكنه كان يعرف أنه شهادة لطاعة الرب .

والدكتور (بوب جونس) الذى أسس جامعة بوب جونس أكبر جامعة مسيحية كان من الميثودست ولكنه اقتنع بمعمودية المؤمنين ومارسها رغم أن الميثودست (نهضة القداسة) يعمدون الأطفال ، و (ب . هـ . كارول) الذى حارب فى صف الوحدة فى الحرب الأهلية وجُرح عام ١٨٦٥ وهو يقوم بعمل بطولى ، حضر أحد الاجتماعات وتجدد واعتمد فى كنيسة معمدانية وأصبح راعيا مشهوراً ولاهوتياً معمدانياً .

حين كان (جون بيرس) طالبا فى جامعة ميرسر واجه العصرية هناك ، فكون مجموعة من الطلبة المعمدانيين ليحتجوا على الحركة العصرية ويقاوموها فى كلية معمدانية ، وانضم (بيرس) إلى (فرانك نوريس) وتدرب فى كلية لاهوت معمدانية ليكون مرسلاً ، وذهب (بيرس) إلى الصين ، وكان يعمل فى المنطقة التى غزتها القوات اليابانية إبّان الحرب العالمية الثانية ، وكان على (بيرس) أن يهرب إلى الصين الحرة حيث تطوع للعمل مع الجيش الصينى فى إنقاذ الطيارين الذين يسقطون ، واستمر (بيرس) فى خدمته المرسلية وهو يعمل مع الصينيين ثم مع الجيش الأمريكى ، وبعد أسبوع من انتهاء

الحرب قُتل (بيرس) بيد الصينيين الشيوعيين ، وقامت جماعة جديدة ضد الشيوعية وأطلقوا اسم (بيرس) على حركتهم كرمز للكفاح ضد الشيوعية وأسموا أنفسهم (جمعية جون بيرس) .

كان (ر.ا . تورى) معروفا بأنه رابح نفوس من طراز فريد ، كما كان راعيا ومعلما مسيحيا ، وكان من خلفية مشيخية ، واعتمد بالرش وهو طفل ، ورُسم للخدمة مع الجماعيين ، وكان واعظا مشهورا فى البلاد ، ولكن دراسته الشخصية للكتاب المقدس أقنعته بمعمودية المؤمنين ، وأقر هو وزوجته أنهما لم يعتمدا بمعمودية كتابية صحيحة ، واعتمدا بمعمودية المؤمنين .

وأناس كثيرون ارتبطوا بالمبادئ المعمدانية ومعظمهم من خلفيات طائفية متباينة ، ومازال المعمدانيون يرفعون علم الحرية وإنجيل المسيح لعالم محتاج ، وقد كانوا وما يزالون أنشط الجماعات فى الكرازة بإنجيل المسيح وربح النفوس ، وهم الذين فتحوا الطريق أمام الحركة التعليمية المسيحية ، وهم الذين وقفوا راسخين فى إيمانهم بعصمة الكتاب المقدس وصدق وحيه الحرفى ، وليس أقل من ثلاثة معمدانيين انتخبوا كرؤساء للولايات المتحدة الأمريكية : (هارى ترومان) و (جيمى كارتر) و (بل كلنتون) والبعض يظن أن الرئيس (وارن ج .

هاردنج) كان معمدانيا ، ومن العدل أن نقول أن هؤلاء ليسوا المثل النموذجي للمعمدانيين ومواقفهم التاريخية من المبادىء الكتابية ، والواقع أن منهم من أدانته جماعات معمدانية ، وأهمية المعمدانيين من الناحية السياسية في نمو مطرد ، فالديمقراطيون يعتبرون المعمدانيين السود جزءاً هاما من أنصارهم السياسيين ، والجمهوريين يعتبرون المعمدانيين الكتابيين هم الأبطال في معسكرهم ، وكلا الحزبين يسعيان لكسب المعمدانيين وخاصة في الجنوب .

(جاكوب ناب) وهو من خلفية أسقفية اقتنع بمعمودية المؤمنين واعتمد في كنيسة معمدانية في أوتيجو بنيويورك ، ويذكر كواعظ معمداني متجول ، وعقد اجتماعات تبشيرية في ألباني بنيويورك وتجدد ١٥٠٠ شخص .

في عام ١٨٨٦ أسس الدكتور (رسل كونويل) راعي كنيسة النعمة المعمدانية في فيلادلفيا مدرسة ثانوية للفقراء الذين لايقدرون على مصاريف المدارس الأخرى ، وهذا العمل تحول إلى جامعة تمبل .

ذهب المرسل (جون كلو) إلى الهند عام ١٨٦٤ بعد أن قضى عدة مرسلين كانوا يعملون بين شعب تلوجو لسنوات ، ولم يحرزوا نجاحاً يذكر ، واتفق (جون كلو) مع الحكومة

البريطانية على حفر قناة كانوا في حاجة ماسة إليها ، واستأجر العديد من شعب تلوجو ، ونظّم (كلو) مجموعة من الوعاظ ليخدموا بين العمال في القناة ، وحصل على نتائج فاقت كل توقعاته ، وفي صباح عيد الميلاد عام ١٨٧٧ اعتمد أكثر من ٢٣٠٠ شخص في الكنيسة ، وعمّد (كلو) بالتغطيس هو وستة من الخدام ٢٢٠ شخصا في يوم واحد ، وفي غضون سنتين عمدوا ثمانية آلاف شخصا .

وفي عام ١٨٨٤ بدأ المرسل المعمداني (هنري ريتشارد) إرساليته على نهر الكونجو وفي خلال ١٦ سنة أسس ثلاث كنائس ، وكان عدد الأعضاء أكثر من ١٥٠٠ عضوا ، وفي عام ١٩٤٠ أسس الواعظ المعمداني (جاك ويرتزن) جمعية كلمة الحياة ، وهذه قادت إلى خدمة إذاعية ، كما أسس مخيما قرب نيويورك يخدم أكثر من ١٨ ألفاً كل سنة ، كما أرسل مرسلين إلى ٢٧ دولة .

وفي شيكاغو عام ١٩٤٢ بدأ خادم معمداني اسمه (لانس ليثم) خدمة مخيم اسماه (أوانا) والأبدية فقط هي التي ستعلن عن عدد الشباب الذين تأثروا بخدمة كلمة الحياة و (أوانا) .

وفي مجال الكرازة والتعليم والإرساليات وخدمة الشباب كان

المعمدانيون – ومازالوا – من الرواد والمبتكرين ، ومميزاتهم عن كهنوت كل المؤمنين ، وحرية النفس وغيرهما من المميزات المعمدانية شجعت على التفكير المستقل .

وتاريخ المعمدانيين يؤكد أن المميزات المعمدانية تهىء مجالاً يمكن لله أن يستخدمه ، وتعليم السلطة الوحيدة للكتاب المقدس برهن على صحة إجابة كل سؤال عن كل مشكلة يمكن أن تواجهنا .

وعند المعمدانيين ميراث من رابحى النفوس نخص منهم بالذكر :

جون بك – أدونيرام جودسون – هنرى من لوزان – بيتر من برايز – جون كلو – وليم كارى – جون ر . ريس .

وعندهم أيضا مدافعين شجعاناً من أجل الحرية مثل :

أرنولد من بريسيكا – اسحق باكاس – ترتليان – جون بنيان – جون بيرس – ريتشار فيرمان .

ولديهم العديد من بنّائى الكنائس – ماديا وروحيا – مثل :

تشارلس سبرجن – جورج و . تروت – جاك هايلز – لى روبرسون – وآخرون كثيرون .

إن الميراث المعمدانى بارز ، فهو قصة الأمانة والكرازة ، وهو قصة الشجاعة والتضحية ، وهو قصة الإقدام والريادة .. أنه قصة (طريق الدم) .

ماضينا مجيد ، والمستقبل سوف يُسجل بعد ، والشباب الذى يتدرب الآن سوف يحدد المستقبل :

❖ سوف يحددون إن كان المستقبل سيكون مستقبل الشجاعة أو التواطؤ .

❖ سوف يحددون إن كانت المميزات المعمدانية ستمارس عملياً أو تكون مجرد خدمة كلامية .

❖ سوف يحددون إن كانت الحركة المعمدانية ستنمو أو تتقهقر .

❖ سوف يحددون إذا كنا سنحصل على قصص أخرى لأبطال من رابحى النفوس والشجعان ، أو سنسلم المستقبل للفشل .

لذلك من الواجب الضرورى علينا أن نهىء لهم التدريب الذى يحتاجونه ، مؤكدين على ميراثنا المعمدانى ، ولنتحداهم ليدركوا أن مستقبل وجودنا هو بين أيديهم .



الفهرس



هذا الكتاب

إن تاريخ الكنيسة المسيحية مجهول من كثيرين وقد نقلت هذا الكتاب عن الإنجليزية بشئ من التصرف. ومعرفة تاريخ الكنيسة من أهم المواضيع التى ينبغى أن يهتم بها القارئ المصرى. وإن كان عنوان الكتاب «المعمدانيون» إلا أنه يحوى تاريخ الكنيسة من بدايتها إلى وقتنا الحاضر، وما إجتازت فيه من إضطهادات وتحديات.. إقرأه لفائدتك ولا تستكثر عليه أى وقت تقضيه فى قراءته.

القس وديع ميخائيل